

قطب السرور في أوصاف الخمر

الرفيق القيرواني

To PDF: www.al-mostafa.com

الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، ربِّ يَسِّرْ

قال العتابي: بعث إليّ طاهر بن الحسين في يوم دَجَنٍ فدخلت عليه وبين يديه خادم يسقيه فقال: يا عتابي، أما ترى يومنا ما أرقه وساقينا ما أظرفه فإن قلت ما نحن فيه شعراً يقع بموافقتي وهبتُ لك الخادم، فقلت:

أَيُّهَا السَّاقِي الَّذِي أَصْبَحَ يَسْقِينَا الرَّحِيقَا
سَقَّ نَدْمَانِي عُقَاراً وَاسْقِنِي مِنْ فَيْكَ رَيْقَا
فَمَنْى نَفْسِي هَذَا نِ صَبُوحاً وَغُبُوقاً
طَاهِرٌ بَرٌّ جَوَادٌ فَاتَّخَذَنَاهُ طَرِيقَا
وَكَذَا كَانَ "حَسِينٌ" فَحَكَى الْغَصْنَ الْعُرُوقَا

فقال: أحسنت، خذ الغلام، فلما صرت إلى الدهليز تبعني وكيهه فقال: تتبع الخادم، فقلت: نعم. قال: بكم، قلت: بألف دينار وظننت أني لم أبق غايةً، فقال: هي لك، ودفعها إليّ، فلحقتني رسول طاهر فردي فقال: ما صنعت بالخادم، قلت: بعته، قال: بكم؟ قلت: بألف دينار، قال: والله لو أبيت إلا مائة ألفٍ لأعطيته.

قال ابن قتيبة: وخرج أبو عيسى ابن الرشيد متزهاً إلى القفص ومعه أبو نواس، فأقام في نزهته شعبان كله، فلما كان أول يوم من رمضان، عزم أبو عيسى على الصوم، فقال له أبو نواس: هذا يوم شك وليس للشك حجة على اليقين ومن يفطره أكثر ممن يصومه، وأنشده:

لَوْ شِئْتُ لَمْ نَبْرَحْ مِنَ الْقَفْصِ نَشْرِبُهَا صَفْرَاءَ كَالْجِصِّ
نَسْرِقُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْ شَهْرِنَا فَاللَّهُ قَدْ يَعْفُو عَنِ اللَّصِّ

وخرج أبو عيسى مرة إلى القفص ومعه أبو نواس فأقاما في نزهتهما أسبوعاً، ثم قال له: بجياتي صف مجلسنا، وأيامنا هذه، فقال:

يَا طَيِّبِنَا وَقُصُورُ الْقَفْصِ مَشْرُوقَةٌ فِيهَا الدِّسَاكِرُ وَالْأَنْهَارُ تَطْرُدُ
لَمَّا اصْطَحَبْنَا بِهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةً كَأَنَّهَا لَهَبٌ فِي الْكَأْسِ يَنْقُدُ
فَقَامَ كَالْبَدْرِ مَشْدُوداً قَرِاطِقَهُ طَبِيٌّ يَكَادُ مِنَ التَّهْيِيفِ يَنْعَقُدُ
فَاسْتَلَّهَا مِنْ فَمِ الْإِبْرِيْقِ فَانْبَعَثَتْ مِثْلَ اللِّسَانِ جَرَى وَاسْتَمْسَكَ الْجَسَدُ

فلم نزل في صباح السبت نأخذها
وفي الثلاثاء أعملنا المطي بها
والأربعاء كسرنا حدَّ شِرتِه
ثم الخميس وصلناه بليته
في مجلس حوله الأشجار مُحدقةً
لا نستخفُّ بساقينا لعزته
والليل يأخذنا حتى بدا الأحدُ
صهباء ما قرعتها بالمزاج يدُ
والكأس يضحك في حافاتها الزيدُ
قصفاً وتم لنا بالجمعة العددُ
وفي جوانبه الأطيبار تغتردُ
ولا يرُدُّ عليه حكمه أحدُ

عند الهام أبي عيسى الذي كملت = أخلاقه فهي كالعيقان تُنتقدُ وبالجزيرة دير يقال له دير حنظلة، قال أبو الفرج الأصبهاني: نُسبَ إلى رجلٍ من طيءٍ يقال له حنظلة ابن أبي عفراء أحد بني حية رهط أبي زيد الطائي، وكان حنظلة من شعراء الجاهلية فتنصَّرَ وفارق بلاد قومه، وباع كل ما كان له وبني هذا الدير وأقام به مترهباً حتى مات، وهذا الدير في أحسن مكان من الجزيرة وأكثره مياهاً وشجراً ورياضاً وزهراً، وهو موصوف بالحسن والطيب، وقد قالت فيه الشعراء فأكثرت، وغنِّي في أشعارهم؛ فممن نزله عبد الله بن الأمين محمد بن زبيدة.

حكى قدامة بن جعفر عن حماد بن إسحق قال: حدثني أبو نجاح قال: كنت مع عبد الله بن الأمين وقد خرج إلى نواحي الجزيرة. وكانت له هناك ضياعٌ كثيرة حسنة فاجتزنا بدير حنظلة هذا، وكانت أيام الربيع، وكانت حوله من الرياض ما ينسي حُلل الوشي، وبُسط خضرة وزهر، فترلنا فيه وبعث إلى خمير بالقرب من الفرات، فشربنا وكان عبد الله حسن الصوت، حاذقاً بالغناء والضرب، ظريفاً كاملاً فقال:

ألا يا دير حنظلة المفدى
أزُفُّ من العقار إليك زقاً
ألا يا دير جادتك الغوادي
تزيد نباتك النامي نمواً
لقد أودعتني تعباً وكداً
وأجعل فوقه الورق المندى
سحائب جُليت برقاً ورعدا
وتكسو الأرض حسناً مستجداً

فاصطحبنا فيه عشرة أيام، وعبد الله ومن معنا من المغنين يغنوننا.

ولعبد الله في هذا الشعر لحنٌ من خفيف الرَّمْل مليح، وفي هذا الدير يقول الشاعر:

طرقتك سُعدى بين شطي بارق
يا دير حنظلة المُهيج للبكا
نفسى الفداء لطيفها من طارق
هل تستطيع دواء داء العاشق

وبالجزيرة دير علقمة، بناه علقمة بن عديّ اللخمي وفيه يقول عديُّ بن زيد العبادي، وفيه غناء:

عاطيتهم مشمولةً عندما

إذا مزجناها بماءِ السَّمَا

فليجعلِ الرَّاحَ له سلماً

إذا اشتهيت اليومَ أن تتعما

نادمتُ بالديرِ بني علقما

كأنَّ رِيحَ المِسْكِ في كأسها

من سرِّه العيشُ ولذاته

فاشربِ على الديرِ ولذاته

وكان متزهاً لأمرء الحيرة يأكلون عنده ويشربون وكثيراً ما تزّه فيه أمرء الحيرة، وبها دير حنظلة بن عبد المسيح اللخمي الذي يقول فيه الشاعر:

عليه أذيال السرور مُسبلة

وكأسنا بين الندامى مُعملة

وكلُّنا أنفذ ما قد خُوِّلَه

مبادراً قبل يلاقي أجله

بساحة الحيرة دير حنظلة

أحييتُ فيه ليلةً مقابلة

والراحُ فيها مثل نارٍ مُشعلة

فيها يُلذُّ عاصياً من عدله

قال أبو الفرج الأصبهاني: وبالخيرة دير هند بنت النعمان ابن المنذر، ودخل عليها خالد بن الوليد فقال لها: أسلمي حتى أزوجك رجلاً من المسلمين شريفاً أصيلاً يُشبهك في حسبك، فقالت: أما ديني فمالي عنه رغبة، ولا أبغي به بدلاً، وأما التزويج، فلو كانت في بقية ما تزوجت ولا رغبت فيه، فكيف وأنا عجوز، هامة اليوم أو غد؛ قال لها: فسليني حاجة أفضيكيها، قالت: أكبر حاجتي هؤلاء النصارى الذين في ذمتكم، قال: نعم هذا فرض علينا في ديننا، أو صانا به نبينا "ص" فهل غير هذا؟ قالت: أنا في هذا الدير ملاصقة لهذه الأعظم البالية من أهل بيتي وملتي ألحق بهم، وأمر لها بمالٍ وكسوة، فقالت: ما لي بشيء مما بذلته حاجة، معي عبدان يزرعان مزرعة أتقوت منها بما يُمسك رمقي، وأصرف ما بقي في ضعفاء أهل ديني، وقد اعتدلتُ بقولك فعلاً، وبعديتُ نقداً، ولكن اسمع مني دعاءً كان يدعو به مُلاكنا، لا ملكتك يد افتقرت بعد غناء ولا ملكتك يد استغنت بعد فقرٍ وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا أزال عن كريم نعمة، إلا جعل سبب ردّها على يديك بك.

ودخل عليها المغيرة بن شعبة وهو يلي الكوفة فحادثها، ثم قال لها: فيم كانت لذة أهلك؟ قالت: في محادثة الرجال وشرب الجريال، قال: إني جئتُك خاطباً فضحكت وقالت: والصليب، فما ذاك رغبة منك في مالٍ، ولا تمتعاً بجمالٍ، ولكنك أردت أن تفخر وتقول إني قد نكحتُ ابنة النعمان بن المنذر، وإلا فأبي خير في شيخٍ أعور وعجوز عمياء.

وكان بعد ذلك شباب الكوفة يخرجون إلى هذا الدير متزهين، يأكلون في رياضة ويشربون وفيه يقول الشاعر:

لدى ديرِ هندٍ والحبیبِ قریبٍ
ویورقِ غصنٍ للشبابِ رطیبٍ

ألا لیتِ شعری هل أبیتنَ لیلَةً
فتقضی لُبانات، وتُلقی أحبَّةً

وفیه یقول الآخر:

یرى بجنوبِ الديرِ وهو قصیرُ

لئن طال في بغداد لیلی لربما

وفیه یقول حسان بن ثابت:

ولم تكن قطُّ لي يا ديرِ مئناسا

يا ديرِ هند لقد أصبحتَ لي أنسا

فیه أعاشر قسیساً وشماسا

سقیاً لظلك ظلاً كنتُ آلفهُ

ومن سرورِ به يا قومِ أعراسا

قدماً وكانت الأوقات من طربِ

ولا أردُّ على الساقی به الكاسا

لا أعدمُ اللهُ في أرجاء هیکله

وكان لإسحق بن إبراهيم غلامٌ قد رباه وعلمه فصار من أحذقِ الناس فنغد له النيذ يوماً فكتب إلى إبراهيم بن المهدي: جعلت فداء الأمير، حضرتي بيتٌ فصنعتُ فيه لحناً ووجهته إلى الأمير وأمرته بإنشاده إياه. قال: فصار إلى إبراهيم فغناه الصوت وهو:

له سورةٌ في عظمِ رجلٍ ولا يد

نديمي قد خفَّ الشرابُ ولم أجد

فضمَّ له إبراهيم هذا البيت:

فلا خير في الشربِ القليلِ المُصرَدِ

فدونك هذا الرِّيِّ فاشربِ مُسلماً

وبعث إليه ثلاثة أبغُلٍ عليها ألوان من الشراب مجللة بأثواب الديداج وثلاثة غلمان روم وأجاز زيدا بجائزة سنينة.

قال محمد بن الحارث بن بُسْحَنَرٍ عرضت لي حاجة إلى إبراهيم بن المهدي فبكرتُ إليه في يوم غيم وورذاذ فصادفته قد لبس ثيابه وأسرجت دوابه، فلما وصلت إليه خلعت ثيابه وأمرَ بحطِّ السروج ثم قال لي: أردتُ الركوب إلى الخليفة، فلما رأيتك آثرت نفسي بك، وهذا يوم حسن لا يضيعه إلا من غبن حظه، فأقم حتى أطمعك اللحم طرياً وأسقيك الشراب صرفاً وأسمعك الغناء، قلت: ما شيء أطيب إليّ مما عرضه الأمير عليّ، فدعا بضربٍ من لحوم الجدا والحملان والطيور المسمن، فاتخذت له منه ضروب شواءٍ وكباب وقلايا، فأكلنا منها حاجتنا ثم أتينا بألوان من الشراب المطبوخ والمشمس، فاختر منه وسقاني، ثم دعا بجوارٍ فضربن عليه وغنى أصواتاً من صنعته، فمرَّ لنا ألدُّ يومٍ وأطر به.

وكانت لأم جعفر زبيدة جارية تسمى جُلنار أحسن الناس وجهاً وأطيبهم غناءً، وكانت عُليّة بنت المهدي تمازحها وتكنيها بأبي الورد، فغلبت هذه الكنية على اسمها حتى صارت لا تُعرف إلا بها، فقالت أبو الورد: كنت ذات يوم واقفةً على رأس أم جعفر والسماء متغيمة، إذ هطل المطر، فقالت لي أم جعفر: اذهبي إلى أختي عُليّة فأقرئيها مني السلام، وقولي لها ألا ترين إلى هذا اليوم وطيبه، فعلى أي شيء عزمت فيه. فخرجت عنها، حتى دخلتُ على عُليّة فإذا هي جالسة في طارمة في وسط بستان لها والمطر يقع على الطارمة فيجئُ له صوتٌ شديدٌ وفي يدها عود وهي تغني وعلى رأسها جاريةٌ كأنها خوط بان، حسنة الوجه، فإذا غنت عليه صوتاً قالت لها اسقيني فتسقيها، فلما رأني فرحت بي وقالت: الحمد لله الذي منَّ علي بك، فأكبت على البساط فقبلته، فقالت: لا والله إلا معانقة، فعانقتها، وقبلت فاهاً ورأسها ويديها وأديتُ إليها رسالة أم جعفر، فقالت: خبري أي منذ السحر أشرب فوق هذه الطارمة على صوت المطر، والذي عزمتُ عليه، إتمام السرور والشرب، فلستُ مفارقتك اليوم. فقلتُ لها: يا سيدتي أم جعفر تنتظرني، فأدي إليها الرسالة وأرغب إليها في المسامحة بالعودة إليك فقالت: أنا أجعل الرسول غيرك. وبعثتُ إليها جارية تعرفها بحالها، وتساءلها في أن تؤنسي في المقام عندها، فأقمتُ ودعت لي بالطعام فأكلتُ، وجعلت تسقيني وتشرب وتغني وأغنيها، فبينما نحن كذلك إذ دخل الخادمُ فقال: إبراهيم أخوك، فدعت بطبق عليه مأكول، وقالت: هاتوا عوداً حناناً فضعوه ناحية، فأتيت بذلك وإبراهيم واقفٌ بالباب، ثم أذنت له فدخل فأكب على رأسها، فقالت: لا تكلمني أو تأكل، ففعل، ثم دعت بقدر فيه رطلان فشربه، ثم قالت: خذ عودك وخذ عودك، ففعل، فما زالت تغني صوتاً ويغني صوتاً وأغني ونشرب، إذ دخل الخادم فقال: أخوك يعقوب بالباب، فأمرت بإحضار طبقٍ عليه طعان، ثم قالت أحضروا نايًا جيداً، فأحضر ثم أذنت له فدخل، وأكب على رأسها فقبله، فقالت: اجلس وكُل، فأكل، ثم دعت برطلين في قدح فشربه وتناول الناي فزمر وكان أحسن الناس زمراً وضرباً جميعاً، فسمعتُ والله شيئاً ما سمعتُ أحسن منه قط، فسكرتُ من الشراب والطرب فلم أعقل ورحت أتمايل سكرًا حتى دخلت على أم جعفر فحدثتها بما جرى، فجعلت تضحك وأمرت لي بخلعة من ثيابها.

وكان يقال: لا يُعرف في بنات الخلفاء مثل عُليّة بنت المهدي جودة شعر وحسن صنعة، وكانت أكمل النساء عقلاً ودينًا وصيانةً ونزاهةً، وكان الرشيد يعظمها ويجلسها معه على سريرته، وكانت تحبُّ خادماً للرشيد يقال له ظلُّ فتكني عنه، من ذلك قولها فيه:

فهل لي إلى "ظل" لديك سبيل

وليس لمن يهوى إليه دخول

أي أسروة البستان طال تشوقي

من نلتقي من ليس يُرجى خروجه

ومن قولها فيه:

والطُّرَّة والوجه المليح
الحبُّ في قلبٍ قريح
عيناك فيه بصحيح

قُلْ لذي الأصداع
ولمن أشعل نارَ الحب
ما صحيح أثرت

ومما قالت وغمته في طريقة الرمل:

الأغيد الحلو الدلال
يا غُلُّ ألباب الرجال
وسكنت في ظلِّ الحجال
لم أدْرِ فيها ما احتيالي

سَلِّمْ على طرفِ الغزال
سَلِّمْ عليه وقلْ له
خليت جسمي ساجياً
وبلغت مني غاية

ومن قولها وغنائها:

لائماً في وصالٍ وجهٍ مليح

جاءني عاذلي بوجهٍ قبيح

ثمر القلب لا أراك وشيخ

ظبيةً تسكن القباب وترعى

ومن غنائها وشعرها: قُمْ يا نديمي إلى الشمولِ=قد نمتَ عن ليلي الطويلِ

وهم بهرامُ بالأفولِ

أما ترى النجم قد تولى

فلم يجب منطقَ السؤولِ

من عاقر الراح أخرسته

قال لي الهيثم بن عدي: قال: قال الشعبي: لما وليَ بشرُ ابن مروان العراق، ولأني مظالمه. وبلغ حُنين بن بلوع المعنيّ وكان يسكن الحيرة: أن بشرًا يشرب الشراب، ويسمع الغناء، فأتى الكوفة، فذكر له أن ابن محرز قدّمها، فتلطف له حتى دعاه فغناه ابن محرز، فسمع شيئاً هاله وحيره - وعلم أن بشرًا إن سمعه لم يُخل هو منه بطائل - فقال له: كم منتك نفسك من العراق، قال: ألف دينار، فقال: هذه خمسمائة دينار حاصلة، ونفقة سفرك عادياً وبادياً ودع العراق لي وامض مصاحباً حيث شئت، وكان ابن محرز صغير الهمّة لا يحب عشرة الملوك فأخذها وانصرف، وقصد حنين بشرًا فلطفت منزلته عنده وخصّ به وأجزل عطيته.

قال الشعبي: فاستأذنت على بشرٍ ذات عشية، فقال لي حاجبه، يا أبا عمرو، الأمير على حالٍ ما أظنك تصل إليه معها، فقلت: أعلمه وخلاك ذمّ، فقد حدث أمرٌ لا بدّ من إنهائه إليه، فاستأذنه فقال: يدخل،

فدخلت، فإذا بشرٌ عليه غلالةٌ صفراءُ رفيقة، وملاءةٌ تقوم قياماً من شدة الصقال، وعلى رأسه إكليل من ريجان قد فصلَّ بورِدٍ ونرجس، وعن يمينه عكرمة بن ربعي وعن يساره خالد بن عتاب بن ورقاء، وبين يديه حنينٌ بن بلوع وعوده في حجره، فسلمتُ، فرد السلام، ورحب وقرب، ثم قال: يا أبا عمرو، لو كان غيرك لم أذن له على هذه الحال. فقلت: أصلح الله الأمير، لك الستر لكلِّ ما رأيت، والشكرُ على ما أوليت، فقال: كذلك الظنُّ بك، ثم غنى حنين، فقلت له: شدَّ الزيرِ وأرخَ البَمَّ، ففعل وضرب فأجاد، فقال بشر لأصحاب: ألامُ على أن أذن لهذا على كلِّ حالٍ كنتُ فيها؟ ثم التفتَ إليَّ وقال: من أين لك علمٌ هذا. قلتُ: كنا نسمعه في أعراسنا. فظننت أن الأمر كذلك أصلح. فقال: إنه كما ظننت، ولما أردتُ القيام، أمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب، فقمْتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك. وكان آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز من الخلعاء الجَّان. روى مُصعب الزُّبيري قال: كان آدم بن عبد العزيز يدمن شرب الخمر ويفرط في الجون، وكان أديباً شاعراً فأخذه المهدي وجلده ثلاثمائة سوط على أن يقر بالزندقة، فقال: والله ما أشركت بالهه طرفة عين قال: فأين قولك:

اسقني واسق خليلي

في دجى الليل الطويل

سُبُتت من نهر بيل

ينس منهاج السبيل

مثل طعم الزنجبيل

بين كرمٍ ونخيلٍ

من رحيق السلسبيل

في غدٍ نعتَ الطلول

أنت دعها وارحُ أخرى

نعطش اليوم ونسقى

قال: وإن قلت ذلك فإني موحد، ولست بزنديقٍ أقول بلساني ما لا يعتقده جنائي، فقال له: إذا عنَّ لك شيءٌ من هذا فاذا ذكر سلفك، وخلي سبيله.

قال مُصعب: وقال بعضهم لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: إن بنيك يشربون الخمر، قال: صِفوهم لي، قال: فلانٌ إذا شرب خرَّق ثيابه وثياب نديمه، فقال: سوف يدع هذا شربها، قالوا: وفلان إذا شرب تقياً في ثيابه وأفسدها، قال: وهذا سوف يدعها، قالوا: وأما آدم فإنه إذا شرب أسكر ما يكون، لا ينال أحداً بسوء، قال: هذا لا يدعها أبداً، فكان كما قال.

قطب السرور في أوصاف الخمر - الرقيق القيرواني

8

وقال محمد بن الحارث بن بُسْخَرْتَر: جرت يوماً إلى إبراهيم بن المهدي فرأيته كثيراً مهموماً فقلتُ له: ما لي أراك بهذه الحالة، فقال: ويحك دعني، فقلت: والله لا أدعك حتى أعرف خبرك، قال: لم يكن أحد سمع غنائي غير الرشيد، فقال لي ليلة: جعفر بن يحيى صديقك ولا تحتشم منه، وأنا أحب أن تغني له صوتاً، فبحياتي إلا فعلت، ودعا لي بألف درهم، فغنيتُه وحُمل المال إلى منزلي، وكنا البارحة عند المعتصم فقال لي سيما الشارباني: أشتهي أن تغني لي ذلك الصوت، قلت أيمًا، قال: لا أدري، ولكن تغني كل ما تدري فإذا مرَّ عرفْتُك، فورد عليَّ ما تمنيت معه الموت، فأنيُّ غمٌّ يكون أشد من هذا. ودخل أحمد بن الحسين المتني على علي بن إبراهيم التنوخي، فعرض عليه كأساً فيها نبيذ دوشاب أسود فقال:

أغار على الزجاجاة وهي تجري على شفة الأمير أبي الحسين
كأن بياضها والراحُ فيها بياض مُحدق بسواد عينِ

شربها فقال له:

مرَّتكَ ابن إبراهيم صافية الخمر وهُنَّتها من شارب مسكر السكر
رأيت الحميا في الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس في البدر في البحر

وكان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى فرآه يشرب فقال:

يا أيها الملك الذي ندماؤه شركاؤه في ملكه لا ملكه
في كل يوم بيننا دمُ كريمة لك توبةٌ من توبةٍ من سفكه
والصدق من شيم الكريم فقل لنا أمن الشراب تتوب أم من تركه

وشرب عنده ليلة فلما كان من غدٍ عُرض عليه الصبوح فقال:

رأيت المدامة غلابةً تهيج للمرء أشواقه
تُسيئ من المرء تأديبه ولكن تحسن أخلاقه
وقد مُتُ أمسٍ بها موتةً وهل يشتهي الموت من ذاقه

وقال يحيى خالد: كنت أهوى جاريتي دنانير وهي لمولاتها دهرًا، فلما وضع المهدي الرشيد في حجرها اشتريتها فلم أسر بشيء من الدنيا سروري بها، فما لبثت يسيراً حتى وجّه المهدي الرشيد غازياً إلى بلاد الروم، فخرجت معه، فعظم علي فراقها، وأقبلت لا يُهنئي طعاماً ولا شراباً، صبايةً بها وذكرًا لها،

فتوغلنا في بلاد الروم وأصابنا برد شديد، وثلجٌ كثير، فأني ليلة في مضربي، أتقلبُ في فراشي تذكرًا لدنانير، إذ سمعت عناءً خفياً وضرب عودٍ بالقرب مني فأنكرت ذلك، وجلست في فراشي وتسمعت صوتاً شجاني من غير أن أفهمه، فقمْتُ وقد غلب النومُ أهل العسكر فتخللت المضارب حتى انتهيت إلى خيمة من خيم الجند فإذا فيها سراجٌ فدنوت منه، فإذا فتى جالسٌ وبين يديه زكرة فيها شراب وفي حجره عودٌ وهو يشرب ويتغنى:

ألا يا لقومي أطلقوا غلَّ مرتَهَنُ
وَمُنُوا على مستشعر الهمِّ والحزنِ
ألم ترَها ببيضاء ورداً شبائبها
لطيفة طيِّ البطنِ كالشادن الأغنِ
تذكر سلمى وهي نازحة فحنَّ
وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطن

وكلما غنى بيتاً بكى وتناول قدحاً فصبَّ فيه من ذلك الشراب، فيشربُ ثم يعود فيفعل مثل ذلك وأنا اراه فأبكي لبكائه، ثم سلمتُ عليه فرد السلام، واستأذنت في الدخول فأذن، فلما دخلت أجلني وأوسع لي، فقلت: يا فتى، أحررتني بخبرك وما سبب هذا البكاء فقال: أنا فتى من الأبناء ولي بُنية عمِّ نشأنا حبيبين فعلقْتُها وعلقتني، ثم بلغنا فحُجبت عني، فسألت عمي فزوجنيها، ومكثت حيناً أحتال لمهرها، حتى هُمياً فأديته وأعرستُ بها، فلما كان يوم سابعها ضُرب علي البعث فخرجتُ وبي من الصباية بها والشوق لها ما الله به عليم، فإذا أصبتُ شراباً أخذت منه الشيء ثم أفعل ما ترى تذكراً لها، فقلت: هل تعرفني، قال: قلت أنا يحيى بن خالد، فنهض قائماً، فقلت له: اجلس، القيني غداً أول حركة الناس، فإني صائرٌ من أمرك إلى ما تحب، ووافق ذلك رسولاً يُنفذ إلى المهدي، فلما كان من غدٍ وهُمياً الناس للرحيل، فأول من لقيني ألفتني، فقلت ما اسمك، وفي قيادة من أنت فخبرني، فدخلت على الرشيد فخبرته خبره، فأمر له بعشرة آلاف درهم وأصحابته الرسول.

قال أبو هفان: دعاني أمير من أمراء الأتراك، وكانت له ستارة لم يكن بيغداد أطيبُ منها، فلما شربنا أقداحاً قال غنوا لنا: خمار مليح، فلم يدر أحدٌ ممن حضر ما أراد حتى غنى:

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا صنعت براهبٍ مترهدٍ

فشرب عليه أرطالاً وشربنا ثم أمسك ساعة وقال: غنوا: "إني خريت وجيت أنتقله" فضحكنا وقلنا: هذا يشبهك، ويصلح لك، فما عرفنا ما أراد حتى غنَّين: إن الخليط أجدُّ منتقله.

وقال مصعب الزبيري: شربنا يوماً عند عبد الصمد بن علي عمِّ المنصور، وكان يغنينا الدارمي المكي وكان حلواً ظريفاً فنعس عبد الصمد، وعطس الدارمي عطسةً هائلة، فوثب عبد الصمد مرعوباً وغضب

غضباً شديداً وقال: يا عاض بظر أمه، إنما أردت أن تفرغيني، قال لا والله، ولكن هكذا عطاسي، قال: والله لأسفكن دَمَكَ أو تأتيني بينة على ذلك، ووكل به غلماناً، وخرج لا يدري أين يذهب فلقبه رجل يعرفه من أهل مكة، فسأله عن أمره، فأخبره، فقال: أشهد لك أنا، ومضى معه حتى دخل على عبد الصمد فقال له: بما تشهد لهذا؟ قال: رأيته عطس عطسةً سقط منها ضره وتطاير نصف لحيته، فقال عبد الصمد: خلوا سبيله.

وقال عمر بن شبة: حدثني إسحق بن إبراهيم عن أبيه قال: قال حكم الوادي: دخلت يوماً على يحيى بن خالد، وقد اصطحب فأمر لي بطعام، فأكلت وسقيت ثلاثة أرطال وغنيته:

بنفسي من قلبي له الدهر ذاكرُ
ومن هو عني معرض القلب صابرُ

ومن حبه يزداد عندي تجدداً
وحبي لديه مخلقُ العهد دائرُ

فاستعادي فيه مراراً وشرب عليه أرطالاً وقال لي: يا أبا يحيى، ألقه على دنانير، فإن أخذته فلك خمسمائة دينار، ودعا بما فجلست خلف الستارة، فقلت لها يا سيدتي، أشغلي نفسك بهذا، وأنت تهين لي خمسمائة دينار، فقال يحيى: ولها إن أحكمته ألف دينار، وقام يحيى لبعض أشغاله فطرحت عليها الصوت حتى أخذته، وجاء يحيى فعرفته، فقال لي: غنه يا أبا يحيى، فقلت: يسمعه مني، وليس هو ممن يخفى عليه، ثم يسمعه منها فلا يرضاه فلا أحصل على شيء، فغنيته، ثم قال: غنيه أنت الآن، فغنته فراد في طيبه ندى صوتها وحسنه، فقال: والله ما أرى إلا خيراً، فقلت جعلت فداك، أنا أمضغ هذا أكثر من خمسين سنة كما أمضغ الخبز، وهذه أخذته الساعة وهو يذل لها بعدي وتجتري عليه ويزداد حسناً في صوتها، فقال: صدقت، يا غلام هات له خمسمائة دينار ولها ألف دينار، ففعل، فقالت له وحياتك يا سيدي لأشاطرن أستاذي الألف، قال: ذلك إليك، ففعلت فانصرفت وقد أخذت بهذا الصوت ألف دينار.

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي: دعاني يحيى بن خالد يوماً فوجدت الفضل وجعفر جالسين بين يديه، فقال لي: يا إسحق، أصبحت مهموماً فأردت الصبح لأتسلى فغني صوتاً لعلي أتفرج وأرتاح فغنيته:

إذا نزلوا بطحاء مكة أشرق
بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

فما خلقت إلا لجد أكفهم
وأقدامهم، إلا لأعواد منبر

فطرب وارتاح وأمر لي بمائة ألف درهم وأمر لكل واحدٍ منهما بمائة ألف تنقص ألفاً فحمل المال بين يدي وانصرفت.

وكان إبراهيم بن المهدي لما طلبه المأمون قد استخفى عند امرأة فوكلت لخدمته جارية وقالت لها: وقد وهبتك له فإن أراذك لشيء فأعلميه ذلك وطاوعيه، وكانت توفيه حقه في الخدمة والإعظام ولا تُعلمه بما

قالت سيدتها فجلاً مقدارها في عينه إلى أن قربت له يوماً طعاماً فأكل وقامت على رأسه فسقته فلما ناولته الكأس قبّل يدها وقال:

شافع من مقلتيه

فقبلت يديه

حسادي عليه

إحساناً إليه

يا غزالاً لي إليه

والذي أجللتُ خديه

بأبي وجهك ما أكثر

أنا ضيفٌ وجزاءُ الضيف

فقبلت الأرض بين يديه وأعلمته بما قالت مولاتها وعمل فيه لحناً في طريقة المزج. وكان إبراهيم قد ترك الغناء في آخر أيامه وذلك أنه قال:

كنتُ عند الرشيد في مجلس خلوة لم يحضره إلا جعفر بن يحيى، إذ بكى، فقلتُ يا أمير المؤمنين: ما يبكيك، لا أبكى الله عينيك، قال: أنت أبكيتني يا إبراهيم، لأنك مع كمالك وأدبك ومعرفتك قد اشتهرت بالغناء، فاخترتة ولزمته حتى عطّلك عما يسمو إليك مثلك، وكأني بك غداً، وقد مَلَكَ بعض ولدِ أخيك فأمرك ونهاك وامتهنك في الغناء، وإنما امتهن المهدي بك، قال: فلما كان في أيام المعتصم حضر في يومٍ منها مجلسه وكان الأفسحين حاضراً فلما أرادوا الانصراف قال الأفسحين: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، تطول على عبدك بالتقدم إلى الندماء أن يكونوا غداً عندي، فأمرهم المعتصم بالمصير إليه، فقال: وليُجيني سيدي إبراهيم، قال: يا عم أجه، فصار إليه إبراهيم في غد، وبكر الندماء إليه جميعاً، فسُرُّ وسرِب حتى سكر، وكان طاعياً، شديد العريضة لجوجاً، فلما عمِل فيه السكر قال: يا إبراهيم غنّ صبة تك الذي فيه "مومو" قال لا أعرفه، قال: تعني والله أبداً كل شيء تحسنه حتى يمر هذا الصوت، قال فغني إبراهيم أصواتاً كثيرة والأفسحين ساكتٌ ضاربٌ بذقنه على صدره، ثم خطر ببال إبراهيم قول الرشيد، وبكاؤه له وإشفاقه عليه فغني متفجعاً لذكره:

الأيّز يد حُباً إليّ همُّ

لم ألقَ بعدَهُمُ قوماً فأخبرهم

فرجع الأفسحين رأسه وقال: هو هذا، فقال إبراهيم: أما إنك لا تدري ما استخراجته، وانصرف فقطع الغناء وأهله فلم يغنّ بقية أيامه حتى اعتل العلة التي توفي فيها. فيقال: لما ثقل دعا المعتصم بصالح بن الرشيد فقال: صر إلى عمي فقد بلغني أنه عليل فاحضره وانصرف إليّ بخبره، قال: فسرتُ إليه فإذا هو شديد العلة، فسلمت عليه وسألته عن حاله فقال: سر إلى الحجرة فاخلع سيفك وسوادك، وعد إليّ آنس بك ساعة، ففعلت، ودعا خادماً من خدمه فأمره أن يحضر لي طعاماً فأحضره وأكلت منه وهو ينظر إليّ وأتيتُ الأسف في عينيه، ثم دعا لي بأرطال مطبوخ عجيب فشربت ثم قال: يا غلام ادعُ لي بنعمة

وخيزرانة، وكانت نعمة تضرب وخيزرانة تغني فجاءتا، فأمر هذه فضربت وهذه فغنت، ثم قال:
أسندوني، فأسندوه وأمر خيزرانة فحطت من طبقتها ثم اندفع يغني:

رُبَّ رَكْبٍ قَدِ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يشربون الخمر بالماء الزُّلالِ
ثم أضحوا، لعب الدهر بهم وكذلك الدهرُ حالاً بعد حال
من رأنا فليوطن نفسه إنه منها عى قرني رئال

قال: فاستوفاه، فما سمعتُ شيئاً قط كان أحسن من غنائه فيه، فقال: بأبي أنت وأزيدك، فقلت ما أريد أن
أشقَّ عليك مع ما اراه من حالك، فليتبني كنتُ فداك، فقال: دعني أودِّع نفسي، وتغني:

يا منزلًا لم تبَلْ أَطْلَاهُ حاشى لأطلاك أن تبلى
لم أبكِ أَطْلَاكَ لَكُنِّي بكيت نفسي فيك إذ ولى
والعيشِ أُولَى ما بكاه الفتى لا بدَّ للمحزون أن يسلى

فبكيت لطيب غنائه، وشربت أرتالاً، ومال على جنبه فنهضت ولبست سوادِي، فما خرجتُ من
الحجرة حتى سمعت الصُّراخ عليه، وصرت إلى المعتصم فأخبرته الخبر على وجهه، فاسترجع وبكى
وتوجع.

وكان عبد الله بن الفضل بن الربيع موصوفاً بالبراعة في الشعر والغناء، فأخذ منه إسحق الموصلي صوتاً من
شعره وغنائه وهو:

وصف الصّدِّ لمن يهوى فَصَدَّ وبدا يمزح بالهجرِ فَجَدَّ
ماله يصرف عني وجهه وهو لا يعدله عندي أحد

وغني به الرشيدُ فقال: من يقول هذا يا إسحق، قال: بعض مواليك يا أمير المؤمنين، فقال: من من موالي
يُحسن مثل هذا ولا أعرفه، قال: عبد الله بن الفضل، فقال للفضل: أحضرنى ابنك عبد الله فقد بلغني أنه
يجيد الغناء، فقال: وولاتك يا أمير المؤمنين ما عرفتُ بشيءٍ من هذا إلا في ساعتِي هذه، ومضى فدعا بابنه
عبد الله وقال: قد بلغ من قدرك أن تجترئ عليَّ حتى تضع الغناء ويغنيه المغنون الخليفة، وأنا لا أعلم بشيءٍ
من أمرك، وأمره أن يغنيه بشيءٍ من صنعته، فغناه صوتاً استحسنته وصار به إلى الرشيد فغناه، فأمر له
بعشرة آلاف دينار. فقبضها الفضل، وقال له الرشيد: اشتر له بما ضيعة، ولم يزل من ندماء الرشيد
والأمين والمأمون والمعتصم.

وكان حلف بأيمانٍ مؤكدة أنه لا يغني إلا خليفةً أو ولي عهدٍ، وكان عهد الوثائق قد التبس عليه حتى

تحدث الناس به، وخاضوا فيه، فأحب الواثق أن يقف على صحة أمره، فقال له عبد الله بن الفضل: أنا أستخرج لك علم ذلك فأعزم على الفصد، ففصد الواثق وعلم المعتصم فأمر له بهدايا وتحف، وقال له عبد الله: سله أن يبعث لك المغنين ويجعلني فيهم، فسأل الواثق المعتصم فبعث بهم إليه، وأمر عبد الله بالمسير إليه معهم، فقال: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك، قد عرفت يميني، قال: قد عرفتها، فسر إليه وغنه، فإنك لا تحنث، فسار إلى الواثق فأعلمه أن عهده صحيح، فسُرَّ الواثق بذلك، وأمر لعبد الله بمائة ألف درهم ولكل واحد من المغنين بعشرة آلاف درهم.

وحكى معبد الذي يقال له البيقطيني، مولى علي بن يقطين، قال: كنت منقطعاً إلى البرامكة، أخذ منه وألزمهم، فبينما أنا ذات يوم في منزلي، إذا بياي يُدق، فخرج غلامي ثم رجعت، فقال: على الباب فتى ظاهر المروءة جميل الوجه يستأذن عليك، فأذنتُ له، فدخل شابٌ ما رأيت أجمل منه وجهاً، وألطف ثوباً، وأحسن زياً، دنفٌ عليه أثر السقم ظاهرٌ، فقال لي: إني أحاول لقاءك منذ مدة، ولي إليك حاجة، قلت: ما هي؟ فأخرج لي ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي، وقال: أحبُّ أن تقبلها مني، وتضع لي الحناء في بيتين قلتهما، قلت: نعم وكرامة، هات البيتين، فأنشدي:

لنطفئن بدمعي لوعة الحزن

والله يا طرفي الجاني على كبدي

فلا تراه ولو أدرجت في الكفن

أو لأبوحن حتى يحجبوا سكني

فصنعت فيهما لحناً شجياً يشبه النوح، ثم غنيتُه إياه فأغمني عليه حتى ظننت أنه قد مات، ثم أفاق وكأنه أنشُر من قبر، ثم قال: أعد فديتك، فنشدتهُ بالله في نفسه، وقلت: أحشى والله أن تموت، فأبى وقال: ليت ذاك كان، وهيهات، نفسي المشثومة أشقى من أن أموت فأستريح، وما زال يخضع ويتضرع ويكيكي حتى رحمته، فأعدتُ الصوت، فصعق صعقة أشدَّ من الأولى فلم أك أن نفسه خرجت، وبقي ملقى لا يتنفس إلا نفساً خفياً فما زلت أنضح ماء الورد على وجهه وأُبخر بين يديه وأُشِمه أصناف الطيب حتى فتح عينيه وأفاق وبقي ساعة ملقى ثم تحامل فجلس، فحمدتُ الله تعالى على سلامته ووضعت دنائره بين يديه وقلت: خذ مالك وانصرف عني، قد قضيت حاجتك، وبلغت وطراً مما أردته ولست أحب أن أشرك في دمك فقال لي: يا هذا لا حاجة لي في الدنانير ولك عندي مثلها وأعد عليّ هذا الصوت مرة أخرى فقط، وأنا أنصرف عنك وخلاك ذم، فشرهتُ إلى الدنانير، فقلت: لا والله ولا أضعافها إلا على ثلاث شرائط، فقال: وما هن، فقلت: أما أولهن فتقيم عندي، وتأكل من الطعام ما تقوي به نفسك، والثانية أن تشرب أقداحاً تمسك قلبك وتحفظ نفسك ويثبت في حافظتك ما تسمعه، والثالثة أن تحدثني بجديتك ففعل ذلك

ينفعك، قال: أفعل، فدعوت بالطعام فأصاب منه إصابة مُعذر، ثم دعوت بالشراب فشرب أقداحاً وأنا أُغنيه من عرض الأغاني ما يحضرنى وهو يشرب ويكي، ثم قال: الشرط أعزك الله، فلما رأيته قد خف ما به، ورأيت النبيذ قد شدَّ قلبه، كررت عليه مراراً ثم قلت: حدثني، قال: أجل، قال: أنا رجل من أهل المدينة خرجت متزهاً وقد سال العقيق في فتية من أقراني وأحداني فبصرنا بفتيات قد خرجن مثل ما خرجنا له فجلسن وبصرت بفتاة منهن كأنها غُصنٌ قد طلله الندى تنظر بعينين ما ارتد طرفهما إلا بنفس ملاحظهما، لإاطنا وأطلن حتى تَقَرَّضَ النهار "ثم تفرقنا وقد أبقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندماله، فعدت إلى العقيق، أتسم خبرها وأطنع في لقائها، فإذا هو خالٍ ليس فيه أحد، ولا أرى لها ولا لصواحبها أثراً، ثم جعلت أتبعها في أسواق المدينة وطرقاتها فكأن الأرض أضمرتها، فمرضت أسفاً عليها، وصبابة بما وضيت حتى يئس أهلي مني فخلت بي ظئري استعلمتني حالي وضمنت لي كتمانها، والسعي فيما أحبه منها، فأخبرتها الخبر فقالت: لا بأس عليك، هذه أيام الربيع ما انقضت بعد وهي سنة خصبٍ وليس يبعد عليك المطر وهذا العقيق، فتخرج حينئذ وأخرج معك فإذا جاء النسوة ورأيت من تريد فعرفني حتى أتبعها فلا أفارقها أو أففعلى موضعها، وأصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها، فكأن نفسي اطمأنت إلى ذلك، ووثقت به وسكنت إليه، وأصبت شيئاً من الطعام، وتراجعت نفسي، ولم نلبث أن جاء المطر وسال العقيق فخرج الناس ينظرون إليه وخرجت فيهم مع إخواني أولئك وظئري فجلسنا مجلسنا الأول بعينه، فما كنا والنسوة "إلا" كفرسي رهان، وأومأت إلى ظئري إيماءً، عرفتها به فجلسن قريباً منا، فقلتُ لظئري: قولي لهذه الجارية، يقول لك هذا، والله لقد أحسن الذي يقول:

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت **وقد غادرت جرحاً به وندوبا**

فمضت فقالت ذلك لها، فقالت: ارجعي فقولي له: لقد أحسن القائل وأحسن من أجابه حيث يقول:

بنا مثل ما تشكو، فصبراً لعلنا **نرى فرجاً يشفي السقام قريباً**

فأمسكتُ عن الجواب خوفاً من أن يظهر ما يفضحنا جميعاً، وعرفت ما أردت، فقامت منصرفاً، وقامت لقيامي، وتبعها ظئري، حتى عرفت منزلها، وسارت إلي فأخذت بيدي، وسرنا إليها وما زلنا نتلطف حتى اجتمعنا معها على سبيل المجالسة والمؤانسة، واتصل ذلك حتى شاع حديثنا وظهر ما بيننا فحجبها أبوها عني وتشدد عليّ، فلم أزل مجتهداً في لقائها، فلم أقدر عليه، فشكوت حالي إلى أبي، وسألته أن يخطبها إلي، فجمع مشيخة أهلنا، مضى إلى أبيها راغباً إليه في المصاهرة، فقال: لو كان بدأ بذلك قبل أن يفضحها لأسعفته بما التمس، لكنه قد شهرها وعيَّرها فما كنت لأحقق قولَ الناس فيها بتزويجها إياها،

فانصرفتُ على يأس منها ومن نفسي، فسألته عن منزله فعرفني فرزته وكثرت عنده، وكانت بيننا عشرة، ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على رسمي فغنيتُ جعفرًا في شعر الفتي أولَ ما غنيت، فطرب طرباً شديداً، وشرب عليه أقداحاً، وقال: ويلك ما هذا الصوت، ومن أين هو لك؟ فقلت: صنعته منذ أيام، وحديثه أظرف منه، فقال: ما هو؟ فحدثته بحديث الفتي، فأمرني بالركوب إليه وأن أجعله على ثقة من بلوغه ما يجب، فمضيت إليه، وأحضرتة، فاستعادة جعفر الحديث، فأعاده عليه، فقال: هي في ذمتي حتى أزوجك إياها، فطابت نفسه، وأقام معنا، فلما أصبح جعفر، ركب إلى الرشيد فحدثه بالحديث، فاستطرفه، وأمر بإحضارنا جميعاً فحضرنا واستعاد الصوت فأعدته وشرب عليه، وسأل الفتي عن حديثه فأعاده عليه فأمر بالكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وأهله وولده مبعجلاً مكرماً إلى حضرته، والإنفاق عليهم نفقة واسعة سنوية فلم يمض إلا مدة يسيرة حتى حضروا، فأمر الرشيد بإيصال الرجل إليه فأحضر وأمره بتزويج الجارية من الفتي وأعطاه ألف دينار، فزوج الفتي الجارية بحضرته وانصرتنا، وأمر جعفر لكل واحد منا بألف دينار، نُقلت إليه أهله ولم يزل بعد ذلك من ندماء جعفر حتى حدث عليه ما حدث فعاد بأهله إلى المدينة.

ومن أدركته وعاشرتة، عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب، وذكرته هاهنا لأنه يلحق الأمراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم، بل كان واحد عصره في الغناء الرائع، والأدب البارع والشعر الرقيق، واللفظ الأنيق، ورقة الطبع، وإصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يُلحق فيها، مع شرف النفس وعلو الهمة، وكان قد قطع عمره وأفنى دهره، في اللهو واللعب والفكاهة والطرب، وأعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه، وصنعة اللحون "و" كثيراً ما يقول الأبيات الحسنة في المعاني اللطيفة، ويصوغ الألحان المطربة البديعة المعجبة، اختراعاً منه وحذاقاً، وكانت له في ذلك قريحة، وطبع، وكان إذا لم يزره أحدٌ من إخوانه حضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته، منهم حُببش، ولده، وعبد الله ابن أخيه، وعلي، وإبراهيم وإسماعيل، بنو قيس، وعامر الشطرنجي، وبعض غلمانته، كل هؤلاء يغنون ويحيدون، فلا يزالون يغنون بين يديه، حتى يطرب فيدعو بالعود ويغني لنفسه ولهم. وكان بشارة الزامر الذي يزمر عليه، من حذاق زمرة المشرق، وكان بعيد الهمة سمحاً بما يجد، تغلُّ عليه ضياعه في كل عام أموالاً فلا تحول السنة حتى ينفذ جميع ذلك ويستسلف غيره، فكان لا يطرأ من المشرق مُغنٍ إلا سأل من يقصد لهذا الشأن فيدل عليه، فمن وصل إليه منهم استقبله بصنوف البر والإكرام، وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه إلى أحد من الناس، فلا يزال معه في صبوح وغبوق، وهو يجدد له في كل يوم كرامة حتى يأخذ ما عنده من صوت مطربٍ أو حكاية نادرة. وجلس يوماً وقد زاره رجلان من إخوانه وحضر أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا في الغناء فارتج المجلس، إذ دخل عليه بعض غلمانته فقال: بالباب رل غريب،

عليه ثياب سفر، ذكر أنه ضيفٌ، فأمر بإدخاله فإذا رجل سياط، رث الهيئة فسلم عليه، فقال: أين بلد الرجل، قال: البصرة، فرحب به، وأمره بالجلوس، فجلس مع الغلمان حتى انتهى إلى آخرهم، فلما سكتوا اندفع يغني بصوتٍ ندي وطبعٍ حسنٍ:

ألا يا دار ما الهجرُ
سقيت الغيث من دارٍ
ولو شئت لما استسقيت عيناً غير أجفاني
بنفسي حل أهلوك وإن بانوا بسلوان
وما الدهر بمأمونٍ
على تشتيت خلانٍ
لسكانك من شاني
وإن هيجت أشجاني

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين الحذق في إشارته، والطيب في طبعه، وقال: يا غلام، خذ بيده إلى الحمام وعجل عليَّ به، فأدخل الحمام ونظَّف، ثم دعا عبد الوهاب بخلعةٍ من ثيابه فألقيت عليه، ورفعته وأجلسه عن يساره وأقبل عليه وبسطه فغنى له:

قومي امزجي التبر باللجين
واغتتمي نومة الليالي
فقد لعمرى أقرَّ منَّا
ذات الخلاخيل أبصرته
واحتلمي الرطل باليدين
فربَّما أوقظت لحيني
هلالُ شوال كلَّ عينٍ
كنصف خلخالها اللجين

فطرب وشرب واستزاده فغناه:

من لي على رغم الحسود بقهوةٍ
موج من الذهب المذاب يضمه
والنجم في أفق السماء كأنه
عين تخالس أعين الرقباء
بكر ربيبة حانةٍ عذراء
كأس كقشر الدرة البيضاء

فشرب عبد الوهاب ثم قال زدي، فغناه:

وأنت التي أشرق عيني بمائها
وأغريتها بالدمع حتى جفونها
وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا
لتذكر، من فقد الكرى، بعضها بعضا

فمرَّ يوم من أحسن الأيام وأطيبها، ووصله وأحسن إليه، ولم يزل عنده مقرباً مكرماً، وكان خليعاً ماجناً مشتهداً بالنيذ ولزوم المواخير، ثم وصفت له الأندلس وطبيها وكثرة خمورها، فمضى إليها ومات بها.

وعلى نحو هذا الحال كان يفعل بكل طارئٍ يطرأ من المشرق، ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب. وحضرنا عنده يوماً وقد أتى بنرجس نوري في غاية الحسن والرؤاء، ونهاية الطيب واذكاء، وقد تناقل عن الغناء ولم ير له نشاطاً فلما وضع النرجس بين يديه، أمر بمجامر فأحرق فيها نذً وعنبر، لإيراد عليّ بن الطيّب تحريكه، وكان من جملة الكتاب الرؤساء والشعراء والأدباء، فقال: أتعرفون في وصف النرجس أحسن من قول عليّ بن العباس الرومي، وأنشد له:

للنرجس الفضل المبين وإن أبي

فصل القضية، أن هذا قائدٌ

وإذا احتفظت به فأمنعُ صاحبٍ

ينهى النديم عن القبيح بلحظه

هذي النجوم هي التي ربتهما

3 فانظر إلى الأخوين من أدناهما=شبهاً بوالده فذاك الماحدُ

أين الخدودُ من العيون نفاسةً

ورياسةً لولا القياسُ الفاسدُ
فاستحسنها وتناول باقةً ودعا برطلٍ ليشربه فقلتُ له: مهلاً حتى أنشدك ما جمع فيه من تشبيه ما في يمينك ويسارك، وأنشده:

أدرك ثقاتك إنهم وقعوا

فهم بحالٍ لو بصرت بها

ريحانهم ذهبٌ على دُررٍ

يانرجس الدنيا، أقم أبداً

وله في هذه الأبيات لحن طيب وإنما أردت تذكيره وتحريكه فلم يزل يُسر بذلك وارتاح له، وشب، وأمر بالعود، وكان يُصلح له قبل أن يؤتى به، فجسَّه وغنَّى في نحو ما أنشد، وما علمنا في ذلك الوقت أن الشعر له أو لغيره، وهو:

نبّه نديمك يا غلا

بأدر إليّ بسكرةٍ

واجمع لنرجسك المدا

واشرب عليه شبيهه

مُ فإنّ ذا يومٍ أغرُ

فإذا فعلت فأنت حرُ

م فإن جمعها يسرُ

وكلاهما ذهبٌ ودُرُ

ثم غنّى بعده نشيداً:

ما خابَ من جعل الجزيرة موطناً
تحيا النفوس بطيبها فكأنها
وكان نرجسها عيونٌ كُحلتُ
وبسيطه:

على بغداد من قلبي السلامُ
لئن أُخرجت من بغداد كرهاً
أذوب صباباً وأموت عشقاً
تحية من أضرَّ به السقامُ
فإن القلب فيها مستهامُ
وأحسدُ من له فيها مقامُ

ثم لم يغن في مجلسه بقية يومه إلا في النرجس، ومنع من حفظه غلبة السكر، وكان قد صفا ذهنه، وخلصت قريحته في ذها الشأن، فحدثنا أنه نام ليلةً حتى رأى فيما يرى النائم كأن شخصاً نظيف الثياب، طيب الرائحة دخل عليه فسلم وجلس إلى جانبه، قال: فقلت: من تكون أصلحك الله، قال: إسحق بن إبراهيم الموصللي، قلت: ما أشوقني إلى لقائك، وأشدُّ حرصي على استماع صوت من أغانيك التي لحنتها ولم يسبقك أحدٌ إليها، فدعا بعودٍ فأصلحه وضرب وغنّى:

تلاعبت بي لا أنت بالهجر متلفٌ
تؤاهلني طوراً، وتهجر تارةً
فلو دمت في هجري، لسببت ميتتي ومن مات من جور الهوى عرّض الأجر
فكم عبرة للعين أجريتها دماً
لعل الذي أضحى له الأمر كله
حياتي ولا بالوصل جددت لي عمراً
دللاً، فلا وصلاً تُديم ولا هجراً
وكم حرقةً في الصدِّ أذكيته جمر
على طول ما ألقاه يحدث لي أمراً

فقبلت يده فرحاً وأخذت عوداً وغنّيته معه وانتبهت فكتبتته وغنّيته كما سمعته، فكان كثيراً ما يغنيه ويقترحه إعجاباً بحسن صنعته فيه. وتترهنا معه في بعض أسفاره إلى المهديّة، فبكرنا يوماً ومعنا طيور وكلابٌ صيدٌ وتوجهنا إلى نحو سلطته فأخذت الأطيّار حجلاً وأرانب ونزلنا بكرمٍ ظليل وأتينا بما أصطيد لنا من السمك فأمر غلماناه فحفروا حفيرة وأوقدوا ناراً وجعلوا يشوون من صيدنا ويلقونه إلينا ويديرون الكئوس علينا ونحن في ألد عيش وأطيبه إلى أن غيّم السماء وأتت بطلٌّ ورداذٍ وكان فصل الربيع فقال: الآن أكمل يومنا، ودعا بالدواة فكتب:

يا طيب غمنا طيب لذته
ونحن نشربها صهباء صافيةً
فالجو يخضب وجه النار من بردٍ
ضدَّانٍ خوثهما سلِّمٌ لأنفسنا
حتى وصلنا به الأصال بالبكرِ
ونشتوي صيدنا في مُحكم الحُفرِ
والنار تخضب وجه الجو بالشررِ
تراجما بحصى الياقوت والدررِ
وانعم به واحبُّهُ باللهو تحليّةً
واعدِّدْهُ في الدهر من أيامك الغررِ

وقام جيش ولده ويده زورق فضة، فجعل يلتقط به ما استقرَّ من قطر المطر ويمزج به كأسه فنظر إليه أبوه فقال:

وكأسٍ شربناها بماء قرارة
فما زال يسقيني ويمزج كأسه
فيا غيث خيم في ملاعب جنة
تلقطها السَّاقِي بزورق فضةٍ
بزورقه حتى حظيتُ بسكرةٍ
فلم أنسَ فيها طيب يوم وليلةٍ

ثم انصرفنا فصاغ للشعرين لحناً وغنّى فيهما حتى الصباح.

ونظر إلى بشارة غلامه وكان مليحاً ظريفاً يتولى السقي فأعجبه فقال، وغنّى فيه:

أحاملها من لؤلؤٍ وعقيق
أدراها علينا يا لك الخير، إننا
وما زجها من سلسلٍ ورحيق
سلكنا إلى اللذات كلَّ طريق

ومن شعره وغنائه:

حيّاك ظبيٍّ وصلُّهُ
أبدأ يُشّاب بصدّه

حيّاً بوردٍ أحمرٍ=وبنفسجٍ في نضده فحككت تحيته سواد عذاره في خده ومن شعره وغنائه، وكان قد عرف الأيام حقَّ معرفتها فقطعها اغتناماً: كُنْ عن العذلِ ذا صَمَمٍ=وانفٍ عن نفسك التَّدَمُّ

واقطع الدهر بالسرور على رغم من رغم
فالذي تبتغي وترجوه قد خطّه القلم

وقال إبراهيم بن العباس الصولي: عزم الفضل بن مروان وزير المعتصم على أن يدعوه وخاصته إلى منزله وبلغني ذلك وكان لي صديقاً، فأشرت عليه ألا يفعل، فأبى وقال: قد رهنت لساني بذلك، ورأيتة يشتهيهِ فدعاه. قال إبراهيم: فإني لجالس إذا جاءني رسول الفضل بن مروان "يقول": "أحبُّ أن تصير إليَّ الساعة، فوافيته، فخرج إلي متحيراً، فقال: أشرت عليَّ بصواب فأبيتة، قلت: فما الخبر، قال: لم يبق شيءٌ

حسن إلا وقد علقته وفرشته، ولا آنية حسنة، إلا وقد استعملتها وأظهرتها، وجاءني أمير المؤمنين مسروراً وأمرت بالطعام فلما أحضرته، أمسك بطنه وقال: قد وجدت مَغْسَانً وامتنع عن الأكل، وأظنُّ ذلك لاستنكاره ما رأى لي، فما الحيلة؟ قلت: إذا أتتك رقاعي فأطهرها بين يديه، وأجبي عنها، وجعلت أوترُ رقاعي إليه: أن أصحاب خزائن أمير المؤمنين قد طلبوا الآنية والأمتعة المستعارة منهم، وقد سألتهم الصبر إلى وقت قيام أمير المؤمنين، فأبعث إليهم من يعينني عليهم، فجعل يظهرها ويكتب أجوبتها بين يدي المعتصم، فقال ما هذا يا فضل؟ قال: أصحاب خزائن أمير المؤمنين استعجلوني في ردِّ ما استعرتهم منهم وتجملتُ به في هذا اليوم الذي شرفني فيه أمير المؤمنين بدخول منزلي، فقال المعتصم: يا فضل، هذا من خزائننا، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وليس شيءٌ منه لك، قال: من أين أنا أملك هذا، قال: فإني أهبه لك، وأمر الخدم أن يضربوا رؤوس من يستعجله في ذلك، وقال: قد خفَّ ما كنتُ أجد فهات طعامك، فأكل وأكل الناس معه وشرب وشربوا، وأقام إلى سحر النهار وانصرف مسروراً.

ولما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي، استشار أصحابه، فكلهم أشار بقتله، إلا الحسن بن سهل، فإنه قال: إن قتلته فعلت ما فعله الناس قبلك، وإن عفوت عنه تفردت بمكرمة لم يأتما أحدٌ قبلك، قال: فإني أختار هذا، وعفا عنه.

ودخل الحسن على المأمون وهو على شرابه فناوله قدحاً وقال له: بحق عليك إلا أمرت من شئت أن يغنيك لفاوماً إلى إبراهيم بن المهدي، فأمره المأمون أن يغني له، فاندفع يغني بشعر الأعشى:

**تسمعُ للحطي وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريحٍ عشرقٍ زَجَلُ**

فشرب الحسن وخرج، فوثب المأمون عن مجلسه مغضباً وقال: عليَّ إبراهيم، فجاء وهو يُرعد، فقال له: لا تدعُ كبرك وتيهك، ولا تعرف حقَّ المنعم عليك، أنفت من إيماء الحسن إليك بالغناء، فغنيت معروضاً بما يعرض من المراد، أما والله ما أحيالك بعد الله غيره، فلا تعد لمتلها، قال "يا" أمير المؤمنين: ومن يبحث عقله وتهتدي قريحته لمثل هذا، لست أعودُ إليه أبداً.

ولما تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل انحدر إلى "قم الصلح" وهي المدينة التي بناها الحسن بن سهل على دجلة، فبنى ببوران، وأقام المأمون وسائر قواده ورجاله، في ضيافته أربعين يوماً، يأكلون ويشربون ويسمعون كل ملهية ومُله كانوا ببغداد، وكتب رقاعاً صغاراً، فيها أسماء ضياع ومستغلات وعدد أموال، وجعلها في بنادق مسكٍ وعنبر، ونثرت على القواد والوجه، فما وقع منها بيد كل واحدٍ مضى بها إلى وكلاء الحسن فتسلم ما فيها.

ولما جُليت بوران على المأمون، أشعلت بين يديه شمعة عنبر فيها مائة رطل، وفرش له حصير من ذهب

مرصع بالجوهر، وجيء بمكتلٍ من ذهبٍ مرصعٍ بالجوهر فيه حبُّ دُرٍّ، فنشر على ذلك الحصير فقال المأمون: قاتل الله أبا نواس، كأنه كان يشاهد هذا حيث قال: كأن صغرى وكبرى من فواقعها=حصباء دُرٌّ على أرض من الذهب قال الحسن بن رجاء: فكنا نُجري على ستة وثلاثين ألف ملاحٍ بالسفن، المقيمين بمقام المأمون عنده، وبلغ إنفاق الحسن في هذه الوليمة، أربعة آلاف ألف دينار، فعاتبه المأمون في حمله على نفسه، فقال: يا أمير المؤمنين أترى هذا من مال سهل؛ والله ما ههو إلا من مالك. وكتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب، وقد اصطبح في يوم غيم لم يمطر: أما ترى تكافؤ الطمع واليأس، في يومنا بقرب المطر، وبعده "في" قول كثير:

تخليتُ مما بيننا وتخلتِ

وإني وتهيامي بعزّة بعدما

تبوأ منها للمقبل اضمحلتِ

كالمرتجي ظل الغمامة كلما

وما أمنيّتي إلا في لقائك، ورقعتي هذه، وقد أدرت زجاجات أخذت من عقلي، ولم تحيفه، وبعثت نشاطاً حركني على الكتاب إليك، فأريك في إنظاري سروراً بسار خبيرك، إذ حرمت السرور بالمطر في هذا اليوم، موفقاً إن شاء الله.

فكتب الحسن بن وهب: وصل كتاب الأمير أيده الله، ويدي عاملة، وفمي طاعم، ولذلك تأخر الجواب قليلاً، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا اليوم وإساءته، وما استحق ذمّاً لأنه إن أشمسَ حكى ضياءك وحسنك، وإن أمطر أشبه سخاءك وبرّك وجودك، وإن أغام ولم يشمس ولم يُمطر، فقد أشبه طيب ظلك ولذة فنائك، وسؤال الأمير، أيده الله، عنّي، نعمة من نعم الله عليّ، أعفي بها آثار الزمان المسيء، وأنا، كما يجب الأمير، صرف الله الحوادث عنه وعن حظّي منه. وقال أحمد بن أبي سلمة الكاتب: حضرت مجلساً فيه عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف، فغنت قينة صوتاً أجادته وهو:

مَضُوا قَبْلَهُمْ صَلُّوا عَلَيْهِمْ وَسَلَّمُوا

أَناس مَضُوا كَانُوا إِذَا ذَكَرَ الْأَلَى

فقال عمرو بن مسعدة: هو والله حسن، إلا أنه بيت مفرد، فأضيفوا إليه بيتاً آخر فإنه أحسن له، وأمكن للغناء فيه، فقال أحمد بن يوسف:

أَقْمَنَا قَلِيلاً بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلَهُمْ غَيْرَ أَنَا

فأضيف إلى البيت الأول، وغنّت فيه القينة، وطربوا وشربوا عليه بقية يومهم، وما زال أحمد بن يوسف مكيناً عند المأمون، يتولى له ديوان الضياع، حتى غضب عليه.

وكان سبب ذلك؛ أن المأمون جلس يوماً فقال لأصحابه: نجلس غداً مصطبحين، نجلس خلوةً فلا يكون معنا من نحتشمه، ثم أقبل على أحمد بن يوسف، فقال: كن المختار لمن يجالسنا في غد، فقال: نعم، يا أمير المؤمنين: إبراهيم بن المهدي يلهيك ويؤنسك، وابن سمير يحدثك، قال نعم، وأنت يا أحمد، قال: وأنا يا أمير المؤمنين. وبكروا، فحجب الناس، وجاء الحسن بن سهل فاستؤذن له فقال: يدخل، فقال أحمد: وكان الحسن اصطنعه، يا أمير المؤمنين، هذا خلاف ما ضمنت، قال: ويحك، أبو محمد لا يُحجب، فدخل فقال له المأمون، يا أبا محمد، هذا مجلس اقتضينا ولولا ذلك لبعثت إليك، فأقم عندنا، فقال: يا أمير المؤمنين، تمم الله لك السرور، وأنا أجد في بدني شيئاً يمنعني من خدمة أمير المؤمنين، وحضور مجلسه، فإن رأى أن يأذن لي في الانصراف، وألح المأمون في مسألته، ثم أذن له لما امتنع، فلما خرج، قال أحمد، يا أمير المؤمنين: "ليتك" ما اعتذرت إلى الحسن، قال: ليس هو باعتذار، قال أحمد: فترضى بإبراهيم بيننا حكماً، فأعانه إبراهيم، فقال له المأمون: لقد شاورت الناس فيك فكلهم أشار بقتلك، وما منعني من ذلك غير أبي محمد، وهو أجلسك هذا المجلس، فإذا لم تشكره فأنت حر، ألا تشكر غيره، والله لا جلست مجلسك هذا أبداً، وألزمه منزله حتى مات.

قال سليمان بن وهب: لما نكيتي الوراق قال لمحمد بن عبد الملك، عذب سليمان بن وهب، وضيّق عليه وطالبه بالأموال، قال: فألبسني جبة صوف وقيدني، وكان يحضري دار الخليفة، ويخاطبني أغلظ مخاطبة، ويتهددني، ويعاملني أقبح معاملة وأشنعها، ويثبت أصحاب الأخبار بالخبر إلى الوراق فيعجبه ذلك، وإذا كان الليل، أمر بتزع قيودي وأخذ الجبة عني وخلّع عليّ، فنأكل ونشرب ونأنس، ونخرج إلى خواص جواريه نخدمنا ويفضي إليّ بأسراره وأموره، فإذا كان وقت انصرافنا، ضرب بيده على يدي وقال: يا أيوب أيوب، هذا حق المودة، وذاك حق السلطان، فلا تنكر هذا ولا تنكر ذاك، فأشكره على فعله، فإذا كان من غدٍ عدنا إلى ما كنا عليه كأننا ما تعارفنا، وهذا حديث غريب عن ابن الزيات.

وكان الحسن بن وهب يتعشق "بنان" جارية ابن حماد، وكان لا ينقطع عن منزلها، وأنفق عليها أموالاً جسيمة، وبلغ من اشتهاه بها أن الوراق أمر إيتاخ بعمل حلتين على صورة دفعها إليه، فتقدم إيتاخ بذلك إلى سليمان بن وهب، وهو يومئذ كاتبه، فجد في أمر الحلتين حتى فرغ الصنّاع منهما وأحضرتا، وعرضتا على الوراق، فاستحسنهما وأمر بقطعهما، وسأل سليمان الحسن النيابة عنه في ذلك، فقطع إحدهما وخلعها على "بنان" واتصل الخبر بسليمان، فقامت عليه القيامة وأمر بإحضار الوشائين وطلب شكلاً لهما فلم يجده، فابتاع ما يقارهما بخمسة آلاف دينار، وصدق إيتاخ عن خبره، وطلبهما الوراق، فرافعه إيتاخ، وتعلل عليه، إلى أن فرغ الخياطون منهما، فلما رأهما الوراق أنكرهما، ودعا بإيتاخ، فسأله عن السبب

فصدقه، فضحك ضحكاً شديداً، ونفد خادماً إلى الحسن وأمره بإحضاره، فلما دخل إليه قال له: تأخذ ثوبي وتقطعه لصاحبك، جراً عليّ، قال: يا أمير المؤمنين أنت تقدر على أمثاله وأنا لا أقدر على ذلك، فازداد ضحكاً، وخلع عليه وصرفه.

وسأل الحسن "بنان" زيارته فقالت: أفرق من مولاي، فقال: ويقول الحبيب أفرق مولاي فقل لي، مولاي، من مولاكا لك عبداً، عبيده فوق مولاك، ومولاك ليس ينكر ذاكما قال أبو الفرج الأصبهاني: كان الحسن بن وهب قد عشق "بنان" جارية محمد بن حماد عشقاً مبرحاً، وكانت من الحسن والظرف والأدب وجودة الغناء، على غاية ما تسمو إليه النفوس، فأنفق عليها في مدة قريبة ثلاثين ألف دينار، وإنما يزورها في بيت مولاها، فلما به بعض إخوانه على ذلك وعدله، وقالوا: لو أعطيت مولاها بعض ما أنفقت عليها لباعها فحظيت بملكها، ولم تشارك فيها، فقال: هيهات، عندي ثلاثون جارية ما منهن واحدة دونها، لو سئلتهن ساعة منها لبدلتهن ثمناً لها، إن الملكة والإحاطة، تورث الملالة، وإنكم لا تدرن طعام لذة الممانعة، وكيف طيب المسارعة، والمخالسة، واستغفال الرقيب بانتهاز الفرصة وإيقاع المكشحة بالمولى.

قال: وغضبت عليه مرة غضباً شديداً، فأعرضت عنه وهجرته، فقامت قيامته، ولم يدر كيف يترضاها، فركب إلى أحمد بن المدبر وعليه ثياب سواد، فقال: ما هذا اللباس وليس من عادتك، قال: غضبت عليّ "بنان" فلبست الحداد حتى أموت أو ترضى، وقد عولت عليك في ترضيها لي، قال: فركب إليها أحمد بن المدبر فلم يزل يستعطفها بلطافته وبلاغته ويترضاها حتى قالت: قد رضيت عنه بشفاعتك فيه، على أن تلبث عندي وترسل إليه حتى يجيء فأكايدته بك قليلاً، ووقع اسم المدبر من قلبها موقعاً لطيفاً، فقال: نعم، وأرسل إليه، يعلمه أنها قد رضيت عنه، ويسأله أن يصير إليها، حتى يتولى بينهما العهد وتأكيد الصلة، فأقبل مسرعاً لا يعقل سروراً، فلما رأته أعرضت عنه وأقبلت على ابن المدبر بالضحك والمداعبة والمجادبة، والحسن بن وهب جالس في ناحية، فلما طال عليه ذلك، دعا بدواة وقرطاس وكتب إليه:

بعثت رسولاً، فأضحى خليلاً

وكننت الخليل وكان الرسول

كذا من بوجه في حاجة

إلى من يحب رسولاً نبيلاً

ثم دفع القرطاس إليها، فلما قرأت ما فيه استحييت، وتذمت وأقبلت عليه، بالرضا والضحك، وعانقته وعانقتها وتفرقوا ومضى من فوره، الحسن بن وهب، فأهدى إليها ثوباً بمائتي دينار، مُمسكاً بمائتي دينار، مبروداً في العنبر، والعنبر محشو في برنية بلور.

وكان قد تعلق فيما بينها وبين ابن المدبر، في مجلسها ذلك، هوىً أخذ بقلبيهما معاً، فبعث ابن المدبر يستزيرها فزارته، ولبست ذلك الممسك، فقال: ما هذا؟ قالت: أهدها وحياتك لي أمس، حسن ابن وهب فلبسته اليوم وجئتك به، قال: فليس يجب أن نقصر في حقه ولا نعطله من برّه، قالت: رأيك أرشد وأمرك طاعة، وقربك أسعد السعادة، فقام إليها فأشبعها عملاً فيه ثم كتب إلى الحسن:

أهدى إليها قميصاً
فيها سعادة حرها
والنبيك فيه لغيره
ويا شقاوة أيرره

فاشتهر ذلك بسر من رأى وبلغ عدال الحسن فيها ونصحائه فقالوا له، قد نصحنك فلم تقبل، فلا يُعد الله إلا رأيك، فيقال إنه مات على إثر ذلك، حسرة وكمداً، وبلغها أمره فلبست حداداً وندبته وكانت كما قيل:

لا أعرفنك بعد اليوم تتدبني
وفي حياتي ما زودتني زادا

وحجبها ابن حمّاد مرّة ومنعها منه، وبلغ الحسن أنه دعا جماعةً من إخوانه، في يوم جمعة وعزم على إخراجها إليهم، فكتب الحسن إليها:

يومنا يوم جمعة بأبي أنت
فامنعيهم منك البشاشة حتى
وليكن منك، طول يومك،
وارفعي عنهم الغناء، وإن نابك
وذاكري مغرماً، بحبك أضحى
وعند الوضع لا شك
يتغشاهم من البرد نوم
الله، صلاة إلى المساء وصوم
عدل من الوضع ولوم
همه أن يسره منك يوم

فوقعت الرقعة في يد ابن حمّاد، فعلم أن جاريته، ستفعل ما أمر به الحسن، ومتى فعلت فسد مجلسه فكتب إليه يسترضيه، وسأله أن يصير إليه. ففعل الحسن ذلك وصالح ما بينهما وفيه يقول:

ما لمولاي عاجلته المنايا
قد حمانيك قاصداً لي
وعلا فوقه صفيح وترب
بما أكره عمداً وأنت للناس نهب

وكان الحسن لا يصحو من الشراب، فقال له سليمان أخوه: أراك اليوم فارغاً. قال: نعم، ولذلك لا أعده من عمري، وأنشده بديهةً:

إذا كان يومي غير مُدامة
ولا يوم فتیان فما هو من عمري

وإن كان معموراً بعودٍ وقهوةٍ فذلك مسروقٍ لعمرى من الدهر

وكان يوماً يشرب عند محمد بن عبد الله بن طاهر فعرضت سحابةً فبرقت ورعدت ومطرت فقال له: يا أبا علي، قل في هذا شيئاً، فقال:

هطلتنا السماء هطلاً دراكاً عارض المرزمان فيه السماكا

قلت للبرق إذ توقد "ليلاً" يا زناد السماء من أدراكا

أتشبهت بالأمير أبي العباس في جوده، فلست هناكا

وحضرت "بنان" جارية محمد بن حمّاد عند الحسن في يوم باردٍ وبين يديه كانون فيه فحمٌ فأمرت أن يُزال من المجلس، فقال الحسن:

بأبي، كرهت النار حتى أبعدت فعلمت ما معنأك في إبعادها

هي ضرة لك في التماع ضيائها وبحسن صورتها لدى إيقادها

وأرى صنيعك في القلوب صنيعها بأراكها وسيالها وقتادها

شركتك في كل الأمور بحسنها وضيائها وصلاحها وفسادها

وكتب إلى صديق له يدعوه:

بحسن هذا الضباب وحرمة الأصحاب

وطيب يوم التلاقي بطاعة الأحاب

إلا أطعت مرادي فكنت، أنت، جوابي

وقال الحسن يوماً: شربت البارحة على وجه الجوزاء، فلما انتبه الفجر، نمت فما عقلت حتى ألحفتني رداء الشمس.

وكتب الحسن بن وهب، إلى الحسن بن رجاءٍ في يوم شكٍّ وقد أظفر الخليفة الواثق:

هزرتك للصَّبوح وقد نهانا أمير المؤمنين عن الصيام

وعندي من قيان القصر عشرٌ يطيب بهنَّ إيمان المُدام

فكن أنتَ الجواب فليس شيءٌ أسرَّ إليَّ من حذفِ الكلام

فلما قرأ الأبيات، ركب إليه فكان جوابه.

وسأل الحارث بن بُسخَّر الرشيدي أن يُكرمه ويرفع ذكره بزيارته فأجابته، فأنفق أموالاً جليلاً واحتفل

ووجهه إلى ندماء الرشيد يدعوهم إلى مجلسه، ولم يبعث إلى جعفر بن يحيى، فلما هم الرشيد بالنهوض إليه؛ قال لجعفر: قم بنا، قال: يا أمير المؤمنين، لم يدعي، فكيف أنهض إليه، فغضب الرشيد واحمر وجهه وقال: ويلى على ابن الزانية، بحياتي إلا ركبت برذوني وتقنعت ومضيت ومعك خدمي حتى تصير إليه، ثم تنزل إلى باب مجلسه وتجلس على فرشها التي هيأها لي، ولا تكلم أحداً حتى أوافيك، فإذا طلعت عليك، إياك أن تقوم من مجلسك، ففعل ذلك، فلما طلع عليهم جعفر، ونظروا إليه، على برذون الخليفة وحوله مسرور وحسين وخاقان وكبار خدمه يمشون حوله وبين يديه، وقد قنع رأسه بطيلسانه، لم يشكوا أنه أمير المؤمنين، فوثبوا إليه وقبلوا الأرض بين يديه، فإذا هو جعفر، فدهشوا، ونزل على الفرش التي هيئت للرشيد ولم يكلم أحداً، وجاء الرشيد في إثره، فلم يقم إليه، وجاء وجلس معه ثم قال: يا أخي، إنه لم يدعك، فما جلوسنا هنا، وأخذ بيده، وقاما فانصرفا، ولا طعماً ولا شرباً، فخجل القوم، ومات ابن بسخر مما صنع به، وقام الندماء فانصرفوا عنه، وبقي في أحزى حال وأذلها.

وجلس المأمون يوماً للنظر في المظالم فوقف إليه رجل "قال: من أنت؟ قال: محمد بن جميل، أحد كتاب الفضل بن يحيى" فقال: يا أمير المؤمنين كنت في ناحية البرامكة فلما أصابهم قد الله وقبضت ضياعهم، قبضت ضيعتي فيما قبض لهم، وقد أضر ذلك بي، فإن رأيت أن تلحقني بمن شمله عدلك وغمره فضلك، وتحقق حسن ظني بك، وجميل أمني فيك فعلت، قال: من أنت، قال: "محمد بن جميل أحد كتاب الفضل بن يحيى"، فاستحسن المأمون هيئته وكلامه، وقال لأحمد بن أبي خالد: اكتب إليه برد ضيعته وضمه إلى جملة، وأحسن إليه، وكان يحضر طعامه وشرابه فلا يسمع منه حديثاً، إلا الافتخار بأيام البرامكة، وذكر مناقبهم وتعظيم شأنهم، فغاضه ذلك فأمر بحبس، فأقام في الحبس أربعة أشهر، إلى أن ذكره المأمون فسأل عنه فأخبر بامر، فأمر المأمون بإحضاره على حاله تلك، فحمل إليه فقال له: بلغني ما كان من إطرائك البرامكة فقال: أتكلم بأمان يا أمير المؤمنين، قال: نعم، قال: والله لقد كانوا شفاء سقام دهرهم، وغيث جذب عصرهم، وما زالوا كهفاً لللاجئين، ومفرعاً للملهوفين، فإن أمر أمير المؤمنين حديثه ببعض حديثهم فيعذرني على الميل إليهم قال: هات حديثك، قال: يا أمير المؤمنين قد كانت لي بهم حُرمة، وصارت إلي من فضلهم نعمة، فقال لي الفضل يوماً، يا محمد، قلت لبيك، قال: اشتهي أن تدعوني إلى منزلك كما يدعو الصديق صديقه، والأخ أخاه فتقعدي، على فرش بيتك وتطعمني من طبيخ أهلِكَ، قلت: شأنى أصغر من ذلك، وأحقر، وداري تضيق بذلك، فأبى عليّ، وقال: والله لا قبلت عُذرك، قلت: فاستأجلني حولاً أتأهب فيه لهذه الدعوة، فقال: لا أفعل يا بغيض، من يعطينا أمانه من الموت إلى سنة، ولكن قد أجلتكَ شهرين، فخرجت، فأخذت في إصلاح داري وأثاثي وآلتي إلى انقضاء الشهرين، فقال: يا محمد،

ما صنعت، قلت: ما أمر به الأمير، قال: فتأذن في البكور، قلت: يتفضل مولاي الأمير، قال: فبكرت عليّ يحيى والفضل وجعفر في خاصة خدمهم، فقال لي الفضل: إعرض علي ما طبخت، فعرفتته، فقال: عجل بلون كذا فإن الوزير يستطيه، يعني إياه، فأحضرتة وتتابع ما طبخ لهم، فأكلوا وخرج الفضل إلى صحن الدار فقال: من جيرانك، قلت: عن يميني فلان التاجر وفي ظهر داري رجل قد ابتاع براحاً وجمع إليه الصنّاع فهو لا يفتّر ولا يقصر في بنائه، قال: يا محمد أفتعرفه، قلت: لا والله، قال: علي ببناء وبنجار، فأتي بهما، فقال لهما: افتحاها هنا باباً، فقلت: بالله أنشدك أن لا تؤذي جاري بسبي، فأبى، ولم أجسر أعاوده، ففتح باباً، ودعا أباه وأخاه، فدخلا معه ودخلت معهم إلى دار لم تر الناس أحسن منها ولا أهدى قد بنيت بالرّخام والساج ومُرّهت بالذهب واللاذورد، وعمل في وسطها بستان قد نقلت إليه الأشجار للثمرة، وصنوف الزهر والرياحين، وإذا غلمان خصيان وفحول مُرد كالدرّ المنتور، وأقبل الفضل يطوف بالدار والخزائن، وإذا هي مشحونة بكل ما يشاكلها من الفُرش والأنية الحسنة، فقال: يا محمد، أيما أحسن، هذه الدار أم دارك وفرشك وآلتك، فقلت يا سيدي، وهل في الجنة إلا مثل هذه، ولا يجب أن يسكنها أحدٌ غيرك، فملاك الله وعمرك، قال: يا محمد، أتحب أن تكون لك، قلت: لا والله، ما أرى نفسي لها أهلاً، قال: فإنها والله لك، بكل ما فيها من آلة وفُرشٍ وعبيد، فُبهِتُ لا أُحيرُ جواباً، فقال: يا محمد، لا تستكبر هذا مع محلك عندنا ثم دعا بالطعام فأكلنا، وبالشراب فشربنا، فعطف يحيى على جعفر فقال: إن أبا العباس قد سبقك إلى ابتداء هذه المكرمة، فلا تفوتك خاتمتها، قال: وما ذاك؟ قال: إن محمداً قد حصل في هذه الدار بما فيها من الحشم والغلمان ولا نادة له يستعين بما عليهم فضررها عليه أكثر من نفعها، وضيعتك الفلانية تقيم أوده وتصلح حاله، قال: قد أمرت له بما وحزرتة إياها ودعا بكتابها فدفعه إليه، فسُرَّ يحيى وقال: لا أخلا كما الله من عارفة تشيدها ويد عند حُرِّ تصنعها وانصرفوا، فقال المأمون: لقد برز القوم في فضلهم فلا لوم عليك في إطرائهم وذكر مفاخرهم، وإفراطك في شكرهم، يدلّ على صدق حديثك، ويُرَغَّبُ في اصطناعك وأمر له بمائة ألف درهم وأثبتته في خواصه، وكان أحسن رجاله حالاً وأعلاهم همة.

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي: غدوت يوماً إلى الفضل بن يحيى مُسلماً عليه فقال لي: إن أمير المؤمنين بعث إليّ يعرفني أنه أحب اليوم الخلوة مع الحرّم وأمرني أن لا اركب، وقد كنت على البعثة إليك لنصطحب صبحاً، وأمر بإحضار الطعام والشراب، ومدّت الستارة، فطعمنا وشربنا وغنت جواريه فمرّ لنا أسرُّ وقت، فقال لي: يا أبا محمد، قد مللت كلّ ما يمر على سمعي من هذه الصوات وإن كانت في غاية الجودة وإحكام الصنعة فأطربني بشيء تصنعه الآن، فعملت في الوقت:

وقائل لي لما أن رأى زمني
 هل كاتبينكما فيما مضى ترة
 برى عظامي برى القدرح بالسفن
 فصار سعيك بالأوتار والإحن
 فقلت لو كان لي بالفضل معرفة
 فضل بن يحيى، لأعداني على الزمن
 هو الفتى الماجد الميمون طائره
 والمشتري الحمد بالغالي من الثمن

وصنعت له لحناً مطرباً فسُرَّ به واستعادني فيه مراراً، وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم وجدتها حين انصرافي قد سبقتني إلى منزلي.

وكان محمد بن إبراهيم قد ركبته ديناً، فقصدَ الفضل بن يحيى ومعه حقٌ فيه جوهرٌ وقال له: قصرت غلاتنا، وأغفل أمرنا خليفتنا ولزمتنا ديناً احتجنا له إلى ألف ألف درهم، وكرهت بذل وجهي للتجار، ولك من يطيعك منهم، ومعني رهنٌ ثقةً بذلك. فإن رأيت أن تأمر بعضهم بقبضه وحمل المال إلينا، فدعا الفضل بالحقِّ ورأى ما فيه وختمه بخاتم محمد بن إبراهيم، وقال: تُحوجُ الحاجة أن تقيم اليوم عندنا، فأقام ونهض الفضل فدعا بوكيل له وأمره بحمل المال وتسليمه إلى خادم محمد بن إبراهيم وتسليم الحقِّ الذي فيه الجوهر بختمه، ففعل الوكيل ذلك، وأقام محمد عنده في أكل وشربٍ وهو ولعبٌ إلى المغرب وليس عنده خبر، ثم انصرف إلى منزله فوجد المال والحقَّ فغدا على الفضل ليشكره، فوجده قد سبقه بالركوب إلى دار الرشيد فوقف منتظراً له، فقيل له قد خرج من الباب الآخر، فانصرف إلى منزله فوجد الفضل قد حَمَلَ إلى منزله ألف ألف درهم، فغدا عليه فشكره وقال: ما سبب هذا المال الآخر، جعلني الله فداك، قال: بتُّ ليلتي وقد طالت عليَّ غماً بما شكوته إلي، وأعلمتُ أمير المؤمنين بالحال، ولم أزل أملكه حتى أمر بحمل ألف ألف درهم، وذكر أنه لم يصلك بمثلها قط، فقال له: صدق أمير المؤمنين، وإنما همياً هذا بك، وعلى يديك، وما أقدر على شيء أفضي به حقك، ولا شكرٍ أؤدي معروفك، غير أن عليَّ وعليَّ، وحلف بأيمانٍ مؤكدة، إن وقفتُ بباب أحدٍ سواك أبداً، ولا سألتُ غيرك حاجةً أبداً، ولو استنفقتُ التراب، فكان لا يركب إلى غير باب الفضل حتى حدث من أمرهم ما حدث، فلزم بيته، فعوتب في إتيان الفضل بن الربيع فقال: والله لو عُمِّرت ألف عام، ما وقفتُ بباب أحدٍ بعد الفضل بن يحيى، ولا سألتُ أحداً بعده حاجةً حتى ألقى الله، فلم يزل على ذلك حتى مات.

وكان عمرو بن مسعدة، ويكنى "الفضل: وزرَ للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد، وكان من نزاهة النفس وعلو الهمة متشبهاً بالبرامكة، وكان إذا عزم على عمل رسالة شرب ثلاثة أرتال، فصفت قريحته، وانبعثت بديهته: فحكى ميمون بن هرون أن رجلين مرا بقصر عمرو بن مسعدة بعد بنائه إياه، فقال أحدهما لصاحبه، كم أنفق على هذا القصر، قال: أربعة وعشرون ألف ألف درهم، فقال: تبارك الله

وتعالى، هذا قَدَرَ على أربعة وعشرين ألف ألف درهم يصرفها في وجه واحد، وأنا أطلب ثمانية عشر ألفاً لا أقدر عليها، فبلغ قوله عمراً، فاستقصى عنه وعن سبب أمنيته ثمانية عشر ألفاً، فإذا هو يعيش جارية ثمنها عشرون ألفاً وليس في مملكته سوى ألفين، فاشتراها له وجهازها وضمه إليه، وكان في جملة ندمائه. وحضر عنده عبد الله بن طاهر يوماً، فلما وضع الشراب أخرج جاريةً يقال لها "نعمة"، حسنة الوجه، جيدة الضرب والغناء فافْتُنَّ بها عبد الله وأخذت بقلبه فتصبر ولم يظهر ما به، فلما انصرف كتب إلى عمرو:

لعمرك يا عمرو ما بيننا
إذا حصص الحق من حشمة
وقلبي، وإن كنت في منزلي،
بدارك، في راحتي، "نعمة"

فبعث بها إليه بجميع مالها من كسوة وفرش وخدم من ساعته.

دعا محمد بن عبد الله بن طاهر رجلاً من أصحابه دعوة تقدّم بها واحتفل فيها، فلما حضر محمد طالبه بالطعام فمطله، ليتلاحق ويتكامل، على ما أحبه من الكثرة والاحتفال، حتى تصرم أكثر النهار ومس محمداً الجوع، وتنغص عليه يومه، فشرب عنده أقداحاً، وانصرف وأراد بعد ذلك محمد سفراً فشيّعه هذا الرجل، فلما دنا منه ليودعه قال: أيا أمر الأمير بشيء، قال: نعم، اجعل طريقك في عودتك على محمد بن الحارث بن بسختر فسله أن يعلمك الفتوة. فمضى حتى دخل على محمد بغتةً وقال: بعثني الأمير إليك لتعلمني الفتوة، فضحك وقال: يا غلام هات ما حضر، فجيء بطبق كبير عليه ثلاثة أرغفة من أنظف الخبز، وثلاث سكرجات من خلّ وملح من أجود ما يتخذ من هذه الأصناف، فأبتدأ يأكل فجاءته فضلة باردة من مطبخه، وتداركها الطباخ بطباهجة، ثم وافاه من منزل حرمة فضلة أخرى، وأهدى إليه بعض غلمانة جام حلوى فانتظم له أمر خفيف ظريف في زمان يسير بغير إحشام ولا انتظار، إلى أن أدرك الطعام وأخذ في الشراب، فقال له: إذا دعوت أحداً من إخوانك، فليكن هكذا عملك، ولا تنتظر استكمال الطعام.

وأفطر الوائق في يوم شك فأفطروا فكتب الحسن بن رجاء إلى الحسين بن الضحاك:

هزرتك للصباح وقد نهانا
أمير المؤمنين عن الصيام
وعندي من قيان القصر عشر
يطيب بهنّ أعمال المدام
فكن أنت الجواب فليس عندي
أحبّ إلي من حذف الكلام

قال، فوافق رسوله حُسيناً وقد وردت عليه رقعة محمد بن الحارث بن بُسخنر النديم وقد أنفذها مع غلام له وضيء الوجه كان يتخطاه ومعه غلمة له أقران وقد جعل الرقعة كالمشور الذي يكتبه السلطان، وختمها في أسفلها، وكتب فيها:

سر على اسم الله يا أكمل من غصن لجين

في بدور من بني الروم إلى باب الحسين

فاحمل الكل إلى مولاك يا قرة عيني

أره العنف وطالبه إن استعفى بدين

واحذر الرجعة من وجهك في خفي حنين

قال: فوثب مع غلام محمد بن الحارث وكتب إلى الحسن بن رجاء

بإعمال الملاهي والمدام

إليك ينوب عن كل الكلام

إلى عهد التصابي والغرام

على عجل حبيب المستهام

وقد أعطيته طرفي زمامي

وعممني بمصقول حُسام

دعوت إلى مدافعة الصيام

ولو سبق الرسول لكان سبقي

وما شوقي إليك بدون شوقي

ولكن سار في نفر إلينا

فأز عجني بألفاظ عذاب

ولو خالفته لوردت حتفي

ودخل آدم يوماً على يعقوب بن الربيع وعنده قوم يشربون فرفعوا ما كان بين أيديهم، فلما دخل رأى في وجوههم أثر النبيذ وشم رائحته، فقال: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون، فضحكوا، وأخرجوا شراهم وشرب معهم.

أخبار الشعراء والمجان

كان مطيع بن إياس اللبثي، ويحيى بن زياد الحارثي وحمّاد الراوية وحمّاد عجرد، يجتمعون على الشراب ولا يكادون يفترون وكان لأبي الأصبع جارية وكان له عدة قيان غيرها، وكان فتيان الكوفة يألفون منزله وينفقون عنده، وكان هؤلاء الأندباء الذين سمينا يغشون منزله لجارية له يقال لها مولدة صفراء حسنة الوجه، طيبة الغناء، بارعة الظرف والأدب، وكان لأبي الأصبع ابن يقال له الأصبع، لم يكن بالعراق أحسن منه وجهاً، يتعشقونه فلا يقدرّون عليه، وكان يحيى بن زياد كثير الإفضال على أبي الأصبع، وعزم الأصبع، على أن يصطحب يوماً مع يحيى بن زياد؛ فأهدى إليه يحيى جداءً ودجاجاً وفراخاً وفاكهةً وشراباً وقال أبو الأصبع لجواريه: إن يحيى يزورنا فأصلحن له ما يشبه مثله، فلما فرغ من الطعام لم يجد رسولاً يبعث به إليه لأنه وجه بغلمانه في حوائجه فوجه ابنه الأصبع فقال له لا تبرح أو يحيى معك، فلما جاء أصبع قال للغلام ادخله إليّ، وتنج أنت واغلق الباب فإن أراد اصبع الخروج فامنعه، فلما دخل إليه اصبع وأدى الرسالة راوده عن نفسه فامتنع فتاوره يحيى فصرعه، ورام حلّ تكته فلم يقدر على ذلك فقطعها وناكه فلما فرغ أعطاه أربعين ديناراً، وكانت عنده تحت مصلاته فأخذها وقال له يحيى: امض وأنا في أترك، فخرج اصبع من عنده، فاغتسل يحيى وجلس يتزين ويتبخر، فدخل إليه مطيع فرأى ما هو فيه فقال له: كيف أصبحت فلم يجبه وشمخ بأنفه وقطب حاجبيه وتعظم وتفخم فقال له: أراك تتبخر وتزين فيلى أين عزمت، فلم يجبه وازداد قطوباً، فقال له ويحك مالك؟ نزل عليك الوحي؟ كلمتك الملائكة؟ بويح لك بالخلافة، وهو يومئ برأسه، لا لا، فقال له: ما حيرك، قد بهتت فلا تتكلم، كأنك والله قد نكت الأصبع، قال أي والله، الساعة نكته وأعطيته أربعين ديناراً، قال: فيلى أين تمضي، قال: إلى دعوة أبيه، قال مطيع: فأمراته طالق ثلاثاً إن فارقتك أو أقبل أيرك فأبداه له يحيى حتى قبله، ثم قال: كيف قدرت عليه، فحدثه حديثه، وقام فمضى إلى منزل أبي الأصبع فأتبعه مطيع، فقال: ما تصنع معي والرجل لم يدعك، وإنما يريد الخلوة معي، قال: أشيعك إلى بابه، وتحدث فمضى معه، فدخل يحيى ورد الباب في وجهه، فصبر مطيع ساعة ثم دق الباب واستأذن، فخرج إليه الرسول وقال له: أنا عنك مشغول اليوم في شغل لا أفرغ معه لك فتعذر، قال: فابعث إلي بدواة وقرطاس فكتب إلى أبي الأصبع:

كل حال ناعماً متبعاً

قطع التكة قطعاً شنعاً

يا أبا الأصبع لا زلت على

لا تصيرني في الود كمن

خيفة أو حفظ حق ضيعا

مستكيناً خجلاً قد خضعا

شيقاً، ساءك ما قد صنعا

سترى أمراً قبيحاً فظعا

وأتى ما يشتهي لم يثته

لو ترى الأصبع ملقى تحته

وله دفع عليه عجل

فادع بالأصبع فأعرف حاله

قال، فقال أبو الأصبع ليحيى: فعلتها يا ابن الزانية، قال لا والله، فضرب بيده على تكة ابنه فوجدها مقطوعة، فأيقن بالفضيحة، فقال يحيى: قد كان الذي كان، وسعى "بي" إليك مطيع ابن الزانية، وهذا ابني وهو والله أفره من ابنك وأنا عربي ابن عربية وأنت نبطي ابن نبطية، فنك ابني عشر مرات، مكان المرة الواحدة التي نكت ابنك، فتكون قد رجحت الدنانير والواحدة بعشر، فضحك أبو الأصبع وضحك الجوارى، وقال لأبنته: هات الدنانير يا ابن الفاعلة فرمى بها إليه وقام خجلاً، فقال يحيى، والله لادخل مطيع الساعي ابن الزانية، قال أبو الأصبع وجواريه، والله ليدخلن إلينا، فقد نصحننا وغششتنا، فادخل وجلس وشرب معهم، ويحيى يشتمه بكل لسان وهو يضحك. وكانت لبربر المدينو جارية يقال لها جوهر أحسن الناس وجهاً وغناءً وأتمهم وأكملهم في كل فن، فتنت العالمين وعشقها أكثر فتیان ذلك العصر، وقال فيها الشعراء الأشعار فأكثرها فيها، يقول فيها مطيع ابن إياس:

بيضاء واضحة الجبين كأن غرتها نهار

تشفي بريقتها السقيم كأن ريقتها العفار

القلب قلبي وهو عند الهاشمية مُستعار

وكان لمطيع بن إياس خاصة يهيم بها، فحكى الهيثم بن عدي قال: اجتمع حماد الراوية، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وحكم الوادي يوماً على شراب لهم في بستان بالكوفة، وذلك في زمن الربيع ودعوا جوهر جارية بربر فقال مطيع في ذلك:

ونجعل سقفا الشجرا

تخال شعاعها الشررا

بسنة وجهها القمر

إذا ما زدته نظرا

حرجنا نجنتي الزهرا

ونشربها معتقة

و"جوهر" عندنا تحكي

يزيدك وجهاً حسناً

لها لونٌ كلون الورد لو قطرته قطرا

وغنى فيه حكم الوادي لحناً خفيفاً شربوا عليه بقية يومهم وثلاثة أيام متوالية وجوهر بينهم، فقال لهم يحيى بن زياد: ويحكم لنا ثلاثة أيام سكارى لا نعقل ولا يصلي أحدٌ منا، قم يا مطيع فأذن، وقالوا: من يصلي بنا، فكلما ذكروا رجلاً أبل، فقال مطيع: عليّ وعليّ إن صلى بنا غير جوهر، تقدمي صلي بنا حتى تكون صلاتنا عجباً بين الصلوات، فقالت: كيف تصلي امرأة برجال، قالوا: أنت لم تشري كما شربنا، فتقدمت وهي تضحك، وصلت بهم، فلما سجدت بان فرجها من تحت غلالتها وكانت رقيقة، فوثب مطيع فقبله وقامت الجارية خجلة وجعلت تشتمه وضحك القوم وعادوا إلى شراهم فقال مطيع في ذلك:

ولما بدا حرُّها جاثماً
خررت عليه فقبلته
كرأس حليقٍ ولم يعتمر
كما يفعل العابد المعتمر

فزاد شتمها له والقوم يضحكون منه، وفيها قول مطيع:

يا بأبي وجهك من بينهم
جارية أحسن من حليها
وريحها أطيب من طيبها
جاءت بها "بربر" حنفاً لنا
كأنما ريقتها قهوةٌ
فإنه أحسن ما أبصر
والحلي فيه الدرُّ والجوهر
والطيب فيه المسك والعنبر
يا حبذا ما جلبت بربر
صُب عليها البارد الأخصر

وشرب دعبل بن علي وصاحبان له في قرية يقال لها "بطيائا" فقالوا: ليقل كل واحدٍ منا بيتاً في يومنا هذا، فقال دعبل:

نلنا لذيذ العيش في بطيائا

وقال الآخر: لما حثنا كأسنا احتثانا وارتج على الآخر فلم يقدر أن يقول شيئاً فاستحيا، فقال:

وامرأتي طالقةٌ ثلاثا

فقالوا: ويحك وما ذنب امرأتك، قال والله ما لها ذنب إلا أنها قعدت على طريق القافية. وكانت بالمدينة جارية من مولداتها يقال لها "بصبص" أحسن الناس وجهاً وأطيبهم غناء، أخذته عن معبد والغريض وغيرهما من طبقتهما، وكان مولاها يحيى بن نفيس يُقِن عليها وكان الأشراف يهدون إليه وينفقون عنده، فاجتمع عنده جماعة منهم فتذاكروا أمر مزيد وبخله، فقالت بصبص: أنا آخذ لكم من دراهمه فقال مولاها: أنت حرة، لئن فعلت، إن لم أشتري لك عقداً بمائة دينار وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر فيه بدنةً لم تُقنب ولم تُركب، فقالت: جيء به وارفه الغيرة عني، قال: أنت حرة، لامنعته ولو رأيت

بين رجلحك إن خلصت درهماً، فقال عبد الله بن مصعب الزبيري، أنا لكم به، قال عبد الله: فصليت الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا به قد أقبل فقلت يا أبا إسحق، أما تحب أن ترى بصيص فقال: بلى قلت فإذا صليت العصر، فأني هاهنا، قال امرأته طالق إن برح يومه هذا من هاهنا إلى العصر، قال فتصرفت في حوائجي حتى كانت العصر فدللت المسجد فوجدته بمكانه، فأخذت بيده وأتيتهم به، فأكل القوم وشربوا حتى صليت العتمة ثم تساكروا وتناوموا وأقبلت بصيص على مزيد فقالت: أبا إسحق، كأني بك تشتهي في نفسك الساعة أن أغنيك بصوت الغريض في شعر جميل.

ألا ليت أيام الصباء جديد

ودهراً تولى يا بئس يعود

فغنني كما كنا نكون وأنتم

صديق وإذ ما تبذلن زهيد

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ، فغنته إياه ساعة ثم قالت: يا أبا إسحق كأني في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جنبي وتدخل يدك في جلبابي فتقرص عكبي قرصات وأغنيك بقول عروة بن أذينة.

قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

قالت وابتنها شجوي فبحت به

غطي هواك وما ألقى على بصري

ألست تبصر من حولي فقلت لها

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام، وما تكسب الأنفس غداً وبأي أرض تموت، قالت نعم. فقام فجلس إلى جانبها، وأدخل يده في جلبابها وقرصها وغنت له، ثم قالت: برح الخفاء، أنا أعلم أنك تشتهي تقبيلي شق التين، اغنيك هزجاً.

غلاماً حسن الدل

أنا أبصرت بالليل

كغصن البان قد أصبح مسقياً من الطل

فقال: امرأته طالق إن لم تكوني نبية مرسله، فقبلها وغنته ثم قالت له: إيه: أبا إسحق، أرايت قط أنذل من هؤلاء، يدعونك ويخرجونني إليك ولا يشترون لنا بدرهم ريجاناً، يا أبا إسحق، هات درهماً نشترني به ريجاناً، فوثب وصاح، واحرباه أي زانية، أخطأت استك الحفرة، انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي إليك، وتركها وجلس ناحية، وعطعت بها القوم وقالوا لم تنفذ حيلتك عليه وجددوا مجلسهم، ولم يعد إليها بعد ذلك.

كانت سلامة الزرقاء جارية ابن رامين، مولى بشر بن مروان، أحسن الناس وجهاً وغناءً، من ساكني الكوفة، وكان ابن رامين مولاهما يقين عليها، وينفق الناس في منزله الرغائب، وكان ممن يغشاها من

الأشراف، روح بن حاتم المهلبي ومعن بن زائدة الشيباني ونظراؤهما، وكان محمد بن جميل يهواها وتهواه فقال لها: إن روح بن حاتم قد ثقل علي، قالت: وما أصنع وقد غمر مولاي بيره، فقال: احتالي له، فبات عندهم روحٌ ليلةً من الليالي فشرّب، فلما سكر ونام أخذت سراويله فقالت: غسلته، فظن أنه قد أحدث فيه فاحتيج إلى غسله، فأستحيا من ذلك فانقطع عنها وخلا وجهها لبن جميل.

وحكى حماد بن اسحق عن أبيه قال: حدّثني عبد الرحمن بن مقرن، قال: أتيت ابن رامين يوماً فاستأذنت عليه فقال: قد سبقك روح بن حاتم، فإن كنت لا تحتشم منه فهلم، فدخلت، وخرجت إلينا الزرقاء في ثوبين موردين، والله لكأن الشمس طالعةٌ من قرنها إلى قدمها، فغنتنا ساعة، ثم جاء الخدم الذين يستأذنون عليها، وكان الإذن إليها، لا إلى مولاها، فقالوا: يزيد بن عون العبادي الصيرفي، الملقب بالماجن، بالبواب، قالت: ادخله، فأدخل فلما استقبلها سجد لها ثم ألقى بين يديها، قال فتبينت والله فيه الوجد بها، وزاد حتى ظهر لنا ولمن حضر، وكان من أحسن الناس وجهاً، وأشكلهم فأقبلت عليه بغنائها ومزاحها، ثم أدخل يده في كفه فأخرج درتين ما رأيت مثلهما، ثم قال: أنظري يا سيدتي إليهما جعلت فداك، وقال: والله لقد نقدت أمس فيهما أربعين ألفاً؛ قالت: وما أصنع بهما وما عليّ من ذلك، ثم غنته صوتاً كان يشتهيها عليها، وأقبلت عليه وقالت: يا ماجن هبهما لي، قال: إن شئت والله فعلت، قالت: قد والله شئت، قال: أن تأخذيهما بشفتيك من بين شفتي، قال فأراد روح البطش به، فقلت له: ألك في منزل القوم حقٌ أو لك في رقّ الجارية ملك، لو كان هذا يُنكر عندهم لأنكره مولاها، وها هو حاضرٌ، وإنما يتكسبون بما ترى، فإن كان لك في عشرتهم حاجة، فأمسك، قال: فعلم أي قد صدقته فأمسك، قال: وسمع ابن رامين قولهما فقام كأنه يبول، فقالت له الزرقاء، هاتهما، فرحف إليها وجثا بين يديها وهما بين شفتيه، فلما ذهبت إليه تناولتهما بشفتيهما، وهو يصد عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها، ثم أخذتهما بشفتيهما من فيه، وقبلها وقام فرجع وقد لاحمرَّ وجهها ورشح جبينها عرقاً، حياءً منا، ثم تجلّدت علينا وقالت: "المغبون في أسته عود" قال: أما أنا فوالله لا أبالي بهذا، ولا يزال طيبُ هذه الرائحة، والنسيمُ من فيك في فيّ أبداً ما بقيت.

واشترى الزرقاء هذه جعفر بن سليمان أمير البصرة فسألها ذات يوم: هل ظفر أحد قط ممن كان يهواك منك بخلوة أو بقبلة، فخشيت أن يكون بلغه ما فعلت مع الماجن، لأنه كان بحضرة جماعة، فقالت: لا والله، إلا يزيد بن عون العبادي، فإنه قبلي قبلة وأخرج من فيه درتين بأربعين ألف درهم فجعلهما من فيه إلى فيّ فلم يزل جعفر يحتال له ويطلبه حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات.

وقال أبو الفرج الأصبهاني، حدّثني لحظة قال: حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: سمعت أبي

يقول: كان، قبل أن يعلم الرشيد أي أعني ويسمعي، سمع حسنة وظلة، جاريتي المهدي عند أخته العباسة بنت المهدي وقد دعتة إليها فغنتاه هذا الصوت وهما متراسلتان فيه:

ولقد طرقت البيت يُخشى أهله بعد الهدوء وبعد ما سقط الندى

فوجدت فيه خريدة قد زينت بالحلي تحسب أنه جمر الغضا

واللحن لابن محرز من الثقيل الأول فطرب عليه الرشيد وقال: أحسنتما والله فقالت له ظلة، والله لو سمعت أخاك إبراهيم يغنيه ما استحسننت غناء واحدة منا، قال إبراهيم، ولي يومئذ اثنتا عشرة سنة، فقال: ابعثوا إليه فليحضر الساعة، فقالت له حسنة، لا تبعث إليه، فوالله لو أعطيته ملكك أو عرضت عليه السيف ما غنى بحضرتك، قال ولم، قالت: لجلالتك في صدره وهيبته لك، قال لها فإني أسقيه النبيذ حتى يسكر ويزول عنه الحياء وأطلب منه الغناء، فقالت: لو كان يشرب لتم ذلك، فاكفف عنه حتى نحتال عليه، فلما كان بعد أيام، اصطحبت العباسة، وعندها حسنة وظلة، وبعثت إلي تدعوني، فحجتها وقدم الطعام فأكلنا، ووضع الشراب فشربت، ثم عمدت إلى طاس ذهب فملأته بياقوت ولؤلؤ وزبرجد لا تُعرف قيمته كثرة، ثم صبت عليه نبيذاً وقالت لي: فدتك أختك، إشرب هذا الكأس، وكل ما فيه من الجوهر فهو لك، فغضبت وتداخلى أمرٌ عظيم، وقلت لها، قد والله كنت عزمت على أن أشرب النبيذ في هذه الأيام، ولو سألتني أن أشربه بغير عوض لفعلت، فأما إذ جعلتني فيمن يشربه برشوة، فأمر محمد بنت صالح طالق إن شربت النبيذ إلى سنة، وقمت مغضباً من عندها، وبلغ الرشيد ذلك وكان متعلق القلب بقصتي، فغمة ذلك وغلظ عليه وفسد قلبه عليّ، وأظهر إعراضاً عني، وتغير عليّ، فسأني ذلك وقلت لأختي غلية، أما النبيذ فلا حيلة فيه سنني هذه، ولكن ادعيني واشربي، فإذا سألتك أن تغني، فقولي على شريطة أن تغني لي فإني أجيب، وابعثي إلى أمير المؤمنين فعرفيه حتى يجيء إليك فيكون بلوغه ما أراد عندك، لا عند العباسة، ففعلت واصطحبت ودعتني وغنى حواريتها فقلت لها: يا أختي غمي لي صوتاً فقالت: على أن تغني أنت، قلت نعم، قالت وحياة أمير المؤمنين، وتربة المهدي أنك لا تغدر بي، فحلفت لها، فغنت، ثم أخذت العود فغنيت، وبعثت إلى الرشيد فجاء مستخفياً حتى وقف، وغمزتني فغنيت الصوت الذي بلغه، فلما سمعه لم يتمالك أن هجم عليّ وقال: أحسنت بأبي أنت، أحسنت فديتك، هذا عندك وأنت تستره عني، وضميني إليه وأجلسني في حجره، وأمر لي بعشرة آلاف دينار وكسوة وطيب بمثلها، فحُمل ذلك من ساعته إلى منزلي وجلس يشرب والحواري يغنين وقمت قائماً، فأخذت العود فغنيت فأمرني بالجلوس، وقال لا تُغن، فديتك، إلا إذا شئت ونشطت، ولم يزل يبسطني حتى أنست، ولم

يكن بعد ذلك يسمعي إلا منفرداً بسماعي، ثم أقسم عليّ أن يشركه في ذلك جعفر بن يحيى ولا يسألني بعده أن يسمعي أحدٌ، فأجبتته على كرهٍ مني، ولم أجبه إلا لما بيني وبينه وبين جعفر: فهذا كان سبب سماعه إياي.

وكانت لأُم جعفر زبيدة، جارية من مولدات القصر اسمها، نهار، أحسن الناس وجهاً وغناءً وكان مخارق يتعشقها، فبلغ ذلك زبيدة، فرفضته ومنعته أن يمر ببابها وكان كَلَفًا بِهَا مغرمًا، فينا هو ذات ليلة قد انصرف من دار المأمون، إذ مر بباب أُم جعفر وهي تشرف على دجلة، فلما حاذى دارها ورأى الشمع يزهو، وقف وسط دجلة بحيث يعلم أنها تسمع صوته وغنّى:

إِن تَمْنَعُونِي مَمْرِي عِنْد دَارِكُمْ فسوف أنظر من بعد إلى الدار
سيما الهوى عرفت حتى شُهرتُ بها إني مُحِبٌّ وما بالحب عارٍ
ما ضرَّ جبرتكُم، والله يُصلحُهم لولا شقائي، بأقبالي وإدباري
لا يقدرُون على منعي وإن جهدوا إذا مررتُ، وتسليمي بإضماري

فقالت أُم جعفر، مخارق والله، ردوه فصاحوا بملاحه؛ قدم، فقدّم، وأمر الخدم بالصعود فصعد، وأمرت له أُم جعفر بتكأة وصينية فيها نبيذ، وخلعت عليه خلعة حسنة وأمرت الجواري فغنّين له، ثم أمرته أن يغني، فأول صوت غناه:

أغيب عنك بودٍ لا يغيرُهُ نأىُ المحلِّ ولا صرف من الزمنِ
فإن أعشِ فلعل الدهر يجمعنا وإن أمت فبطول البث والحزنِ
فاندفعت نهار في تمام الشعر مجيبة له فغنت:
تعتل بالشغل عنا لا تكلمنا والشغل للقلب ليس الشغل للبدنِ
قد حسن الله في عيني ما صنعت حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن

فقطنت أُم جعفر لهما، وأتتهما تراسلاً بما في نفوسهما، فضحكت وقالت: ما سمعت بأملح مما صنعتما، هي لك يا مخارق، انصرفي، في حفظ الله، مع مولاك بجميع مالك عندنا، فقبلا الأرض بين يديها وقاما فانصرفا.

وهذه الأبيات للعباس بن الأحنف، واللحن لمخارق رمل.

قال الجُمحي: خرج الأخطل وصاحب له إلى نزهة وحمل سفرةً وزُكرةً وجلسا بين غدِير وروضة فينما هما على ذلك من شراهما إذ طراً عليهما طارئٌ لا يعرفانه فجلس إليهما وثقل عليهما فقال الأخطل:

ولا بدباب خطبُهُ أيسرُ الأمرِ

وليس القذا بالعود يسقط في الإناء

رمتنا به الأقدار من حيث لا ندري

ولكنَّ شخصاً لا تُسرُّ بقربه

فلما سمع ذلك نهض وتركهما.

ولما مات أو محجن الثقفي، وقف رجل على قبره فقال: يرحمك الله لقد كنت قليل المراء، جيد الغناء غير نعاسٍ ولا حباسٍ للكأس.

وقال أبو بكر بن الأنباري، كان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده، ثم يقول: أما النفس فُتسَخِّين، وأما القلب فتشجعين، وأما الهم فتطردين، أفترارك ميني تفلتين، ثم يشربها ويميل على جنبه. وذكر سليمان بن سهل بن نوبخت قال: مرَّ بي أبو نواس في غداة يومٍ من أيام الربيع وقد أتت السماء بطشاً ورذاذ فقال:

عُطِّلَ من لهوٍ ولا ضيعة

ما مثل هذا اليوم في طيبه

تُحِبُّ هذا اليوم أن نصنعا

فما ترى فيه، وماذا الذي

تسرُّع في المرء إذا أسرعا

هل لك أن تغدو على قهوة

للهمَّ شيئاً مثلها مدفعا

ما وجد الناس ولا جربوا

قال؛ فقلت: ما كان ليُساعدني على مثل هذا إلا مثلك، فأقم، فهاهنا ما يُصلِحُك، فأقام، فمرَّ لي من محادثته وإنشاده أطيّبُ يومٍ وألذه.

وحكى محمد بن بشر قال: كان أبو نواس وهو غلام معي في مجلسي فحمل عليه النبيذ فانصرف بعد أن جهد به كل من في المجلس أن يقيم عندهم، فأبى وخرجت فاعتمد عليّ يسقط مرّة ويقوم أخرى ويقول في شدة سكره:

لكن أتت شربة الشباب

قد كنت في منزل رُحَابِ

جاء بها نازلُ الشراب

وشقوة تحت الرواسي

قال: فجننت به إلى منزلي فنومته، فلما كان في الليل أتيته فحدثته بالحديث وأنشدته البيتين. وروى المدائني قال: بينما إبرهة بن الصبّاح الكندي عند عبد العزيز بفتية من أهل الشراب لهم جمال ومناظر، قد أخذوا على شراب لهم، فأمر عبد العزيز أن يضربوا بالسياط، فقال إبرهة: نشدتك الله أيها الأمير أن لا تفضح مثل هؤلاء الفتيان بمصرنا، فقال عبد العزيز: إن الحق في هؤلاء وفي غيرهم واحد، فقال إبرهة، يا غلام، أصيب من شراهم في القدح وأدنه مني، فصبّه ثم ناوله فشتمّه ثم شربه وقال: أصلح الله الأمير، ما نشرب في بيوتنا على غذائنا إلا من هذا، فقال عبد العزيز: أطلقوهم، فلما خرج إبرهة قيل له، أشربت الخمر،

فقال الله يعلم أي ما شربتها صحيحاً ولا تعالجت بها سقيماً قط، ولكني كرهت أن يفضح مثل هؤلاء الفتية في بلدة أنا فيها.
ونزل بأبي عطاء السندي ضيف فيرّه وأكرمه وسقاه خمراً فلما عملت فيه جعل يعرض لامرأة أبي عطاء ويومئ إليها بعينه، فقال أبو عطاء:

كل هنيئاً وما شربت مريئاً
ثم قم صاغراً فغير كريم
لا أحب النديم يومئ
بالطرف إذا ما انتشى لعرس النديم
ونزل آخر برجل، فأحسن ضيافته فتعرضت للضيف امرأة صاحب المنزل فخرج مسرعاً وقال:
رب بيضاء كالمهاة تهادي
قد دعنتي لوصلها فأبيت
لم يكن بي تحرّج غير أني
كنتُ ندمان زوجها فاستحيت
وأصاب آخر مثل هذا فقال:

سأترك ما أخاف عليّ منه
فعالّ السوء عمري ما حبيتُ
ولا والله لا ألقى بليل
أراقب عرس جاري، ما بقيتُ
أبي لي ذاك آباء كرام
وأجداد بمجدهم ربيتُ
وفي خلاف هذا يقول عبد الرحمن بن أم الحكم:

وكأس ترى بين الإناء وبينها
قذى العين قد نازعت أمّ أبان
ترى شاربيها حين يغبغانها
يميلان أحياناً ويعتدلان

دعنتي أخاها بعد ما كان بيننا
من الأمر ما لا يفعل الأخوان
فما ظنّ ذا الواشي بأبيض ماجد
وبيضاء خود حين يلتقيان
ودخل بعض الأدباء مجلساً فرأى فيه نبياً حسناً للأكابر، ونبياً دونه لقومٍ دونهم فقال:

نبيذان في مجلس واحد
لإيثار مثرٍ على مُعسر
قلو كنت تفعل فعل الكرام
فعلت كفعل أبي البخترى
تتبع إخوانه في البلاد
فأغنى المقلّ عن المكثّر

فبلغت الأبيات أبا البخترى فبعث إليه خمسة آلاف درهم.

وكان لأبي البخترى إخوان يعشونه ولا يكادون يفارقونه فلما ولى القضاء، شغل عنهم فقاطعوه، وجعلوا

يسبونه ويقعون فيه وينسبونه إلى قلة الوفاء، فلما عُزل وجَّه إليهم فأحضرهم وقال: كأني بكم وقد أخذتم عليَّ في اشتغالي عنكم وولتكم مني إذ جفوتكم، وقد رجوتكم نفعي فأسأتم بي ظناً، قالوا: قد كان ذلك، فقال: والله ما قطعتمكم إلا نظراً لكم وتوفيراً عليكم، وأمر بإحضار ما اجتمع له أيام عمله من أرزاقه وصلاته، فأحضرت أكياسٌ فيها عشرة آلاف دينار فقسّمها فيهم وأخذ منها مثل ما صار إلى أحدهم وعادوا إلى ما كانوا عليه من المؤانسة.
وفي مثل الأبيات الأول:

فقلت لصاحبنا ما السبب

رأيت نبيذين في مجلس

يُفضل قومٌ بسوء الأدب

فقال الذي نحن في بيته

وكان المعروف بأبي هريرة المصري، من أهل الحديث والأدب، ظريفاً مليحاً، مُملقاً في حديثه وإنما معاشته من النسخ، قال: فكنت أوانَ الربيع إذا أخذت الأرض زُحرفها، وازينت أخرج متزهاً إلى بركة الحبش، في خُفي بلنسية فيها شراب وفي كُمي مندبل نظيف فيه أوساط وكتاب أنادمه، وأجلو بصري على ذلك الماء الرقيق والروض الأنيق إلى أن تصوب الشمس للغروب فانصرف إلى متري وأنا ثمل، فانصرفت عشية، فإذا بفارس خارج من مصر لا يتبين منه غير عينيه، فسلم وقال: من أين أقبل الشيوخ، فقلت في نفسي، أجنَّ الرجل، ومن الذي يرى معي، والتفتُ فإذا ذودٌ من تيروس يسوقها راعٍ، فقلت: حضرنا نكاح الوالدة حفظها الله، فضحك حتى كاد يسقط من سرجه، فلما كان بعد أيام يسيرة لقيني الأمير بُكير في موكبه، فقال لبعض غلماناه، ألحقني بالرجل فأرتعت لذلك روعاً شديداً، فلما دخلت عليه، إذا بين يديه كيس فيه ثلاثة آلاف درهم، فقال لي: هذا حق حضور ذاك النكاح فغلّمت أنه هو الذي لقيني.
وخرج أبو هريرة هذا إلى "دِيَهَور" مع إخوان له يشربون فسكروا وناموا، وأتى حمار أبي هريرة وقد عطش إلى جفنة مزر فشرب حتى سَكِرَ وورقد، فاستيقظ أصحابه فوجدوه لا يقدر على النهوض، فأرادوا أن يركبوه الحمار سكران، فأكثروا جملاً وعادلوا بينه وبين حماره، ودخلوا به فقرعوا بابه، وقالوا لإمه، خذي إليك النديمين فأتهما سكرًا جميعاً.

وروي أن جعفر بن يحيى استأذن الرشيد في ليلة يخلو فيها، فأذن له، فوجَّه إلى كل من يتشوقه من أصحابه، وبعث إلى مسلم بن الوليد فلما صار إليه، قال له جعفر: أنشدني من شعك ما يشاكل ليلتنا هذه، فأني إنما خلوت لفرط صباية تجارية لنحّاس تحكّم عليَّ في ثمنها، والله ما يزداده ولكني أكره الخديعة، فقال: أصلح الله الأمير، لك أجل المراتب وأعلى الأمثال، وأنا أقول على قدرتي، وقد كانت لي ليلة مثل هذه فقلت فيها شيئاً، فدعني بحساسة عيشي واجعل وصفها لك فأنت أحقُّ به، فأنشده:

تحملت هجر الشادين المتدلل
وما أبقت الأيام مني ولا الصبا
وكنت نديم الكاس حتى إذا طغت
نهاني عنها حبها أن أسوءها
وأخذت لطرف العين منها نصيبه
سقتني بعينيها الهوى وسقيتها
وما العيش إلا أن تبيت موسداً
وممكورة رود الشباب كأنها
وعاصيت في حُب الغواية عدلي
سوى كبد حرى وقلب مقتل
تعوّضت منها ريق أحور عيطل
بلمسي فلم أفتك ولم أتبتل
وأخليت من كفي مكان المخلل
فدبّ دبیبَ الراح في كل مفصل
صريع مُدام، كفّ أحورَ أكل
قضيب على دعص من الرمل أهيل

خلوت بها والليل يقظان قائم
فلما استردت من دجى الليل دولة
كررنا أحاديث الوداع ذميمة
فلم نرَ إلا عبرةً بعد زفرة
على قدم كالراهب المنبتل
وكاد عمودُ الليل بالصبح ينجلي
ليبلغ كلُّ حاجةً، غير مُعجل
مودعةً أو نظرةً بتأمل

فقال له جعفر: والله لكأنك بلساني نطقت، وعن ضميري عبّرت، فقال: أيها الأمير أن هذا الشعر لم يُنشر، فأجعله لك، قال: أنا إلى أن أهلك مالي أحرى أن أنتحل شعرك وأمر له بمالٍ جليل.
وكانت البرامكة، ويزيد بن يزيد ومحمد بن منصور بن زياد يُفضلون عليه ويتفقدون من أحواله، فظهر ذات يوم، فلقي يزيد بن منصور الحميري بباب الرشيد فسلم عليه وسأله يزيد عن حاله، فخبره أنه كان كاليائس من قرب الخليفة، وأن يُعد في مادحيه، فقال له: سيتأتى وصولك إلى الخليفة، بعد أن أقرر عنده قرب نسبك، وتقدمك لسلفك، ودخل فأصاب الرشيد قد اشتمل عليه الفكر فقال له يجي: ما بك يا أمير المؤمنين قال: الفكر في سرعة تقضي الدنيا وأن ما نحن فيه منها كالظل الزائل، فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين أظن أن هذا شيء يجبس عنك الأيام، كان أنوشروان يقول: من أعظم الخطأ التشاغل بما لا يمكن دفعه، وقال له سليمان بن أبي جعفر: يا أمير المؤمنين يروى عن لقمان أنه قال: الهمُّ نصف الهرم، والفقير الموت الأكبر، فكأنه نشط، فقال له الحميري: يا أمير المؤمنين، خلّفت، بالباب أنفاً رجلاً من إخوانك الأنصار، متقدماً في شعره وأدبه أنشدني قصيدة يذكر فيها صبوته ولهوه ولعبه ومجالسه بأبلغ قول وأحسن وصف، يبعث، والله يا أمير المؤمنين، على الصبابة والفرح ويباعد من الهم والترح، قال، فأستفزه السرور

إلى دخوله واستماع قصيدته أن جعل يُتبع الرُّسل بعضهم بعضاً حتى دخل إليه، وكان حلوّاً ظريفاً حسن العبارة، فأمهل حتى تراجع عقله، وسَكَنَ جأشه، ثم أُذِنَ له في الجلوس فأنرى يُنشد قصيدته، وجعل الرشيد يتناول لها ويستحسن ما حكاها من وصف شرابٍ ولهوٍ وغزلٍ، فأمر له بمالٍ وقام من ساعته إلى مجلس خلوتهِ ولهوه، وجعل هو ومن معه يتذاكرون قصيدة مسلم، ويعارضون بها ما هم فيه، وسماه الرشيد يومئذٍ بآخر بيت منها: صريع الغواني، والقصيد:

أديرا عليّ الكأسَ لا تشربا قبلي	ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي
فما حزني أني أموت صباباً	ولكن على من لا يحلُّ له قتلي
أحبُّ التي صدّت وقالت لتربها	دعيه، الثريا منه أقربُ من وصلي
أماأت وأحيت مهجتي فهي عندها	معلقةٌ بين المواعيد والمطلِ
وما نلت منها نائلاً غير أنني	بشجو المحبين الألى سلفوا قبلي
بلى ربما وكلتُ عيني بنظرة	إليها تزيد القلبَ خبلاً على خبلِ
كتمت تباريح الصبابةِ عاذلي	فلم يدر ما بي، فاسترحتُ من العذلِ
ومانحة شرابها المُلْكُ قهوة	يهودية الأصهار مسلمة البعلِ
ربيبه شمسٍ لم تُهجن عروقها	بنارٍ ولم يجمع لها سعفُ النخلِ
بعثنا لها منا خطيباً لبعضنا	فجاء بها يمشي العريضنة في مهلِ
ق استودعت دنأ لها فهو قائمٌ	بها شففاً بين الكروم على رجلِ
فوافي بها عذراء كلِّ أخي ندى	جزيل العطايا غير نكسٍ ولا وغلِ
معتقةٌ لا تشتكي وطءٍ عاصِرِ	حروريةٌ في جوفها دمها يغلي
أغادرت على كفِّ المدير بلونها	فصاغت له منها أناملَ كالدُّبُلِ
أماأت نفوساً من حياةٍ قريبةٍ	ومانت فلم تُطلب بوتراً ولا ذحلِ
شققنا لها في الدنَّ عيناً فأقبلت	كما أخضلت عين الخريفة بالكحلِ
كأن فنيقاً بازلاً شكَّ نحرهُ	إذا أسفرت منها الشعاعَ على البزلِ
كأن طباءً عكفاً في رياضها	أباريقها أوجسن قعقة النبلِ

ودارت علينا الراح من كف ظبيةٍ مبتلةٌ حوراء كالرشاِ الطفلِ

وحنّ لنا عودٌ فباح بسرنا
تُضحكه طوراً وتُبكيه تارةً
إِذَا مَا اشتهينا الأفحوان تبسّمت
وأسعدّها المزمّار يشدو كأنه
كأن عليه ساق جاريةٍ عطلِ
خدلجته هيفاء ذات شوى عبلِ
لنا عن ثنايا لاقصار، ولا تُعلِ
حكى نائحات بتنّ يبكين من تُكلِ
ورُحنا حميدي العيش متفقي الشكلِ
غدونا على اللذات نجني ثمارها
وأقامت لنا الصهباء صدرَ قناتها
إذا ما علت منا ذؤابة ماجدِ
سأنقادُ للذات مُتبع الهوى
وإن كان ذا حُلم دعتّه إلى الجهل
ولأمضي همّاً، أو أصيب فتىً مثلي

وعن المدائني قال: كان الأحوص بن جعفر بن حديث، من كبار المدمنين على الشراب، وكان يجالس حمزة بن بيض وعُيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري، وكان يُحمق فغمزوا به جماعة جاء كل واحد منهم على إنفراد فقال: أرى وجهك مصفراً، فما تجد، فلما فعلوا ذلك قال لأهله: ويحكم أنا عليل ولم تخبروني ولزم الفراش حتى عاده الناس، فشقّ على أهله ذلك وبعثوا إلى شراعة وقالوا: إن لم يتكلم شراعة فهو لما به فصار إليه شراعة، وكلمه فلم يجبه ولم ير عليه أثر علة، فأقبل شراعة على صاحب له فقال: كنا أمس بالحيرة فأخذنا الخمر، ثلاثين قنينة بدرهم، والخمر يومئذ ثلاثون قنينة بدرهم فرفع الأحوص رأسه وقال: الكاذب ايري في حرٍّ أمه واستوى جالساً فقال له شراعة: إجلس لا جلست وهات طعامك وشرابك وأخذنا في شأهما.

وكان السيّد بن محمد الحميري مطبوعاً في الشعر، جده يزيد بن مُفرغ الحميري. قال المدائني: وُلِّي الأهوaz رجل من بني أسد وكان صديقاً للسيّد فتشدد في الشراب ومنع منه وجلد عليه، فأضر ذلك بالسيّد حتى نحف وهزل فدخل عليه يوماً فقال: ما لي أراك عليلاً، قال: كنت أصيب من الشراب فيقوى به بدني ونفسي، فلما حرّمته تركته، فقال الأسدي: حقّ لمن يمدح آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم أن يُحتمل له الشراب، وكتب إلى عامله: أحمل إلى أبي هاشم مائتي زورق شراباً. وأنشد إسحق الموصلي:

مثل لون الفصوص ينفي قذاها
زعم الشاربون أن قذاها
قد تعللتها بماء سحاب
ليس بالعود ساقطاً في الشراب
بل قذاها نديم سوء عليها
مُولعٌ بالمرءِ أو بالشباب

وهذا مأخوذ من قول الأخطل حيث يقول:

فليس قذاها العود يسقط في الخمر
ولا بذباب فزرعه أيسرُ الأمر
أنتنابه الأقدار من حيث لا ندري

ألا فأسقياني وأنفيا عنكما القذى
وليس قذاها زائرٌ لا يضيرها
ولكن قذاها زائر لا نريده

ومنهم الكسكري، وهو الذي يقول:

خليليّ فاشربا وأسقياني
حسن الظنّ واتقاً بالزمان

قد تولى النهارُ واستقبل الليلُ
شربةً تترك الفقير غنياً

وهذا مالك بن أسماء بن خارجة من بيت بني فزارة، جاهليتها وإسلامها، لا يُدفع عن الخطابة والبلاغة والسخاء والظرف، قال لابن عم له يقال له موسى، وقد تجهز الناس للحج: هل لك في الحج قال: نعم، فتجهزوا وخرجوا حتى إذا حاذيا زُرارة وهي أكثر الأرض كروماً وثماراً وأطيبها خمراً، فقال لابن عمه: هل لك أن تعدل إلى زُرارة فنقيم بها ونتنعم إلى أن ينصرف الناس، قال: ذلك إليك فعطفنا إليها وأقاما بها معكفين على الشراب إلى أن انصرف الناس فانصرفا معهم فقال مالك:

وكان الحجُّ من خير التجارة
فحال بنا الطريق إلى زُرارة
وأبنا موقرين من الخسارة

ألم ترنا ومالك قد حججنا
خرجنا طالبي سفرٍ بعيدٍ
فآب الناس قد برّوا وحجوا

وأبو دلامة، مع ظرفه ومجونه وحلاوة شعره، من المشتهرين بالشراب وقد ذكرنا خبره مع أبي العباس السفاح أمير المؤمنين.

وحجّ موسى بن داوود بن علي وأمره بالحجّ معه ليأنس به وبنواده وأشعاره في طريقه، ووصله بعشرة آلاف درهم وأعطاه جمالاً، فباع الجمال، وهرب إلى سواد الكوفة وانغمس في بيوت الخمارين وطلبه موسى فلم يجده فقال: دعوه إلى نار الله وأليم عذابه، ورَحَلَ فلما شارف القادسية، وإذا أبو دلامة قد خرج من قرية، يريد أخرى فقبضوا عليه وأتوه به فقال: يا عدو الله يا فاجر، تفر من الحق إلى الباطل، ومن الحج إلى حوانيت الخمارين، فقيدوه ورموه في بعض المحامل فلما سارت الإبل صاح أبو دلامة بأعلى صوته:

صلّ الإله على موسى بن داوود
إذا تبلج في أثوابه السود

يا أيها الناس قولوا أجمعين معي
كأن دبياجتي خديه من ذهب

من الطلاء وما شربي بتصريد
ولا الثناء على ديني بمحمود
من أن أحج بكره يا ابن داود

نبئت أن طريق الحج معطشة
والله ما في من أجر فتطلبه
إني أعود بداوود وتربته

فقال موسى: ألقوه عن الحمل، فعليه لعنة الله، ومضى موسى لوجهه.
وهذا أبو الشيص، نقي الكلام متخير الألفاظ، مداح للخلفاء، لاحق للفحول، وهم عم دعبل بن علي
يصف نفسه بالندام فيقول:

وصيفٌ يغلي بها وشتاءُ
وحثت نارها بالكواكب الجوزاءُ
أقلعت عن سمائها الأقداءُ
صبَّها في الزجاج الرصفاً
يحتلبُ الساقيان منها سواءُ
الصبح بكأسين، ظبية حوراءُ
الفضة حنا أطرافها الحناءُ

وكميت أرقها وهج الشمس
طبختها الشعري العيورُ
محضتها كواكب القيظ حتى
هي السرج في الزجاج إذا ما
ودم الشادن الذبيح وما
قد سقتني والليل قد فتق
عن بنان كأنها قُضبُ

وهو الذي يقول وقد اصطبح:

عن أذان المؤذن
في إزار متين
والطمني وأرمني

عاطني كأس سلوة
ما ترى الصبح قد بدا
فاسقينها سلافة

وقام فعثر "بد كدا" فسقط عليها وكسرها فذبحته ذبحاً.

وكان أشجع وحمزة ويزيد السلميون ندماء لا يفترقون فمروا بقبر أبي زيد الطائي وكان نديماً للوليد بن
عقبة بن أبي معيط فدفن إلى جبهه، فقال حمزة:

وقد لاحت ببلقة صلود
فجاور قبره قبر الوليد
بحمزة أم بأشجع أم يزيد

مررت على عظام أبي زيد
وقد كان الوليد له نديماً
وما أدري بمن تبدأ المنايا

فمات حمزة ثم أشجع ثم يزيد.

وخرج ثلاثة فتيان إلى سجستان في بعث، فكانوا يتنادمون فتوفي أحدهم فكان صاحبه يغدوان بطعامهما

وشراهما إلى قبره فيشرب كل واحدٍ منهما قدحاً ويصبان قدح الميت على قبره، ثم توفي أحدهما فدفنه الآخر إلى جانب صاحبه، وضرب على قبريهما قبة وجعل يشرب قدحاً ويصب على على قبريهما قدحاً ويكي ويقول:

خليلي هبّا طالما قد رقدتما
أجدّ كما ما تقضيان كراكما
ألم تعلمنا أن ليس لي من مُحدثٍ
ولا بسجستان نديمٍ سواكما
مقيم على قبريكما لست نازحاً
طوال الليالي أو يجيب صداكما
وأبكيكما بالوجد مني وما الذي
يُردُّ على ذوي لوعة إن بكأكما

وكان يحيى بن زياد الحارثي ذا لامروءةٍ وظرفٍ، وهو الذي يقول:

أعاذلُ ليت البحرُ خمرٌ وليتني
مدى الدهر حوتٌ ساكنٌ لجةَ البحر
فأضحى وأمسي لا أفارق لجةً أروي
بها عظمي وأشفي بها صدري

طوال الليالي ليس عني بناضبٍ=ولا ناقصٍ حتى أساق إلى الحشرِ وكان حمران بن إسحق بن أبان اللاحقي، ماجناً مدمناً وكان أبوه يعذله، فخرج إلى ماخور بعيدٍ من البصرة وكتب إليه أبوه يلومه ويسأله الرجوع إليه؛ فكتب إليه:

يا أبي لا ترت لي من غربةٍ
أنا في عيشٍ وخفضٍ ودعةٍ
وسجولٍ خمسةٍ أو ستةٍ
وإذا قلوا فعندي أربعةٍ
وخوابٍ هادراتٍ دهرها
وقناني ملاءٍ مُترعةٍ
ومغنٌ هزجٍ يطربني
وإذا شئت، تغنيت معه

لا نبالي من لحا في شربها
أبدأ حتى يوافي مصرعه

قال: فيئس أبوه من صلاحه وفلاحه فأعرض عن ذكره.

وشرب رجلٌ في بيت خمارٍ فأصبح ميتاً، فقيل للخمار: أنت قتلته، قال لا والله، ما قتلته إلا شربُهُ على غير طعامٍ.

وكان والبة بن الحُباب من كبار المدمنين، لو قلتُ إنه سنَّ الفتوةَ وشرع المندامة لقلت حقاً، وهو الذي يقول:

وندمانٍ يزيد الكأسَ طيباً
حليمٍ عند طيشٍ ذوي الخُلوم

دعوت "لليلة" وثنيتُ أخرى
فقلت ألا اصطبح، أصبحتُ
معتقةً كأن المسكَ فيها
وحسبُكَ بي، بها خبراً وعلماً
بتغذية الخوذة والعموم
إلاً بقايا غابر الليل البهيم
محرمّة على الرّجل اللئيم
ملأت يديك من رجلٍ كريم

وكان لوالبة إخوانٌ مثلهُ في الفتوة والظرف وإدمان القصف واللّهو قد خلعوا العذار وأنفقوا الطارف
والتلبد، منهم، عبّاد بن عبّاد الذي يقول فيه:

عبّادنا أطيّبُ الخلائق لا الغادر
أصبحتُ؛ ماذا بالسكر تنتظرُ
دونكها يا عبّادُ صافيةً
كأنها في الزجاجة الشرّرة
يوماً إذا همُ غدروا
دونكها قد تبلّجَ السحرُ
كأنها في الزجاجة الشرّرة

ومنهم مسعود بن عمرو وعمرو، اللذان يقول فيهما:

لما رأيتُ الصبح قد لاحا
نبهتُ مسعوداً وعمراً لها
كرخيّةً كالمسك معشوقةً
يحبسها الشارب تفاحا
وأقبل الفجر وقد لاحا
فقلتُ قوماً فاشربا الرّاحا
يحبسها الشارب تفاحا

ومنهم أبو الغرثان حفص بن غيلان الذي يقول فيه:

قلت لما برّق الفجر
ورأيت الديك قد أكثر
أسقى حفصاً يا أبا الغرثان
قهوةً أذكى من المسك
مُرّة تأبى إذا ما
وأبصرت الصبا
في الصبح الصياح
من كفيك راحا
إذا ما المسكُ فاحا
مُرّجت إلا جماحا

ومنهم عبد الله بن عمرو، الذي يقول فيه: ونديم حُلّو الشمائل كالدينار محض النجار سهل مُصَفّى قلت
عبد الإله قم بأبي أنت، فليّ، فقلت لبيك ألفا هاكها، قال: هاكها، قلت: خذها "قال لا أستطيعها" ثم
أغفى.

ولو لم يكن من ظرف والبة إلا أنه أستاذُ أبي نواسٍ لكفاه.

وناهيك بالحسين بن الضحّاك وأبي نواسٍ في صنعة الخمر وعتتها وفي الإدمان لشربها، والحضّ على المثابرة
عليها، ووصف المجالس وما فيها، والسقاة وبراعة جمالها و"آنيتها" واختلافِ نعوها والحاناتِ ومن يُلمُّ بها
والخمارين ومساحةٍ بعضهم في بيعها، ومغالة بعضهم فيها، قال الحسين:

وندمان صدق لا ترى بين جهره
وتنبه للناقوس أول نقرة
أتانا بها زيتية ذهبية
وبين الذي تخفي سريرته فرقا
ولم تبق لذات الكرام له علقا
كأن حبابا درها، حدقا زرقا

وهو القائل:

ومهفف نازعت فضل وشاحه
ما زال يضحك بي ويضحكني به
وعواتق باكرت بين حدائق
أتبعت وخزة نيك وخزة هذه
وكسوته من ساعدي وشاحا
لا يستفيق دُعابة ومزاحا
ففضضتهن وقد عيين صحاحا
حتى أنتزفت دماءهن جراحا

ولرب ملتبس الجفون بسكرة=شردت عنه منامه فأنزاحا

فكأن ري الكأس حين ندبتة
للشرب أنهض في حشاه جناحا

وقال إسحق بن إبراهيم: كان الأخطل نازلاً على عكرمة الفيّاض فإنه خرج من عنده يوماً فمر بفتيان يشربون، وعندهم قينة يقال لها شقراء، فأقام عندهم أياماً، فلما أتى عكرمة، سأله أين كان فأخبره بخبره فبعث "إلى الفتیان" بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: أستعينوا بهذه على أمركم ولم يزل ينادمهم حتى رحل وقال:

لعمرك ما لاقيت يوم معيشة
حوارية لا يدخل الذم بيتها
من الدهر إلا يوم شقراء أقصر
مطهرة يأوي إليها مطهر

وخرج الفرزدق إلى الشام فلما كان في بعض طريقه، رُفِع له بيت أحمر من آدم ودنا منه وسأل فقبل للأخطل، ونزل به، والأخطل لا يعرفه إلا أنه ضيف فأحضر له طعاماً، فلما أكل قال: أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا، فقال له الفرزدق: خفض عليك وأسقنا من شرابك فشربا وجلسا يتحدثان ويتناشدان، فوثب الأخطل وقال له: بحق من تعبد، أنت الفرزدق؟ قال: نعم، فجدد له التحية، وزاده في بره وإكرامه، وتحدثا وتناشدا إلى أن قال له الأخطل: والله إني وإياك لأشعر من جرير، ولكن يسير له من الشعر ما لا يسير لنا، لقد قلت بيتاً ما أعلم أحداً قال أهجى منه:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم
قالوا لأهمم؛ بولي على النار

فقل من يرويه، وقال هو:

والتغلبى إذا تتحنح للقرى

حكَّ أسته وتمثل الأمثالا

فلم تبق سقاة ولا أمثالها إلا روه وسار له؛ فأقاما نصطبحين أياماً كثيرة ثم افترقا.
ومن المستهترين بالشراب، المدمنين عليه، إبراهيم بن هرمة، ولما مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته:

نضا ثوبه عنك الصبا المتخايل

حتى بلغ إلى قوله:

أسيلٌ ووجهٌ في الكريهة باسل

كريمٌ له وجهان، وجه لدى الرضى

إذا كرها، فيها عقابٌ و" نائل

له لحظات عن حفاقي سريره

فأمُّ الذي آمنت آمنة الردى وأمُّ الذي أوعدت بالثكل تاكلُ وكان زياد بن عبد الله، قد جلده الحدَّ مراتٍ في خلافة أبي العباس السفاح، واستحسن أبو جعفر شعرة وقال: سلحاجتك، فقال: تكتب إلى عامل المدينة أن لا يحُدِّي إذا أتى بي سكران، فقال أبو جعفر: هذا حدُّ من حدود الله عز وجل، فلا يجوز لي أن أُعطِّله، قال: فاحتلَّ لي يا أمير المؤمنين فكتب إلى عامل المدينة؛ من أتاك با بن هرمة سكران فاجلده "مائة" جلدةً، واجلد ابن هرمة ثمانين فكان العون يمر به وهو سكران، فيقول: من يشتري مائة بثمانين. فلما ولى الحسن بن زيد العلوي المدينة قال لابن هرمة: إني لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك، قد رزقني الله بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم الممدوح، وجنيتي القبائح وإنَّ من حقِّه عليَّ أن لا أعصي في تقصير في حق ربي، وأنا أقسم لئن أتيتُ بك سكران، لأضربنك حدَّ الخمر وحدَّ السكر ولأزيدنك لموضع حرمتك بي؛ فليكن تركك لها لله عز وجل تُعَنَّ عليها ولا تدعها للناس فتتوكَّل عليهم، فنهض ابن هرمة وهو يقول:

وأدبني بآداب الكرام

نهاني ابن الرسول عن المدام

لخوف الله لا خوف الأنام

وقال لي اصطبر عنها ودعها

لها حبٌّ تمكَّن في عظامي

وكيف تصبري عنها وحيبي

وطيبُ النفس في حبِّ الحرام

أرى طيبَ الحلال عليَّ خبثاً

وهو القائل:

وروَّ عظاماً قصرهنَّ إلى بلى

هلم اسقني كأسي ودع عنك من أبى

لديَّ وعندي من هواه الذي ارتضى

فأنَّ نديمي، غير شكِّ، مُكرَّم

لأصرعه سكرأ، تحسَّ وقد أبى

ولست له في فضلةِ كأس قائلأ،

ولكن أحييه واکرم وجهه

واشرب ما بقي واسقيه ما اشتهى

ومنهم، أبو محجن الثقفي، وكان مولعاً بالشراب، مشتهراً فيه، شاعراً، فارساً، فحُدَّ مرات، وحضر القادسية مع سعد بن أبي وقاص وكان سعد لا يزال شارباً، فلما طال عليه أمره ضربته وقيدته وحبسه، فلما توقع القوم يوم القادسية وأبو محجن مشرفٌ عليهم نظر إلى المسلمين وقد فشلوا فأنشأ يقول:

كفى حزناً أن تردي الخيلُ بالقنا

وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا

إذا قمتُ عناني الحديدُ وأغلقت

مصارع من دوني تصمُّ المناديا

فلما سمعته إمراً سعد، قالت له: أعطني عهد الله أت ترجع إلى محبسك حين أطلقك، فأعطها عهد الله إن هي حلته من وثاقه أن يعود إليها حتى تعيده في محبسه؛ وإن قُتل فالقتل أكبر مما أرادوا به، فحلته وأعطته سلاحاً، وركب فرساً لسعد بلقاء، فخرج فجعل يشقُّ الصفوف مقبلاً ومدبراً، ويشد على المشركين حتى هزموا وسعد يقول: أما الفرس ففرسي وأما الشدات فشدات أبي محجن، فلم يزل يشدّ ويقتل حتى انهزم المشركون ورجع إلى إمرة سعد، فتزل عن الفرس وألقى سلاحه وردت رجليه في قيوده، فلما رجع سعد إلى منزله دعا بأمراته فسألها: هل ركب أبو محجن فرسه، فأنكرت ذلك، فأقسم عليها، فأحبرته الخبر، فدعا أبا محجن، وقال: والله لا اعاقبك فيها أبداً، قال: وأنا والله لا أشربها أبداً، إنما كنت أشربها حين كنت أحدٌ عليها فيكون الحدُّ كفارةً لشرها، فأما اليوم فلا ذقتها أبداً، وقال:

إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت

وحال من دونها الإسلام والحرَجُ

فقد أباكرها صهباء صافية

صرفاً وأطرب أحياناً، فأمتزجُ

وقد تقوم على رأسي منعمة

فيها، إذا رفعت من صوتها غنجُ

ترفع الصوت أحياناً وتخفضه

كما يطن ذباب الروضة الهزجُ

ودخل ابن أبي محجن على معاوية، فقال له: أبوك الذي يقول:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة

تروي عظامي بعد موتي عروقتها

ولا تدفني في الفلاة فإنني

أخاف إذا مت، أن لا أدوقها

فقال ابن أبي محجن، لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره، قال وما ذاك قال: قوله:

لا تسألني الناس ما مالي وكثرتُه

وسألتني الناس ما حزمي وما خلقي

القوم اعلم أنني من سراتهم

إذا تطيش يد الرعيدة الفرق

أُعطِيَ السنانُ غداةَ الرَّوْعِ حصَّتهُ

وعاملُ الرُّمَحِ أرويه من العَلَقِ

قد أركب الهولَ مسدولاً عساكره

وأكتُم السِرِّ فيه ضربةُ العُنُقِ

فحكى من رأى قبر أبي محجن في أرمينية "أنه" بين شجرات كرم، وفتيان أرمينية يخرجون بطعامهم وشراهم فيتزهون عنده، فإذا شربوا "صبوا" كأسه على قبره.

ومنهم، أبو الهندي، عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شَيْث بن رَبَّعي البربوعي وهو القائل:

إذا صليتُ خمساً كل يوم

فإن الله يغفرُ لي فسوقِي

ولم أشرك بربِّ الناس شيئاً

فقد أمسكت بالحبل الوثيق

فهذا الدين ليس به خفاءً

فدعني من بُنيات الطريق

وكان أبو الهندي كثيراً ما يقول في صفة الخمر، ومن مشهور أخباره أن قَدِيد بن مَنيع المنقري دعاه إلى أن يكفَّ عن الشراب، ويقلَع عما هو عليه من الأستهتار به على أن يزوجه ابنته، ففعل ذلك أياماً، وكان لَقْدِيد غلامٌ يقال له سالم، يغدو كلَّ يومٍ على أبي الهندي بوطب لبن قيشرب منه، فمرَّ بأبي الهندي بعض من كان ينادمه، فقال له: هل لك يا أبا الهندي في شراب لم يُعَين مثله، ومجلسٍ لذيدٍ، ولم يزل به حتى أنطلق معه، فلما شرب وعاد إلى ما كان عليه، أنشأ يقول:

يقول أبو الهندي إذ طاب ليلُهُ

وحلَّقتِ الجوزاءُ بالكوكبِ الفردِ

سيُغني أبا الهندي عن وطبِ سالمٍ

أباريق لم يعلق بها وضرُّ الزُبْدِ

مُفَدِّمةٌ قرٌّ كأن رقابها

رقاب بنات الماءِ تفرع للرَّعدِ

يمجُّ سُلَافاً في قواريرِ صورتِ

وكاساتِ صدقِ كلها حسنُ القَدِّ

كميت إذا ما ذاقها المرءُ أرعشت

مفصاله وازداد مجداً على مجد

ويبكي على ما فاته من شبابه

بكاءً أسيرٍ في الصفاد وفي القَدِّ

شهدتُ بفتيانٍ تميمٌ أبوهمُ

حسانٌ وجوهٍ من ربابٍ ومن سعد

وحجَّ به نصر بن سيار مرةً، فلما ورد الحرم قال له نصر: إنك بفناء بيت الله عزَّ وجل ومحل حَرَمِهِ فدع الشراب، فوضعه بين يديه وجعل يشرب ويبكي ويقول:

رضيع مدامٍ، فارق الراح رُوْحُهُ

فظلَّ عليها مستهلَّ المدامِ

أديرا عليَّ الكأسَ إني فقدتها

كما فقد المفطوم دَرَّ المراضِعِ

وكان يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني، وكان أبو الوليد الكناني ناسكاً، فاستعدي عليه وعلى ابنه فهربا منه، فقال أبو الهندي:

قل للسرّيّ أبي قيسٍ أتَهجرنا
أبا الوليدِ أما والله لو عمَلتِ
ولا نسيتِ حميّاها ولذتّها
ودارنا أصبحت من داركم صددا
فيك الشمولُ لما فارقتها أبداً
ولا عدلت بها مالاً ولا ولداً

وكان بسجستان رجل صُلب أبوه في خرابة وهي سرقة الإبل، فجلس إلى أبي الهندي، وطفق يعرض له بالشراب، فقال أبو الهندي: أحدهم يرى القذارة في عين أخيه ولا يرى الجذع في است أبيه، ومرّ به نصر بن سيار وهو يميل سكرًا، فقال له: أفسدت شرفك، فقال: لولا أني أفسدت شرفي لم تكن أنت والي خراسان.

ويقال إنه تاب في آخر عمره وترك شرب الخمر وقال:

تركت الخمر لأربابها
ولم يبق في الصدر من حبها
وقد كنت حيناً بها معجباً
وما كان تركي لها أنني
وأقبلت أشرب ماءً قراحا
سوى أن إذا ذكرت قلت آحا
كحبّ الغلام الفتاة الرّداحا
يخاف نديمي عليّ افتضاحا

"و" لكنّ قولي له مرحباً=وأهلاً مع السهل وأنعم صباحا وهو القائل: أعاذلُ لو شربت الراح حتى=يكون لكل أنملةٍ ديببُ

إذن لعذرتني وعلمت أني
وأبو الهندي "هو" القائل:
لما أنفقتُ من مالي مصيب

أتلف المال وما جمعته
واستبائي الزق من حانوته
كلما كُبتُ لشربِ خاتة
طلبُ اللذات من ماء العنب
شائل الرجلين معصوب الذنب
حبشياً قُطعت منه الرُكب

وكان عمر بن عبد العزيز وهو أمير على الحجاز أتي بالصلت ابن أبي العاصي المخزومي سكران فجلده الحدّ فغضب ولحقّ بالروم فتنصر، وبعث عمر رجلاً إلى ملك الروم في فداء من عندهم من الأسرى، قال: بينا أنا أجول في أزقة القسطنطينية إذ سمعت غناءً بلسانٍ فصيحٍ عربيٍّ وصوت شجيٍّ في هذا الصوت:

وكم بين الفرات إلى المصلّى

إلى أحدٍ إلى ميقات ريم

إلى الجماء من ثغرٍ نقيّ

عوارضه ومن دلٍ رخيمٍ

ومن عين مكحلة المآقي

بلا كحلٍ ومن كشحٍ هضيمٍ

فلم أسمع قط أطيّب منه، ولم أدر، أهو كذلك حسن، أم لغربة العربية في ذلك الموضع، ودنوت من الصوت فلما قربت منه إذا هو في غرفة، فتزلت عن دابتي وصعدت إليه فسلمت فردّ السلام وهو يبكي فقلت له: أبشر، فقد فك الله أسرك؛ بعثني أمير المؤمنين في فداء من بهذا البلد من المسلمين فما قصتك، قال: هربت إلى هذا البلد غصباً لما جرى عليّ من عمر بن عبد العزيز، فمررت يوماً بهذا المكان وأشرفت على جارية من أحسن الناس وجهاً فعشقتها وكلمتها فقالت: إن دخلت في ديني لم أخالفك، فدعيتني شدة الوجد بها إلى أن تنصرت. فقلت له، أكنت قارئاً للقرآن، قال نعم، قلت فما بقي معك منه، قال لا شيء إلا هذه الكلمة: "ربّما يؤدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين" قلت يا هذا، أتق الله وعاود الإسلام فإن الله يقول، "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" قال: وكيف، بعد عبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، انطلق صحبك الله.

وحكي عن يونس الكاتب، قال: كنّا متزهين بالعقيق أنا وجماعة من قريش، فبينما نحن في أكلٍ وشربٍ ومذاكرة طلع علينا ابن عائشة، فلما رأى جماعتنا وسمعني أغني في شعر جميل:

إن المنازل هيّجت أطرابي

واستعجمت آياتها بجوابي

قفرٌ تلوح بذئ الأراك كأنها

تجير وشيءٍ أو سطور كتاب

لما وقفتُ بها القلوص تبادرت

مني الدموع لفرقة الأحاب

وذكرت عصراً يا بثينة شاقني

إذ فاتني، وذكرت شرخ شبابي

جاءنا فسلم علينا وجلس فتحدث معنا، وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني، فأقبل بعضهم على بعض يتحدثون "بأحاديث كثيرٍ وجميل يستجرون" بذلك أن يطرب فيغني، فقلت: لقد حدثني اليوم بعض الأعراب حديثاً مليحاً، وإن شئتم حدثتكم به، قالوا هات: قلت: حدثني أنه أقبل من الربذة قال، فمررت بغدير، وإذا صبيان يتغاطسون فيه وإذا شابٌ جميل منهوك الجسم عليه أثر العلة، والنحول في جسمه بين وهو جالسٌ ينظر إليهم فسلمتُ عليه فردّ السلام وقال من أين وضح الراكب، قلتُ من الحمى، قال: ومتى عهدك به، قلت راتحاً، قال، واين كان مبيتك، قلت، بفناء فلان، فتأوه وألقى بنفسه على ظهره، وتنفس ظننت أنه خرّق حجاب قلبه ثم أنشأ يقول:

سقى بلداً أمست سليمي تحلُّهُ
من المزن ما يروى به ويُسيمُ
وإن لم أكن من قاطنيه فإنه
يحلُّ به شخصٌ عليّ كريم
ألا حبذا من ليس يعدلُ قُربُه
لديّ، وإن شطَّ المزار، نعيم
ومن لامني فيه حبيبٌ وصاحبٌ
فردُّ بغیظ، صاحبٌ وحميمٌ
ثم سكن كالمغشي عليه، فصحت بالصبيبة، فأتوا بماءٍ فنضحتُ على وجهه فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصبُّ الغريب رأى خشوعي
وأنفاسي تزین بالخشوع
ولي عينٌ أضربُ بها التفاتي
إلى الأجزاء مطلقاً الدُموع
إلى الخلوات، تأنسُ فيك نفسي
كما أنس الوحيدُ إلى الجميع

فقلت: ألا أنزل فأساعدك أو أكثر عودي على بدئي إلى الحمى، في حاجةٍ إن كانت لك، أو رسالة، فقال: حزيت خيراً وصحبتك السلامة، إمض لطيتك، فلو علمت، أنك تُغني لي شيئاً لكنت موضعاً للرجبة، ولكنك أدركتني في صُبايةٍ من حياتي يسيرة، قال: فانصرفت وأنا لا أراه يُمسي ليلته إلا ميتاً، فقال القوم: ما أعجب هذا الحديث، فطرب ابنُ عائشة وقال ليونس الكاتب: أعد عليّ الشعرين، فأعادهما عليه، فصاغ للأول منهما لحناً في خفيف الرَّمَل المطلق في مجرى الوسطى، وقيل إنه منسوب إلى معبد، فأخذ ابن عائشة وعمل في الثاني لحناً في خفيف الثقيل وغناهم فيهما، قالوا فما سمعنا قط مثاه ثم ختم مجلسنا بهذا الصوت:

أفاطمُ إن النأي يُسلي ذوي الهوى
ونأيك عن زادني بكمٌ وجدا
وما هبَّ عرفُ الريح، من نحو أرضكم
فبيلغني، إلا وجدت له بردا
على كبدٍ قد كاد يبذب بها الهوى
صدوعاً، وبعض القوم يحسبني جلدا

وجعل يعيده ونحن نشرب حتى ما عقل كلُّ واحدٍ منا كيف وصل إلى أهله سكرًا. وحكى إسحق بن إبراهيم الموصلِي، عن أبي عبيدة قال: قدم الفرزدق المدينة فتزل على الأحوص فقال له الأحوص: ما تشتهي، قال: شواء، ووطاء، وغناء، فأتاه بذلك وقينة من قيان أهل المدينة فشرب وغنته بهذا الصوت:

ألا حيِّ الديار بسعدِ إني
أحبُّ أحبُّ فاطمةَ الديارا
إذا ما حلَّ أهلك يا سليمي
بدارةٍ جُلجُلٍ شحطوا مزارا
أراد الطاعنون ليحزنوني
فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها، قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر، قال: لا والله، قال: هو لجرير يهجوكم به، قال: ويل ابن المراغة، ما كان أحوجه مع صلاحه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع قسوتي إلى رقة شعره.

قال إبراهيم: كنت في زمان شبابي أأزم الخمارين بِقَطْرُثُلٍ فَجِئْتُ يوماً إلى خمارٍ ما رأيت أنظف منه، فقلت: ما عندك؟ قال: عندي شيءٌ يوافقك، وأخرج لي شراباً كشعاع الشمس لم أر مثله، فقلت: اكنل لي منه، وكنت قد صنعت في الوقت لحناً:

شُرْبَكَ الرَّاحِ وَقُوراً

وظلاماً وبكوراً

اشرب الراح وكن في

اشرب الراح رواحاً

وطريقته: خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى، فجعلت أترنم به وأردده لكي يستوي "وكان" الخمار قد قرَّب الإناء واكتال فيه حتى امتلأ وفاض وهو يزيد فيه والشراب يجري حتى استغدر بين يديه، فقلت له: ويحك، أتلفت شرابك وهرقت، فما بالك، فقال: والله يا مولاي، ما هو إلا أن سمعت ترجيعك في هذا الصوت فذهب عقلي فما أسمع ولا أبصر، فذهبت لأذن له ثمن شرابه فحلف بدينه ألا يأخذ مني ثمناً ولو حملت كل ما في حانوته، وقبَّل أطرافي ورغب إلي في المقام عنده، فأقمت في ضيافته ثلاثاً، لأولاني فيها من الخدمة والبر والإكرام ما لا أقدر على صفتها، فكنت بعد ذلك لا أفارقه زمناً طويلاً. وحكى جحظة عن موسى بن هرون، قال: كنت مع إسحق بن إبراهيم الموصلي في نزهة فمرَّ بنا أعرابي، فوجه اسحق غلامه زياداً فجاء بالأعرابي فلما شرب وسمع حنين الوتر والدَّوَالِيْب، قال:

وَأَحْنُ مِنْ طَرَبٍ إِلَى نَجْدٍ

وجدي لزيد عليه ما عندي

حنت وليس تحن عن وجدٍ

لو قيس وجدُ العالمين إلى

قال: فما انصرف إسحق إلى بيته إلا محموراً من السكر، وما شرب إلا على هذه الأبيات، وغنى فيها إسحق بالبِنَصْر.

وكان عروة بنُ الوَرد أحد الصعاليك الجَّان المشهورين، مشتهراً بالشراب، فشرَّب الخمر بكل شيءٍ يملكه حتى ارتهن امرأته سلمى الغفارية ثم ندم وقال:

لبرقٍ من تهامةٍ مستطيرٍ

أرقت وصحبتني بمضيق عمرو

لأنسة الحديث رضابُ فيها=بُعِيدَ النوم كالعنب العصير

سقوني الخمر ثم تكفوني عداة الله من كذب وزور

فلا والله لو مُلِّكتُ أمريومن لي، بالتدبُّر في الأمور فيا للناس كيف غُلبتُ أمريعلى شيءٍ ويكرهُه ضميري وعن إسحق بن إبراهيم قال: كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن عليّ، وكانت محسنة بارعة، وكان بشار صديقاً لسيدها، فحضر مجلساص يوماً والجارية تعني، فإذا سكتت أخذ بشارٌ في إنشاده ونوادره، فسُرَّ الرجل ببشار وشرب حتى سكر ونام، ونهض بشار، فقالت له الجارية: يا أبا معاذ، أُحِبُّ أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر اسمي ولا اسم سيدي، فانصرف وكتب إليه:

وذات دلّ كأن البدر صورتها باتت تغني عميد القلب سكرانا

"إن العيون التي في طرفها حورٌ=قتلنا ثم لم يحين قتلاتنا" "يصرعن عن ذا اللب حتى لا حراك به=وهنّ أضعف خلق الله إنسانا"

فقلت أحسنت يا سؤلي ويا ألمي فأسمعيني جزاك الله إحسانا

"يا حَبْدًا جبلُ الرِّيان من جبلٍ=وحبدا ساكن الرِّيان من كانا"

فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا

فأسمعيني صوتاً مطرباً هزجاً يزيد صباً محباً منك أشجانا

يا لبيتني كنت تفاحاً تقبله أو كنت من قضب الريحان أفنانا

حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها ونحن في خلوةٍ مُتلت إنسانا

"أصبحت أطوع خلق الله كلهم=لأكثر الخلق لي في الحب عصيانا"

لو كنت أعلم أن الحب يقتلني أعددت لي فيك إذ لقاك أكفانا

فلما وقف على الأبيات سرَّ بها وبعث إليه ثلاثة آلاف درهم.

وحكى إبراهيم الموصلي قال: حدّثني رجل ظريف من أهل الطائف قال: عشق العرجي امرأة من قريش فجعلني رسولاً إليها، فأتيته برسالته وأخذت موعدها لزيارته لموضع سمّاه، ثم بكرت أنا وهو وحملنا معنا سُفرة وزُكرة على أتان، فجاءت ومعها جارية، وجاء على حمار ومعه غلام، فأكلا وشربا وتحدّثا ثم قمت عنهما فوثب عليها، ووثب الغلام على الجارية، والحمار على الأتان، وقعدت أسمع النخير من كل ناحية، فأنعظت ولم يكن لي حيلة إلا أن جلدتُ عميرة، فرفع العرجيُّ إلي رأسه وقال: هذا يومٌ غابت عواذله؛ فما لي حسنة أرجو ثوابها رجائي لثواب ذلك اليوم.

وكان سعيد بن القعقاع الطائي يتقدم بشاراً في المجانة، وكان لا يزال ينادمه، فقال له: ويحك يا أبا معاذ،

إن الناس ينسبون إلينا الزندقة، فهل لك في أن تحج حجة تنفي بها عنا ذلك، فقال له: نعم ما رأيت، فاشترى بغيراً ومحملاً وركبا حتى مرا بضیعة كثيرة البساتين والخمر، يقال لها زُرارة فقال له: ويحك يا أبا معاذ: مل بنا إلى زُرارة ننعِم بها فإن الحج بعيد، فإذا قفل الحاج عارضناهم وكنا معه، فلم يشك الناس أنا جئنا من الحج، فقال له بشار: نعم ما رأيت، لولا حبت لسانك فإني أخاف أن تفضحنا، قال: لا تخف، ومالا إلى زُرارة، فما زالا يشربان الخمر ويفسقان حتى نزل الحاج بالقادسية راجعين، فحلقا رأسيهما وأقى، وتلقاهما الناس يهتوئهما، فقال سعيد بن القعقاع:

ألم ترني وبشاراً حججنا

وكان الحج من خير التجارة

خرجنا طالبي سفرٍ بعيدٍ

فأب الناس قد حجوا وبروا

وقال السندي بن الصباح: شهد بشار مجلسنا، وقال: لا تصيروا مجلسنا هذا شعراً كله، ولا حديثاً كله، فإن العيش فرصٌ، ولكن غنوا؛ وتحدثوا، وتناشدوا، وانتهبوا العيش انتهاباً. وكان بالكوفة ثلاثة نفرٍ يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار، ويتعاشرون ولا يكادون يفترقون، فكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يرمون بالزندقة جميعاً. ودخل مطيع ابن إياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية، فإذا سراجهُ على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين، فقال له يحيى بن زياد: يا حماد إنك لمسرفٌ تبذل حُرَّ المتاع، وقال له مطيع: ألا تبيع هذ المنارة وتبتاع أقل ثمناً منها وتنفق على نفسك الباقي وتتسع فيه، فقال له يحيى: من أين يكون له مثل هذه، أظنها وديعة عنده أو عارية، فقال مطيع: أما إنه لعظيم الأمانة عند الناس حين أودعوه مثلها، قال يحيى: ما أظنها عارية ولا وديعة، ولكني أظنها مرهونة عنده على مال، وإلا فمن يُخرج هذه عن يده، فقال لهما: قوما يا ابني الزانيتين اخرجنا من منزلي، فشر منكما من يدخلكما منزله هذا. وقد كان أحد خلفاء بني أمية يصلُّه بمائة ألف فيتلِف كل ما أفاد في إدمان الشراب. وقال إسحق الموصلي: حدثني أبو يعقوب الخُرَيْمِي قال: كنت في مجلسٍ فيه حماد الراوي ومعنا غلام أمرد فجعلنا نشرب، وينظر إليه حماد، فقال لي: يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلة أن أفتك بهذا الغلام، فقلت: شأنك، فلما سكرنا ونمنا لم أشعر إلا وحماد ينيكُنِي، فكرهت أن أتكلم فينتبه الناس فأفتضح، فأخذت بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفني، فقال لي: قد عرفتك الآن، فيكون ماذا، وفديناه بذبح عظيم، فما برح وأنا أعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل. قال أبو العباس الميرد، حدثني عبد الصمد بن المعدل، قال: سمعت إسحق بن إبراهيم الموصلي يقول:

حججت مع أمير المؤمنين الرشيد، فلما قفلنا ونزلنا آخيت بها رجلاً كانت له سنٌ ومعرفةٌ وأدبٌ وكان يُمتعني، فإني ذات ليلة في متري إذا بصوته يستأذن عليّ، فظننت أمراً أقدمه وفزع إليّ فيه، فأسرعت نحو الباب وقلت: ما جاء بك؟ قال: إذن أخبرك: دعاني صديق لي إلى طعام عتيدي وشرابٍ عتيقٍ وحديثٍ ممتعٍ وغناءٍ مطرب، فأقمت عنده إلى هذا الوقت، لإخذت مني حمياً الكأسِ مأخذها ثم غنيت بقول نُصيب:

بزِينبِ أَلَمِّ قَبْلِ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلِينَا، فَمَا مَلَّكَ الْقَلْبُ

فكدت أطيّر طرباً، ثم وجدت نقصاً في الطرب، إذ لم يكن معي أحد يفهم هذا كما فهمته، فترعت إليك لأصف ذلك لك ثم أرجعُ إلى صاحبي، وضرب بغلته مولياً، فقلت: قف أكلمك، قال: ما بي إلى الوقوف إليك من حاجةٍ.

وجرى بين معبد المغني وبين الأحوص كلام، فحلف معبد لا يكلمه ولا يغني في شعره، فشق ذلك على الأحوص، فلما طالت هجرته إياه رَحَلَ نجيباً له وجعل زُكْرَةَ خمرٍ في حقيبه وأعدَّ معه دنانيرٍ ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبد جالس بفنائه، فنزل إليه الأحوص وكلمه فلم يكلمه معبد، فقال: يا عبّاد، أتهجري وقد عرفت مودّتي وصحبي؟ فخرجت إليه امرأته أم كردم فقالت: أتهجر أبا محمد، والله لكلمته، فاحتمله الأحوص وأدخله البيت وقال: والله لا رمتُ هذا البيت حتى أكل الشواءَ وأشرب الطلاءَ وأسمع الغناء، فقال له معبد: أخزاك الله، هذا الشواء أكلته، وهذا الغناء سمعته، أن لك بالطلاء، قال: قم إلى تلك الحقيبة ففيها زُكْرَةُ خمرٍ ومعها دنانير فأصلح بها ما تريد من أمرنا، ففعل، فقالت أم كردم: معبد، أتهجر من إن زارنا أغدر فينا نَيْلاً وفضلاً وأكلاً وشراباً! وغناه معبد، ثم انصرف الأحوص مع العشاء يميل بين شِقِيٍّ راحلته.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: حكى يونس الكاتب، أن معبداً، كان علّم جارية لبعض أهل المدينة تسمى ظبية، وعُني بتخريجها حتى حدقت عنه، فاشتراها من أهلها رجل عراقي وتوجّه بها إلى البصرة، فغلبت عليه وشغف بها غاية الشغف، وعلمت له عدة جوارٍ ثم ماتت عنده، فكان لشدة وجده بها وأسفه عليها لا يزال يهذي بمعبد ويسأل عنه ويظهر له التعصب إلى أن بلغ معبداً خبره وعرف أنه من أهل اليسار والمروعة، وأنه لو قصدته انتفع به فمضى نحوه. فلما قدم البصرة سأل عنه فقيل: اليوم انحدر إلى الأهواز، فأسرع معبد في أثره ليلحق به فطلب زورقاً فصادف الزورق الذي فيه الرجل، فقال له الرجل: أين تريد؟ قال: الأهواز، قال: وما تصنع هناك؟ قال: أنا رجل أغني وأحببتُ أن أقصد بها الفتیان وأهل المروعة، فلما سمع الرجل ذلك قربه وأكرمه وفرش له موضعاً في الزورق من غير أن يعرف أحدهما الآخر، فلما حضر

الطعام أكلاً جميعاً وأتى بالنبيذ فشرب، وكان مع الرجل جوارٍ ممن كانت ظبية علمتهن، فأمرهن أن يغنين، فغنت إحداهن:

باننت سعاد وأمس حبلها اتخذما
واحتلت الغور والأجراع من إضما
إحدى بليٍّ وما هام الفؤاد بها
إلا السفاه وإلا ذكرةً حلماً

والغناء لمعبد "بجد أدأه" فقال لها معبد: إن غناءك هذا ليس بمستقيم، فقال له الرجل: أبلغ من قدرك في الغناء أن تميز هذا الصوت، فالزم شأنك؛ فأمسك، وغنت بعده عدة أصوات وهو ساكت، ثم غنت لحناً فاختلفت به، فقال لها معبد: يا جارية قد اختلفت بهذا الصوت إخلالاً شديداً، فقال له الرجل: ويملك مالك والفضول، فسكت حتى فرغت الجارية، واندفع معبد يغني الصوت الأول حتى فرغ منه، فصاح الجوارى: أحسنت والله، أعده علينا، قال: لا والله، ولا كرامة، ثم اندفع في الصوت الثاني، فقلن لسيدهن: هذا والله أحسن الناس غناءً، فسأله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه فإننا لن نجد مثله أحداً، فقال: أسلفنا عنده إساءة وقد سمعتن جوابه، وأنا أخشى إن سألته مسألةً، فما فرغ الصوت حتى زلزل الأرض، فوثب الرجل فقَبَل رأسه واعتذر إليه، ولم يزل به حتى سكن، فقال له: من أين لجواريك هذا الغناء؟ قال: أخذته عن جارية كانت لي يقال لها ظبية ابتعتها من الحجاز من تعليم الأستاذ معبد، وكانت تحل مني محلَّ روعي من جسدي، فاستأثر الله بها، فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد ولغناؤه، فقال له معبد: وإنك لأنت هو، فأنا والله معبد، وإليك أردتُ ولك قصدتُ، فسُرَّ الرجل به وقَبَل رأسه، وخرج الجوارى فقبلن يديه ورجليه، فقال له معبد: والله لأقيم عندك حتى أصير جواريك مثل ظبية وأكثر، فأقام عنده سنة، وانصرف عنه وقد أجزل صلته وجائزته وأحسن إليه.

قال إبراهيم الموصلي: حدثتُ أن ابن عائشة وأصحاباً له كانوا يجتمعون كلَّ يوم عند واحد منهم ويطربون وبلغت النوبة إليه ولم يكن عنده ما يقوم به يومهم، فصاغ صوتاً في شعر مدح به العباس بن علي بن عبد الله بن العباس، فغدا عليه والعباس مريض وعند عواده، فلما دخل إليه اندفع يغني:

أسهر بالليل من تذكر ما
تسهر منه والناس قد هجعوا

فليت ما بي من صحة بك أفديك وبى "منك" لا بك الوجع قال: فتهلل وجه العباس واستوى قاعداً ثم قال: يا غلام الدنانير، فجاء بها فقال: أحش لي فيه، قال: فرأيت يوسع في شذقيه ودعا له بتخت ثياب، فلما خرج، عدَّ الدنانير فإذا هي تسعون ديناراً تنقص واحداً أو تزيد فأنفقها على أصحابه. وقال إسحق: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: كان عبد الله بن عمرو بن عثمان يلي صدقات

عثمان بن عفان رضي الله عنه وأحباسه وأوقافه وله أخٌ من أبيه يقال له عثمان بن عمرو ويلقب بـ"خرا الزنج" سفيه مخنث مهتوك، فقيل له: ويلك أخوك من الجلالة والفضل على ما قد علمه الناس، وهو يلي صدقات جدك، وأنت سفيه مهتوك، فلو لزمتم المسجد واستقام مذهبك، جعلت لك يدٌ مع أخيك، ولعلها كانت تفضي إليك بعده، وجعل قومٌ يحسدون عبد الله ويغرون أخاه بذكر هذا، وكان عبد الله أجمل أهل زمانه وكان يلقب "قبة الديباج"، فذكر الماحشون قال: كان الناس يختلفون إليه وإلى عبد الله بن عبد الله بن عباس وهما بالمسجد يتأملون حسنهما ويزعمون أنهما أجمل أهل زمانهما فلزم "خرا الزنج" المسجد والصلاة والجماعة والقراءة حتى عُرف بالخير، ثم خاصم أخاه عبد الله عند القاضي وكان القاضي سيء الرأي في عبد الله فوجد "خرا الزنج" أن يدخل يده مع عبد الله في الوقف، ولم يأمنه عبد الله أن يفعل، للذي بينهما من الخلاف، فضاق به أمره، وكان يمزح مع أشعب، وجاءه أشعب فرآه مغموماً، فقال: ما لك يا سيدي يا ابن الشهيد، فعرفه، فقال: إن احتلت الآن لتصرفه عن رأيه فلك مائة دينار، فإنه يقبل منك لما بينك وبينه، فقال له أشعب: كفيئتُك، وجاءه أشعب حتى أتاه في المسجد فقال له: ويلك ما هذا الشؤم الذي ألزمته نفسك، ما لك وللصلاة والقراءة ولزوم المسجد، تركت اللهو والطرب والغناء وشرب النبيذ والأكبار والنايات والطبول، فقال له "خرا الزنج": ويلك أنا أخاصم عبد الله أخي في الوقف وقد وعدني القاضي أن يدخل يدي مع يده، فإذا فعل رميت بهذا كله وعدت إلى كل شيء تعرف فلا تغتم، قال: فاحتل عليّ في يومٍ واحدٍ تذكركي به أيامنا، قال: واله ما عنديفي هذا الوقت شيء، قال له أشعب: فأنا أستلف لك من فلان التاجر مائة دينار، قال: فافعل ذلك، فمضى أشعب إلى التاج فقال: قد علمت أن "خرا الزنج" يأخذ منك الدرهم بعشرة، وغداً يدخل القاضي يده مع أخيه فلا يذهب لك عليه درهم واحد، فقد احتاج إلى مائة دينار تعامله عليها، فعرف التاجر الخير بما ذاع عن القاضي فأعطاه المال وخرج "خرا الزنج" إلى قصره بالعرضة وأمر بفسطاط فضرب له هناك، وقال لأشعب: ويلك هل علم بنا أحد، قال: لا وحق أبيك الطيب، قال: اذبحوا لنا كذا، واطبخوا لنا كذا، فقال أشعب: يا سيدي أي شيء تأكل إلى أن يدرك هذا الطعام؟ فإن: انتظاره يطول علينا، قال: ما تشتهي، قال: الرؤوس، قال: ويلك إن بعثت غلاماً لي إلى السوق في ابتياع الرؤوس لم آمن أن يسأل أحدٌ عنا فيخبر بموضعنا ويتصل بالقاضي فلا يتم ما نؤمله فقال له أشعب: فأنا يا سيدي ألتطف وآتيك بكل ما تحتاج إليه من غير أن يعلم أحد، قال: فدونك فركب دابةً وركض إلى السوق فأرهب السوق واشترى كل رأسٍ فيه، وجعل أهل السوق ينكرون ذلك لكثرة ما اشترى منها، فيقال له: ويلك يا أشعب ما تصنع بهذه كلها فيقول: لابن الشهيد، لأنه أخرجنا إلى التزهة في قصره بالعرضة ومعنا الأكبار والطبول والنايات والعيدان والمخانيث وكل شيء طيب فملاً به الدنيا، ومر أشعب بعبد الله بن عمرو فقال له: وافني وقت كذا بمن

قدرت عليه من العدول إلى قصر أخيك بالعرصة؛ ووافى أشعب بالرؤوس فقال: يا سيدي ما علم بنا أحدٌ من خلق الله، فقال: أحسنت ولطفت، فأكلوا وقدّموا النبيذ وتضمّخوا بالخلق ولبسوا المصبغات والحلي والشنوف؛ ثم أرسل عبد الله إلى أهل المسجد وأهل الفضل ووجوه الناس فقال: إن أخي عثمان تحامل عليّ في حائط بيبي وبينه ولست آمن أن يقع بيننا اختلاف فأحبّ أن تحضروا معي حتى تحملوني وإياه على الحقّ. فأسرع الناس معه وجعل "خرا الزنج" يقول لأشعب: ويلك غنّني، فيغنيه من أجود أغاني الناس، لابن سُرّيج ومعبد ومالك ابن أبي السمح و"خرا الزنج" يقول له: دعني من هذا يا ابن الفاعلة ويعطف على من معه من المخانيث ويقول: شدوا أطبولكم وأنفخوا في السريانات وغنوا معي، وارهجوا الأكبار والطبول والسريانات، وجعلوا يغنون معه:

هيّ لنا الأتانة

يا أم حوفزانة

فما زالوا على هذا حتى هجم عليهم عبد الله بن عمرو ومن معه من الفقهاء والعدول وفي عنق عثمان وهو خرا الزنج كبرٌ، وفي عنق أشعب طبل وقد سكر، فقال عبد الله للعدول: هذا الذي يريد القاضي "أن" يدخل يده معي في الوقف، فقال القوم: كلاً والله، ما ذلك له، ولا هذا الرجل بأهل أن يؤمن على نفسه فكيف يؤمن على مال غيره، قَبَّحَ اللهُ هذا. فالتفت "خرا الزنج" إلى أشعب "وقال": ماذا صنعت يا ابن الزاني، قتلني الله إن لم أقتلك فقال أشعب: يا مشؤوم، قد علمت أنك متحوفز إلى النار حين جعلت تقترح عليّ يا أم حوفزانة، وقال للقوم: احمولوني معكم وإلا قتلني، وجعل يحدثهم حديثه وهم يضحكون و"خرا الزنج" يعدو خلف دواهم ويصيح: ردّوا عليّ نديمي والقوم يلعنونه ويخثثونه حتى دخلوا المدينة فلقوا القاضي فأعلموه ما رأوا ولا موه في أمر عبد الله فعاد إلى إجلاله وتعظيمه وطرده "خرا الزنج" وإبعاده ووفى عبد الله لأشعب بالمائة دينار.

قال مخارق المغني: لقيني أبو العتاهية فقال: أنا شديد الصبابة بك، متشوق إلى مجلس منك، كثير الوله نحوك، فقلت له: وما ذلك؟ قال: تمتعني بمجلس منك، قلت: نعم، قال: فمتي، قلت: متى شئت، قال: غداً، ثم قال لي: إني والله إن فارقتك على ميعاد ثم أخللت به اقترقتنا، فندمتُ وقلتُ في نفسي: أنا عبد مملوك، فلا أدري ما يتهيأ لي من هذا، ولعل أمير المؤمنين يطلبني، وأبو العتاهية لا يقبل عذراً، و"أما" أنا فلا طاقة لي بلسانه فما صنعت بنفسي، ولم أتم من الفكرة حتى أضاء الفجر فحمدت الله تعالى إذ لم يأتي رسول، غدوت إليه فوجدته قاعداً يُسبِّح بعد الصلاة فسلمت عليه فرحب بي وقصصت عليه ما أصابني فشكر ذلك وجزاني خيراً وأخذنا في الحديث وهو قاعد في غرفة له مشرفة على بستان قد فتح إليه أبواباً

صغاراً تقابله، فمرة ينظر إلى البستان، ومرة ينظر إلى من يُمر في الطريق ونحن في أطيب موضع وقد أوسعني والله سروراً وفوائد وطرائق اختبار، ثم قال: هل اشتهيت الطعام، قلت: نعم، فقال لغلامه: أحضر الطعام، ف قرب الوضوء فغسلنا أيدينا ثم جاء بخوانٍ لطيف عليه سُكَّرُجات في إحداهن ملحٌ وفي الأخرى مرق، ثم أقبل الغلام برغيفين واسعين حسنين، على كل واحد منهما دجاجة باردة وسكين، فأصاب وأصبت منها ثم أقبل بطبق عليه سكرجات مثل الأول ثم برغيفين مثل الأولين عليهما دجاجتان مشويتان حارتان وسكين فأصبت وأصاب ثم رفع باقي الدجاجتين والرغيفين، ثم جدّد طبقاً آخر مثل الأول عليه سكرجات ورغيفان عليهما فرخان باردان ثم مثل ذلك حارّان ثم طبق عليه جامان فيهما سُرتا حوت مملوحة، ثم مثل ذلك عليهما سُرتا حوتٍ طريّ، مثل ذلك من جدي بارد، ثم حارّ، وذلك سوى ما على المائدة من كل لونٍ حارٍ وبارد، ثم أتى الغلام فقال: فرغت من الطبخ وعندي كذا وكذا حتى عدّد ألواناً كثير، فالتفت إلي وقال: أدعُ بما شئت، فقلت: لم أبق من شهوتي في الطعام شيئاً لما يأتي، فقال: الحمد لله، ثم جاء بالوضوء فغسلنا أيدينا، ثم جاء بحوضين من ساجٍ مرصعين، في كل واحدٍ منهما صينية فيها حرداذي، وقدح ومغسل وكوز ماءٍ باردٍ من نبيذٍ مصفّى رقيق، ثم شرب وشربتُ حتى استوفينا ستةً وستةً، ثم قال: يا مخارق، غنّ:

ونعى الشباب مخبرٌ لم يكذب

ذهب الشبابُ وليته لم يذهب

ونشوب لذته بلهوٍ معجب

بيننا الشبابُ تسرُّنا أيامُهُ

وإخال أني سابق بك فأركب

نزل المشيب وقال جانب عقبتي

مثل الشباب موداً لم يُندب

فأندب عشيات الشباب فلن ترى

فغنيتها فبكى ثم قال: غنّ:

وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا

بان الخليط، ولو طوعتُ ما بانا

قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا

إن العيون التي في طرفها مرضٌ

وهنّ أضعف خلق الله إنسانا

يصر عن ذا اللب لا حراك به

فغنيتها ثم قال: غنّ:

عشيّة همّ صحبك بالرواح

أتصحو أم فؤادك غير صاح

أهذا الشيب يمنعي مراحي

تقول العاذلات علاك شيبٌ

وأندى العالمين بطون راح

ألستم خير من ركب المطايا

فغنيته فبكي، ثم قال: يا أبا المهنا على اللهو السّلام، والله لا يراني الله بعد هذا اليوم حاضراً لهواً ولا لعباً ولا ذائقاً مسكراً وقد ختمت الدنيا بغنائك، ثم عانقني وقال: "انصرف" إذا شئت، قال: وكنت من شدة حذري ركبت إليه وليس معي غلامٌ ولا شاكري ولا يعلم أحد في منزلي إلى أين غدوتُ، ورسّل الرشيد في طلبي قد ربعوا بغداد وهم يضربون غلامي يسألونه عني ولا يعلم لي موضعاً حتى برزت من سكة أبي العتاهية فابتدرني غلامٌ لي ومعه الرسل، فكان وجهي معهم إلى القصر، فلم أسأل عن شيء حتى بطحت فضربت مائة مقرعة، ثم قيل لي: يقول لك أمر المؤمنين: أين كنت اليوم؟ فقلت: إن لي عذراً لا أتكلم به حتى أرى وجهه، فدعاني فقصصت قصتي وقصته من أولها إلى آخرها على ما كانت، فقال الرشيد: فجعتنا والله بأبي العتاهية، إني لإخاله خاتمة لهونا، ثم قال: غني أصواته، فكررتها عليه صوتاً صوتاً، ثم حدثته عن طعامنا وشرابنا ومجلسنا، فقال: ما أحسن كلّ شيءٍ كنتم فيه، ثم قال: يا غلام، عشر بدر، فلما أتي بها ووضعت بين يديه قال: هذه المائة بتلك المائة، فقلت: يا سيدي، وددت والله لو كانت مائتين، فضحك، وأمر بعشرٍ أخرى، فانصرفت بمائتي ألف وغدوتُ على أبي العتاهية فحدثته بما جرى وعرضت عليه المال، فقال: وددت يا أخي أي وقتيك الضرب وأنهم أضعفوا لك الصلة. وحكى أحمد بن يحيى ثعلب عن عمرو بن شبة عن مخارق، قال: دخلت على أبي العتاهية في مرضه الذي مات فيه فلما رأيته هسّ إليّ وقال: ادنُ مني بأبي أنت وأمي فدنوت منه "وقلت" ما تحب، فقال: أحب أن أسمع منك:

أحمدٌ قال لي ولم يدر ما بي

أتحب الغداة "عتبة" حقاً

فتنفست ثم قلت: نعم حباً

لرأيت الفؤاد قرحاً تفقا

لو تبينت ما يجن فؤادي

قال: فغنيته، فقال: كأني حبيت بك واستعاده مرارا فأعدته فقال: انصرف راشداً، وسألني أن آتية في غدٍ وقال: إن لم تأتني متٌ فجتته من الغد فقال: غني:

فإن غناء الباكيات قليل

إذا ما انقضت عني من العيش مُدتي

ويحدث بعدي للخليل خليل

ستعرض عن ذكري وتنس مودتي

فغنيته وأغمي عليه وخرجت من عنده فلحقني من عرفني بوفاته.

واجتمع دعبل وصرير الغواني وأبو نواس وأبو الشَّيْص فقال أبو نواس: إن مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده، فليات كل امرئ بأحسن ما قاله فليُنشده، فأنشد أبو الشَّيْص:

متأخرٌ عنه ولا متقدمٌ

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي

وأشد صريع:

وقصرت همم العذال عن عذلي

أجرت حبل خليع في الصبّا غزلٍ

أنشد دعبل:

لا أين يطلب، ضلّ، بل هلكا

أين الشباب وأية سلّكا

ثم سألوا أبا نوا أن ينشدهم فأنشد:

لا تبك ليلي ولا تطرب إلى هندٍ واشرب على الورد من حمراء كالورد

فسجدوا له فقال: أفعلتموها أعجمية، لا كلمتكم ثلاثاً ولا ثلاثاً ولا ثلاثاً، ثم قال: تسعة أيام في هجر الإخوان كثيرة، وفي هجر بعض يوم استصلاح المفاصد وعقوبة على الهفوة، فإن أيام العمر أقلّ من أن تمحق بالهجر.

وأشيع عنه أنه نزع عما كان عليه من البطالة وشرب الخمر، فاجتمع أصحابه وأقبلوا عليه يهنتونه بذلك، فوضع بين يديه باطية وجعل لا يدخل عليه أحد يهنته إلا شرب رطلاً وأنشد:

في كل أعيد ساجي الطرف مياسٍ

قالوا انزعت ولما يعلموا وطري

لحظ العيون وقرع السن بالكأس

كيف النزوع وقلبي قد تقسمه

مع الأكفاء والراح والريحان والآس

لا خير في العيش إلا المجون

حَتَّ علينا بأخماس وأسداس

ومسمع يتغنى والكؤوس لها

اقتبس إذا شئت من قلبي بمقباس

يا موري الزئد قد أعيت قوادحه

إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم

وكان أبو عبّاد النميري يقول: لو وجدت خمراً زيتية ذهبية أصفى من عين الديك وعين الغراب ومن ماء المفاصل، وأحسن حمرة من الزاد ومن نجيع غزال ومن قوة الصباغ، لما شربتها حتى أعلم أنها من عصير الأرجل وأنها من نبات القرى ووسط دسكرة وأن العنكبوت قد نسج عليها، وحوها دجاج وفراريج، وتام ما أريد أن تكون رقطاء، ويكون بائعها شيخاً، لا يفصح بالعربية مجوسياً اسمه شهريرار أو يهودياً اسمه شلوما أو نصرانياً اسمه يامروا.

وفي وصية أبي ثمان الجاحظ لشطار اللصوص: إياكم وحبّ النساء وسماع ضرب العود وشرب نبيذ

الزبيب واللعب بالشطرنج، وعليكم باتخاذ الغلمان، فإن غلامك غداً أنفع لك من أخيك وأعونُ لك من ابن عمك، وعليكم بنبيد التمر وضرب الطنبور واللعب بالنرد وما كان عليه السلف، واجعلوا النقل باقلاء، وإن قدرتم على السفرجل ووالثفاح والفسق واللوز، واتخذوا الريحان، وإن قدرتم على الورد والياسمين، واجعلوا لهوكم الحمام وهراش الكلاب، وإن قدرتم على الكباش والصقور والفهود والديكة فلا تقصروا في أمره، فإن له صبراً ونجدةً ورغواناً وتديراً وإعمالاً للسلاح، هذه وصيتي فافهموها واعملوا بها ولا تتعدوها.

ودعا الأخطل شابٌ من شباب الكوفة فقال: يا ابن أخي، أنت لا تحمل مثنوتي، فلم يزل يسأله حتى مضى معه فأتى البا فنادى: يا شقراء، فخرجت إليه أمه، فقال لها: هذا ضيفي أبو مالك فباعته غزلاً لها واشترت له لحماً ونبيداً وريحاناً فأكل وشرب فقال:

لعمرك ما لاقيت يوم معيشةٍ
من الدهر إلا يوم شقراء أقصرُ
حوارية لا يدخل الفقر بيتها
مطهرةٌ يأوي إليها مطهرُ
إذا قلت يا شقراء قامت كأنها
من الوحش ظبيٌّ فاتر الطرف أحور
أقمنا بها نسقي سلافة قهوةٍ
تموت بها أوصالنا ثم تنشر
كأن جلود القوم من طيب نشرها
يُعلُّ بها مسك ذكيٌّ وعنبر

وكان جحظة من أنبناء البرامكة، كاتباً شاعراً ومغنياً حاذقاً، وكان مع ذلك قبيح الوجه، جاحظ العينين، مشوه الخلق، فحدث عنه علي بن سعيد الكاتب قال: حدثني جحظة قال: إن كتبت عليّ حدثك بحديث ما مرّ عليّ مسامعك قطُّ مثله، قلت: أنا موضع لسرّك والمجالس بالأمانة قال: بينا أنا جالس على باب داري يوماً إذ أقبلت جاريةً متنقبة رابكة على حمار، بين يديها وصائف كالغزلان يحفزن بها، وبمسكن عنان حمارها، وقد سطعت السكة من روائح طيبها، فبقيت حائراً مبهوراً أعجب من كمال خلقها، ونور ما بدا لي من وجهها، فلما حاذتني وقفت فسلمت عليّ بعد أن تأملتني ساعة، فرددت عليها أحفي سلام وأبرّه، وقمت على قدميّ إجلالاً لها وإعظاماً، فقالت: يا فتى هل لك في متزك محتمل للقائلة، في هذا اليوم، قلت: يا سيدتي، على الرحب والسعة ولك الفضل والمنة، فما كربت أن ثنت رجلها ونزلت وقالت: ادخل بين يديّ، وأمرت جواريتها فتوارين بموضع أشارت إليه ثم دخلت وأنا أحسب جميع ما أراه يوماً لا يقظة وشكاً لا يقيناً، فلما استقر بها المجلس، مدت يدها إلى حمارها فحلتته، فكانت كما قال أبو حية التميمري:

فألقت قناعاً دونه الشمس وانتقت
بأحسن موصولين كفاً ومعصما

ثم فكرتُ في أمري وأنا لا أعقل من السرور، فقلت هذه جارية مغنية بلغها صوت من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني، فقلت: يا سيدي: أتأذنين في أن أقرب ما حضر من طعام وشراب وأغنيك ما لعله بلغك عني من متخير أصواتي، فقالت: ما على ذلك من فوت ولكن قُم الآن وشأنك، فاقض حاجتك ثم تصير إلى ما تريد، فقمتم إليها وقد أخذني الزممع حتى لا أملك نفسي مهابة لها فلما فرغت مما لك أكن آملُهُ لا تسمو همتي إليه قلت: يا سيدي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنيك ما قصدت إليه قلت: يا سيدي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنيك ما قصدت إليه، قالت: عسى أن يكون ذلك في يوم غير هذا، ومدت يدها إلى قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة ولم أحر جواباً وبقيت متحيراً فلما صارت إلى الدهليز ودعت بجواريتها قلت: سألتك بمن ترين شفاعته ما خبرك؟ قالت: لو تركت المسألة كانت أحب إليك وأعود عليك، قلت: لا بد لي من علم حالك، قالت: أما إذا آليت فسأصدقك: لي ابن عم، وهو بعلي، وكان يرضنُّ بي وأضنُّ به، وكلانا معجب بصاحبه، فخالفتني إلى حبشية لي مشوهة المنظر، فأقسمت بالأيمان المخرجة أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسي لأقبح من أرى وجهاً، وأوحش من أقدر عليه صورة، فأنا أنصرف من الفجر إلى هذه الساعة من الهاجرة، فما رأيت بما على غاية ما طلبته، سواك، فبررت قسَمي، وإن عاد إلى مثل فعله عدتُ إليك لأني لم أجد أقبح منك. وهذا يسيرٌ في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها، ثم تولت عني، وبقيت أحرزى ممن دخل النار، فوالله يا أبا الحسن ما ظننت أن فرط القبح ينتفع به قط حتى كان ذلك اليوم، قلت: هوّن عليك فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه الحد في قبح الصورة، قال: فاكنتم ذلك عليّ، قلت: نعم.

وحكي أن أبا نواس والحسين بن الخليل وصريعاً والعباس ابن الأحنف خرجوا إلى متزّه لهم ومعهم رجل يقال له يحيى بن المعلّى، فحضرت الصلاة، فقام يصلي بهم فنسي الحمد وقرأ: قل هو الله أحد فأرتج عليه في نصفها، فقال أبو نواس:

في قل هو الله أحد

أكثر يحيى غلطاً

وقال الخليل:

حتى إذا أعيا سجد

قام طويلاً راکعاً

وقال ابن الأحنف:

زحير حبلى بولد

يزحر في محرابه

وقال صريع:

كأنما لسانه

شدُّ بحبلٍ من مسدِّ

قال محمد بن يزيد المبرِّد: خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مزيد بأرمينية فامتدحه، فأمر له بعشرة آلاف درهم فقبضها، وسأله الإذن له في رحيله، فأعطاه نفقةً لسفره وودعه، ومضت أيام كثيرة، فركب خالد متصيِّداً، فرآه تحت شجرةٍ وقدامه زُكرة فيها نبيذ وغلّام حسن الوجه بيده طُبورٌ يغنيه، فقال: حبيبٌ قال: نعم، خادمك وعبدك، قال: ما فعل المال، قال:

علمني جوذك السماح فما

أبقيتُ شيئاً لديّ من صلّتك

ما مرّ شهر حتى سمحت به

كأن لي قدرةً كقدرتك

تنفق في اليوم، بالهبات وفي

أشياء ما تجتنيه في سنّتك

فلمست أدري من أين تنفق لولا أنّ ربي يُمدُّ في هبتك فأمر له بعشرة آلاف أخرى فأخذها وانصرف.

وروى المبرِّد قال: كان حارثة بن بدر الغداني رجل بني تميم في وقته، وكان قد غلب على زياد، وكان الشراب قد غلب عليه، فقيل لزياد: إن هذا قد غلب عليك وهو مشتهرٌ بالرشاب، فقال زياد: كيف لي بطّراح رجلٍ يسايرني مذ دخلت العراق، فلم يصنك ركابي ركابه، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فأدرت عنقي إليه، ولا أخذ عليّ الشمس في الشتاء قط، ولا الرّوح في صيف قط، ولا سألته عن علمٍ إلا ظننت أنه لا يحكم غيره، فلما مات زياد جفاه عبيد الله فقال له حارثة: أيها الأمير ما هذا مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة، فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة قد كان برع بروعاً لا يلحقه معه عيبٌ، ولا حدث، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ، وأنت رجل تُدسم الشراب فمتى قرّبتك وظهرت رائحة الشراب منك، لا آمن أن يُظن بي، فدع النبيذ وكن أول داخلٍ وآخر خارج عني، فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضرّي ونفعي، أفأدعه للمال عندك، قال: فاختر من عملي ما شئت، قال: توليني رام هرمز، فإنها أرض طيبة وسُرق فإن شراباً وُصف لي، فولّاه إياها، فلما خرج شيّعه الناس، فقال أنس بن أبي أنيس:

أحار بن بدر قد وليت ولايةً

فكن جُرذاً فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حار شيئاً وليته

فحظك من ملك العراقيين "سُرق"

وباه تميماً بالغنى، إن للغنى=لساناً به المرء الهيوبه ينطق

فإن جميع الناس إما مكذبٌ

يقول بما تهوى وإما مصدّقٌ

وحكى الهيثم بن عدي قال: بعث الحجاج بن يوسف أربعة آلاف رجل من أهل الكوفة إلى خراسان فاصطحب في الجيش ثلاثة فتيان يقال لأحدهم أوس بن خلد، وللآخر نصر بن غالب والآخر أنيس بن بدر، فترلوا مدينة مرو فأقبلوا على لذتهم، مدمنين على شراهم بالخوض في مستعذب الحديث وإنشاد الشعر ومذاكرة أيام الناس والمؤانسة، فاعتلَّ أوسُ فمات، فاشتد عليه جَزَعُ أخويه وطال بكأؤهما وحينئذٍ إليهما وكانا يخرجان كل يومٍ إلى قبره فيرثيانه ويتحدثان ويتناشدان كالذي كانوا يفعلون، وإذا دارت الكأس شرب كل واحد كأسه لاوصباً على قبر أوس كأساً، فإذا أمسيا رجعا إلى رحلتهما فلبثا على ذلك برهةً من زماهما، ثم إن أنيساً مرض أياماً فمات، فدُفن إلى جنب صاحبه، فكان نصر يخرج كل يوم فيجلس بين قبريهما فيرثيهما ويكي عليهما، وكلما شرب كأساً صبَّ على قبر كل واحد منهما كأساً ومعه غلام كان يخدمهم، قال: فلما عمل الشراب فيه ذات يوم جعل يلزم هذا القبر تارةً وهذا أخرى ويكي ويقول:

خِليِّ هبَّا طالما قد رقدتما أجد كما ما تقضيان كراكما
أجد كما ترثيان لموجع حزين على قبريكما قد رثاكما
أقيم على قبريكما لست نازحاً طوال الليلي أو يجيب صداكما
تنامان عمّن لا ينام صبايةً كأن الذي يسقي العقار سقاكما
أناديكما وجداً وشوقاً إليكما فلا تسمعان الصوت ممن دعاكما
أصبُّ على قبريكما من مدامتي فالإلّا تذوقاها تروِ ثراكما
سأبكيكما طول الحياة وما الذي يُردُّ على ذي لوعةٍ إن بكاكما

فلم يزل يردد هذا الشعر حتى زفر زفرةً فاضت فيها نفسه فدفن إلى جانب صاحبيه، فقبورهم تسمى قبور الإخوة، وفتيان المدينة يتتابون قبورهم فيشربون ويصبون من شراهم عليها. وكان يحيى بن عبيد الله الحارثي ماجناً شاعراً متهماً في دينه، وهو القائل:

أقول لذي طربٍ فاتك إذا ملَّ ذو النسك من نسكه
دع النسك ويحك لا تبغِه وعاون أخاك على فتكه
لا تقع الدهر في صاحب وإن أكثروا فيه بل نكّه
ولا تبكين على ناسك وإن مات ذو طربٍ فابكِه

ومنهم عليُّ بن الخليل وكان مشتهراً في الشراب مدمناً عليه، وهو الذي قال:

لا تكمل اللذات إلا بالقيان وبالخمور
هتك الستور وإنما اللذاتُ في هتك الستور

واخلع عذارك في الهوى
ودع العواذل لا يفقن عليك من دقّ الصدور
واصبر لنوبات الدُّهور
واعلم بأنك راجعٌ
حقاً إلى ربِّ غفور

ومنهم حمّاد عجرد وكان خليعاً ماجناً متهماً في دينه، وفيه يقول الشاعر:

نعم الفتى، لو كلن يعرف ربّه
هدلت مشافرة الدنانُ وأنفه
ويقيمُ وقت صلّاته حمّادُ
فهدلت مشافرة الدنانُ وأنفه
مثل القدوم يسُنُّها الحدّادُ
وابيضُّ من شرب المدامة وجهه
فبياضه يوم الحساب سوادُ

وكان يهاجي بشاراً، وكان حمّاد يؤدب ولد الربيع الحاجب، فقال بشار:

يا أبا الفضل لا تتم
إن حماد عَجْرِدِ
وقع الذنبُ في الغنم
بين فخذيه حرباً
شيخ سوءٍ كما اعتلم
فهو إن راء غفلةً
في غلافٍ من الأدم
مجمع الميم بالقلم

فلما بلغت البيات الربيع صرف حماداً عن تأديب ولده.

ومنهم والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي ربّى أبا نواس وأدّبه وعلمه الفتوة وقول الشعر، وكان والبة ظريفاً، شاعراً ماجناً، يقال إنه كشف يوماً عن فقحة أبي نواس فأعجبه حُسْنُها، فصرط عليه أبو نواس، فقال له والبة: ما هذا؟ فقال: أما سمعت المثل: جزاءُ من قبّل الاستِ ضرطة، فزاد عجباً، وعَلِمَ أنه سيخرج ماجناً، ووالبة القائل:

مزجت له مشعشة شمولاً
فخلت على ترائبها نجوماً
معتقة كرقراق الشراب
مطوفة على ذهبٍ مذابٍ

ومنهم فضل القراشي، وكان شاعراً ماجناً خليعاً يهاجي أبا نواس، وهو القائل:

ألا لا تعذلاني قد وهبت للذتي نسبي
إذا ما الماء أمكنني
وصفو سلافة العنب

صببت الفضة البيضاء فوق قرأضة الذهب

فأسبك منهما طرباً

فزرني تلب ذا طرب

ومنهم سلم الخاسر، وكان شاعراً ماجناً، وسمي الخاسر لأنه باع مصحفاً ورثه عن أبيه واشترى بثمانه طنبوراً، وهو القائل:

أمزج الراح براح

واسقني قبل الصباح

ليس من شأنني فدعني

شربُ ذا الماء القراح

ونظر رجل إلى أبي نواس وهو بقطر بل وفي يده كأسٌ وبين يديه عنب وزبيب، فقال له: ما هذا يا أبا علي، قال: الأب والابن والروح القدس، وهو القائل: إن تكونا كرهتما لذة العيش =م حذار العقاب يوم العقاب

فدعاني وما ألد وأهوى

وإدفعاني في نحر يوم الحساب

وروى أحمد بن صالح قال: رأيت أنا نواس يوماً وقد كنس مسجداً ورثته ونفض ترابه فقلت له: ما هذا، قال: يرتفع إلى السماء خبر ظريف! وروى الحرمازي قال: قدم البصرة أعرابيان يقال لأحدهما جيدان وللآخر سيدان من تمامة، فقصدوا الوالي وقد امتدحاه، فبينما هما في بعض الطرقات إذا هما ببرذون عابر فاتقاه جيدان فطرده عن نفسه فعاج على رجل سيدان فقطع اصبعاً من أصابعه، فتعلقا بالبرذون ولحقه صاحبه فقدماه إلى الوالي فأخذ لهما منه أرش الإصبع خمسمائة درهم فقال جيدان لسيدان: ما تبغي من الوالي وهذه الدراهم معنا، مل بنا إلى دار الخمار فإذا أنفدنا ما معنا رجعنا إليه فما لا إلى بيت حمار، فلما سكر جيدان أنشأ يقول:

فلا عطش ما دام في الدن قطرة

وما بقيت في رجل سيدان إصبع

قال أبو جعفر الحنفي: دعاني يوماً بعض إخواني فوجدت عنده العباس بن الأحنف وأبا نواس فما زالوا يتذكران ويتناشدان إلى ان قام العباس، فقلت لأبي نواس: كيف رأيك في العباس؟ قال: هو أرق من الوهم وأحس من الفهم، ثم عاد وقام أبو نواس فسألت العباس عن رأيه فيه، فقال: أبو نواس أقر للعيون من إنجاز وعد بعد يأس، فلما أخذ الشراب منا مأخذه قال أبو نواس:

إذا أخيت ذا مجد

فلا تعدل بعباس

فنعم المرء إن نازعت يوماً ذروة الكاس

فقال العباس:

أخا ثقة فمثل أبي نواس
إذا ما خلّة نزلت بناس

إذا نازعت صفو الكاس يوماً
فتى يرضى الخليل ويصطفيه

ثم تناول أبو نواس قدحه فقال:

أيا عباس خذ كأسك إني آخذ كاسي

فأخذه وقال:

نعم يا واحد الناس على العينين وراس

فقال أبو نواس:

فقد طاب لنا المجلسُ بالنسرين والآس

فقال العباس:

كرامٌ غير أنكاسٍ

وأقوامٌ بها ليلٌ

فكنا في أطيب يوم بهما، قد شغلانا عن السماع بما يدور بينهما.

وحُكي عن الحسين الخليل أنه قال: كنت مع أبي نواس إذ سمع غلاماً يقرأ: كلما أضاء مشوا فيه وإذا
أظلم عليهم قاموا، فقال اسمع، وأنشدني:

تجلّ لهم جنح من الليل مظلم

وسيارة ضلت عن القصد بعدما

كأن سناها ضوءً نار تضرّم

فلاحت لهم منا على البعد قهوةٌ

وإن مزجت حشو الركاب وأمّوا

إذا ما حسوناها أقاموا مكانهم

فلمّته على التعرض لمثل هذا، فقال: لسان نطق عن خاطرٍ لا يعتقد.

وقال محمد بن مصعب: لم يسرق أبو نواس هذا من القرآن ولكنه أخذه من قول شاعرٍ سبقه:

كواكبه عادت فما تنزيّل

وقليلٍ بهيم كلما غورت لهم

وإن لم يلح فالقوم بالسير جهل

يتيهون، إما أومض البرق يممّوا

وذكروا أن أبا نواس، وداوود بن رزين وحسين الخليل وعمراً الوراق وحسيناً الخياط، اجتمعوا في منزل
عنان جارية الناطمي، فتذاكروا وتناشدوا، فلما أرادوا الانصراف قالوا: أين نحن العشيّة، فقال كل واحد
منهم عندي، فقالت عنان: بالله إلا قال كل واحدٍ منكم شعراً وتراضيتهم بحكمه فيكم، فقال داوود بن
رزين:

في ظل بيت كنين

من ابنة الزرجون

وذات عقل رصين

من محكم ابن رزين

قوموا بنا بحياتي

بقول هاك وهات

أتيتكم بفتاة

صادفتموه مواتي

في وقت كل صلاة

إلى شراب الخليع

وأكل جدي رضيع

بالخندريس صريع

منال ملك رفيع

إلى سماع وخمر

يزهي بجيدٍ ونحرٍ

أولى ولا وقت عصر

باللهو والقصف عينا

قوموا إلى طيب لهو

فيه من الورد والمزرجوش والياسمين

وريح مسكٍ ذكيٍّ

وقينة ذات غنجٍ

تشدو بكل ظريفٍ

وقال أبو نواس:

لكن إليّ تقاتي

قوموا نلذ جميعاً

فإن أردتم فتاةً

وإن أردتم غلاماً

فساوروه جميعاً

وقال الخليع:

أنا الخليع فقوموا

إلى شرابٍ ولهوٍ

ونيكٍ أحوى رخيمٍ

في روضة جادها صوب غايات الربيع

قوموا تنالوا جميعاً

وقال عمرو الوراق:

قوموا إلى بيت عمرو

وقرطقيٍّ رخيمٍ

فذاك برٌّ وإن شئتُم أتينا بهُجر

هذا وليس عليكم

وقال حسين الخياط: قضت عنان علينا بأن تزوروا حسينا

وأن تقرؤا لديه

فما رأينا كظرف الحسين فيمن رأينا

ما قد قضيت علينا

قوموا قولوا أجزنا

وقالت عنان:

بالله كي نتسلى

لكن لدينا أقيموا

أشهى النعيم وأحلى

وكي تتالوا لدينا

من الشراب وحلاً

فإن عندي حراماً

من البرية كلاً

لا تطعموا في سواي

أجاز حكمي أم لا؟

يا إخوتي خبروني

فقالوا كلهم بكلمة واحدة: قد رضينا بحكمك وأجزنا اختيارك وأقاموا عندها فمرّ أطيّب ليلٍ وألذّه. قال الكلبي: صحب ذو الرمة رجلاً من بني أسد فيما بين البصرة والكوفة، فلما دنوا من الكوفة، جعل ذو الرمة يتشهى النبيذ والأسدي يشتهي الخمر فقال رجل من القوم: يا أبا الحارث هل لك في النبيذ إذا دخلت الكوفة، فقال ذو الرمة:

دراهم عند الخاتوي ولا نقد

فكيف لنا بالشرب إن لم يكن لنا

فتىً مثل نصل السيف شيمته الحمد

أنحتال أم ندان، أم ينبري لنا

سما بهم آباؤهم وسما الجد

له معشر بيض الوجوه مصالت

قال: فسما له الأسدي، وقال: أنا والله أنبري لك يا ذا الرمة، فأدخل ناقه له السوق فباعها بأربعمائة درهم فقصف بها عليهم.

يروى أن الفرزدق قدم المدينة ونزل على الأحوص فأكل وشرب وقال: وددت لو سمعنا غناءً، فأتاه بمغنٍ فغناه:

بفرع بشامة سقي البشام

أتنسى إذ تودعنا سليمي

بسليمان لاكتأب الحمام

ولو وجد الحمام كما وجدنا

فطرب الفرزدق، وقال: لمن هذا الشعر فقالوا: لجرير: ثم غناه:

عيشاً ألدّ من الخيال الطارق

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى

فانقع فؤادك من حديث الوامق

إن البلية من تملّ حديثه

فقال: لمن هذا الشعر، فقيل: لجرير، ثم غناه:

وشلاً بعينك لا يزال معيناً

إن الذين غدوا بلبك غادروا

ماذا لقيت من الهوى ولقينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي

فقال: لمن هذا الشعر، فقيل لجرير، فقال الفرزدق، ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري وأحوجني مع فسوقي إلى رقة شعره.

وكان العماني الراجز مداحاً للملوك من بني أمية وبني العباس مشتهراً بالشراب وهو الذي يقول لجاريته:

إن لم يكن جاد فبولي في القدح

قومي أنظري كيف نبيذي يا ملح

وناولينيه وقولي قد صلح

قال أبو محجن الثقفي: إذا متُّ فادفني إلى جنب كرمة=تروي عظامي بعد موتي عروقتها

أخاف إذا ما مت أن لا أدوقها

ولا تدفني في الفلاة فإنني

فأخذ أبو نواس هذا المعنى فقال:

لي القبر إلا بقطربل

خليلي إن متُّ لا تحفرا

ولا تكثرا لي من الجندل

خلال المعاصر بين الكروم

إذا عصرت موقع الأرجل

لعلي أسمع في حفرتي

وأخذه بعد أبي نواس بكر بن خارجة فقال:

إن روعي تحيا بماء الكروم

ادفنوني إن متُّ في أصل كرم

كفني من رحيقها المختوم

واحنطوني بتربتها ثم رشوا

بفنا عسكر الدنان مقيم

وادفنوني بحانة عند دن

وقال أبو الهندي:

بكرم واجعلوا زقاً وسادي

إذا حانت وفاتي فادفنوني

تروي هامتي وتكون زادي

وإبريقاً إلى جنبي، وطاساً

أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: مرَّ العجير السلولس بإخوان له يشربون فعوه لمنادمتهم، فترل عن ناقته وشرب، واحتاجوا إلى طعام على النبيذ فقال: هذه ناقتي فأنحروها وكلوا لحمها، فنحروها وبقروا خاصرتها وأكلوا من كبدها وسنامها، وجعل العجير يتغنى:

ودعائي من عتابٍ وعدل

عللاني إنما الدنيا علل

واسقياني عللاً بعد نهل

إدراً باللهو يوماً صالحاً

وانشلا ما اغبر من قدريكما

واصبحاني، أبعد الله الجمَلُ

وحكى الهيثم بن عدي قال: خرج عمارة بن الوليد، وكان أجمل فتيان قريش وأسمحهم، متترهاً، فمرَّ بقوم يشربون فعرضوا عليه، فتزل عن ناقته فجعلوا يسقونه ولا يشربون، فقال لهم: لم لا تشربون؟ قالوا: نبئنا قليل وقد أحببنا أن نؤترك به، فقال لفتى منهم، يقال له غياث بن ديهب، اذهب بناقتي هذه فبعها ولا تماكس، وابتع بثمانها شراباً، ففعل، وأنشأ عمارة يقول:

خليلي قد خف الشراب ولم أجد

له سورة في عظم رأسٍ ولا يد

خليلي هذي ناقتي فاشربا بها

فلا خير في الشرب القليل المصرد

ولا تبعنا إلا غياث بن ديهب

إذا سيم عند البيع لم يتشدد

وجاء الشراب فشربوا وانصرف إلى امرأته، فسألته عن ناقته فأخبرها الخبر فقالت: كلاً ولكنهم أسكروك وخذعوك فقال:

أسرك لما صرع القوم نشوةً

أن أخرج عنهم غانماً غير غارم

وحتى كأني لم أكن قبلُ فيهمُ

وليس خداعٌ من فعال الأكارم

ولكننا شرباً كرامٌ نديمنا

بنا بهجٌ باللهو ليس بواجم

وشرب مالك بن أسماء مع إخوان له، ففني شراهم ولم يحضره نقدٌ فأعطاهم مُطرفاً كان علي، فاشتروا بثمانه شراباً، فلما عاد إلى منزله لامته جاريتته فقال:

يسرك أن أكون، وذاك عيبٌ

علي، كمن ينال ولا يُنيلُ

ويغرم من ينادمه اغتناماً

وذاك على أخي جودٍ ثقيلُ

أبت لي ذاك، مأثرةٌ نماها

كريمٌ، فضلٌ نائله جزيلُ

ودخل رجل على قومٍ يشربون وعندهم قينة تغنيهم فقبل له: أي صوت تشتهي أن تغني لك، وكان جائعاً فقال: لشيش مقلي.

وقيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ، فقال: على قدر النديم.

ودخل حارثة بن بدر الغداني على زياد، وكان مدمناً للشراب وبوجهه أثر، فقال له زياد: ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال: أصلح الله الأمير، ركبت فرساً أشقر فجمح بي حتى صدمني الحائط، فقال زياد: "لو" ركبت الأشهب لم يُصيبك مكروه.

وسقى قوم أعرابياً فقالوا له: ألا تخرج كأسك، فقال: حسبها ما شربت في كرمها.
دعا أعرابي فقال: اللهم أسألك ميتة كميتة أبي خارجة، قيل له: وما ميتته؟ قال: أكل لحم جمل وشرب
نبذ عسلٍ ونام في الشمس، فمات شبعان ريان دفآن.

وقال يحيى بن خالد: الأيام أربعة؛ ويوم الغيم للصيد، ويوم المطر للشرب، ويوم الشمس للحوائج.
وكان رجلٌ من الأزد يكنى أبا شملة قد تتابع في الخمر وغلبت عليه، فأُتي به رسول الله "ص" وهو سكران،
فأخذ رسول الله "ص" قبضة من تراب فضربه بها وقال: اضربوا الخبيث، فضربه الناس بأيديهم وبالتعال
وأطراف النخل، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه، أُتي بسكران، فسأل: كم ضرب رسول الله "ص" أبا
شملة؟ قالوا: ما ندري، قال: كم كنتم؟ قالوا: عشرين رجلاً، قال: فكم ضرب كل رجل؟ قالوا: الضربة
والريتين والثلاث، قال: فلو رددنا قليل ذلك على كثيره فجعلنا لكل رجل ضربتين، فضربه أربعين.
فلما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتب إليه أبو عبيدة ابن الجراح "رض" من الشام: إن الناس قد
تتابعوا في شرب الخمر، وقد ضربت فيها الأربعين فلم تغن شيئاً، فجمع عمر رجلاً من أصحاب رسول
الله "ص" فشاورهم، فقال عليّ: إني لا أرى حداً أشبه بحد الفرية منه، إن الرجل إذا سكر وإذا هذى
افتري، فقال عمر للرسول: قد سمعت ما قال فمر أبا عبيدة أن يضربها، فضرب أبو عبيدة بالشام ثمانين،
وضربها عمر بالمدينة.

وعرض عبد الملك بن مروان على الأخطل الإسلام، فقال: يا أمير المؤمنين إني مشغوف بالخمر، أفرأيت
إن أسلمت تدعني وشربها؟ قال: لا يا أخطل، لا أحل لك ما حرم الله عليك، وإن أسلمت ثم شربتها
حددتك، قال: لا حاجة لي في الإسلام، ودين آبائي أحبُّ إليّ، فقال عبد الملك: وما تبلغ الخمر منك؟
قال:

فلسن بصائمٍ رمضان طوعاً
ولست بآكلٍ لحم الأضاحي
ولست بقائمٍ أبداً أنادي
كمثل العير، حي على الفلاح
ولكنني سأشربها شمولاً
وأسجدُ عند مُنبَلج الصباح

ودخل الأخطل على عبد الملك وهو سكران، فقال: ما هذا يا أبا مالك فقال:

إذا شرب الفتى منها ثلاثاً
بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشيّة لا عيب فيها
وأرخی من بناقته فضولا

قال أبو أمية التميمي: دخلتُ على الأخطل وبين يديه شراب، فناولني منه كأساً، وقال: أنعم حيّاك الله،
فقلت: إني حنيف، ولا تحلُّ لي الخمر، فكلح في وجهي ثم قال: ما أدخلك عليّ؟ قلت: إني رجلُ أحبُّ

أحاديث العرب وأشعارها فأحببت الاجتماع بك، قال: فسُرِّيَ عنه، ثم قال: أما والله ما نعتها أحدٌ نعتي لها، يعني الخمر، فقلتُ: وما صلت يا أبا مالك، قال: قلت:

وإذا تجاوزت الأُكفُ زجاجتها
نفتحت فنال رياحها المزكوم
وكأن شاربها أصاب لسانه
من دار خيبر أو تهامة مؤم

قال: قلت ولاين عمك الأعشى "مثلها" قال: وكيف قال؟ قلت: قال:

من خمر عانة قد أتى لعصيرها
حول تسلُّ غمامة المزكوم

قال: فضرب بكأسه الأرض وقال: أنا والله ما رأيت كاليوم قط، أبي جعلته يجد ريحها، وأنه استلها استللاً.

وحكى ربي الأنصاري: أن عجوزاً من الأعراب جلست في طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم فسَقَوْها قدحاً، فطابت نفسها، وتبسمت، ثم سقوها قدحاً آخر، فاحمرَّ وجهها وضحكت فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت: خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب؟ قالوا: نعم، قالت: زَيِّنْ وربَّ الكعبة، والله لئن صدقتن لما فيكم أحد يعرف من أبوه.

وكانت طيف جارية عُلية بنت المهدي، مولدة عراقية حسنة الوجه والغناء، فلما ماتت عُلية خرجت من دارها وهي حرة فتزوجها رجل مقين يُقِين عليها، وحضر عندها يوماً أبو نواس والحسين الخليل وجماعة من الأدباء فأكلوا وشربوا وغنَّتهم، واقترح عليها أبو نواس صوتاً فكأيدته وأبت أن تغنيه فقال لها كالعابث بما: رأيت البارحة في النوم كأني راكب على رمكة شهباء وعليها جُلٌّ وكانت عليها غلالة خضراء، فعلمت أنه يعرض بما فقالت له: إن صدقت رؤياك استدخلت في استك فجلة، فضحك والله كل من حضر، وحجل أبو نواس وغضب ولم يُنتفع به ذلك "اليوم"، ولم يحضر مجلسها بعد ذلك. وأما عبد الصمد بن المعدل، فسلك طريقة أبي نواس والحسين الضحاك فتوةً وظرفاً وإدماً وشعراً، وهو الذي يقول:

لما رأيت الذَّيْكَ قد صاحاً
والليل قد أسبل ثوب الدُّجى
والورد والخيريّ قد لاحاً
ناديت فتيناً ترى فيهم
للكأسِ إفساداً وإصلاحاً
من هاشمٍ في بيت أكرومةٍ
طووا على اللذات أكشاحاً
يا إخوتي نال الكرى حظه
فاغتنبوا الريحان والراحا

فرافعُ رأساً ومستلقياً

ونائم سكرًا ومرتاحاً

ومن عجيب قوله:

أسقني إن سقيتني بالكبير

إن في شربه تمام السرور

أنا والله لست أكذبكم أنفُ

من أن أرى صريع صغير

وكان الأقيشر الأسدي، مولعاً بالشراب وهو الذي يقول:

وصهباء جرجانية لم يطفُ بها

حنيفٌ ولم تتغر لها ساعة قدرُ

أتانب بها يحيى وقد نمت نومةً

وقد غادرت الجوزاءُ أو خفق النسر

ولم يحضض القس المتيم نارها

طروقاً ولم يشهد على طبخها جمر

فقلتُ اغتبقها أو لغيري أسقها

فما أنا بعد الشيب، وبيك، والخمر

تعففت عنها في العصور التي خلت

فكيف التصابي بعدما كالأ العمر

إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن

له، دون ما يأتي، حياءً ولا سترُ

فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى

وإن جر أسباب الحياة له العمرُ

وكان له جار صالح يقال له يحيى فقال: يا فاسق، أ، ا جئتكَ بها، فقال له: يرحمك الله، ما أكثر يحيى في الناس.

قال إسحق الموصلي: أنشدت أم الهيثم الإعرابية:

وكأس سلافٍ يحلف الديك أنها

لدى المزج من عينيه أصفى وأحسن

فقالت: لقد بلغني أن الديك من صالحى طيوركم وأعرفها بأوقات الصلاة، وما أحسبه كاذباً. وقال أبو يوسف القاضي: كان لأبي حنيفة جارٌ كيال وكان لا يبيت إلا سكران، وكان أبو حنيفة طويل قيام الليل فكان الكيال إذا سكر غرَّد بصوت عالٍ:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كريبه وسدادٍ ثغر

وفقد أبو حنيفة صوته ليلةً أو ليلتين، فقال لجارته: ما فعل جارنا الكيال؟ قالت: أخذه صاحب الحرس، فلما أصبح أبو حنيفة أتى باب عيسى بن موسى فاستأذن به فأذن له، وكان قليل الزيارة للسلطان، فلما دخل عليه، قام إليه ورفع مجلسه وقال: أمرٌ ما غدا بك أبا حنيفة، قال: نعم، جارٌ لي أخذه صاحب العسس منذ ثلاث ليالٍ، فأمر عيسى أن يخرج كل من أخذ تلك الليلة إكراماً لصاحب أبي حنيفة، وانصرف أبو حنيفة، فلما صار ببابه فإذا الكيال يقفوه، فقال، وتبسم إليه: هل أضعناك يا فتى، قال: لا

والله، جعلتُ فداك، بل حفظت وأكرمت. وقال المتوكل لبختيشوع الطيب: ما أفضل النُّقل على النبيذ؟
قال: نقلُ أبي نواس. قال: وما هو؟ قال: قوله:

مائي خمرٌ، ونقلي القُبْلُ

مالي في الناس كلِّهم مَثَلُ

وحان نومي فمفرشي كَفَلُ

يومي حتى إذا العيونُ هَدَّتْ

وشرب أحمد بن أبي طاهر وأبو هفان حتى فني ما معهما وكانا بجوار المعلى بن أيوب، فقال ابن أبي طاهر لأبي هفان: تماوت حتى أسأل المعلى في كفنك، فسجَّاه بثوبٍ وخرج إلى المعلى فقال: أصلحك الله، نزلنا في جوارك، فوجب حقنا عليك، وقد مات أبو هفان، وليس له كفنٌ، فقال لوكيله: امضِ معه لتشاهده وادفع إليه كفنًا، فأتاه فوجده مسجىً، فنقر أنفه فضرط، فقال: ما هذا؟ قال: أصلحك الله، عُجِلت له ضرطة القبر لأنه مات وعليه دين، فضحك وأمر لهما بدنانير.
ودعا ابن المعتز جماعة من المغنين فخلع عليهم، ولم يكن جحظة حاضرًا، فبعث إليه خلعةً إلى منزله وزاده عليهم فرسًا، فغاظهم ذلك، فنالوا منه، وبلغه قولهم، فكتب إلى ابن المعتز:

وزادك في الخير من خيره

أطال لك العمر ربُّ السماءِ

بياري الجنائب في سيره

أتاني الكميت بلونٍ غريبٍ

فأقعدتني منه في ظهره=وأُم الحسودِ على أيره وقال أبو العنيس: دخلت على محمد بن إبراهيم بن مُصعب وهو على الرِّيِّ فقال: يا أبا العنيس، إني سأئلك عن ستة أشياء فأعدَّ لهن جوابًا، "فإني سأئلك" عن أطيب الطعام وألذ الشراب وأذكى الرائحة وأمتع الغناء، وأشهى النساء، وأفره الخيل، قلت: أيها الأمير، ومتى عودتكَ إعداد الجواب؟ سلَّ عما أحببت بديهةً، فقال: ما أطيب الطعام؟ قال: طعامٌ وافق الجوع بلونٍ زافق الشهوة. قال: صدقت، فما ألذُّ الشراب؟ قال: كأس راحٍ يعاطيكها خليل، أو شربة ماءٍ باردٍ يُنقع بها غليلك، قال: صدقت، فما أذكى الرائحة؟ قال: رائحة بدنٍ تحبه أو ولدٍ تربه قال: صدقت، فما أشهى النساء؟ قال: التي تخرج من عندها كارهاً وتعود إليها والهأ، قال: صدقت، فما أفره الخيل؟ قال: الأسواق الأعتق الذي إذا طلب لم يُسبق، وإذا طُلب لم يُلحق، وإذا سهل أطربك، وإذا نظرت إليه أعجبك. قال: صدقت وأحدثت، يا غلام أعطه مائة دينار، قال: قلت، أصلح الله الأمير، ومايتا دينار تكفيني، قال: وقد زدت نفسك مائة، يا غلام أعطه مائتي دينار.

وقالوا: ثلاث يضيِّق الصدر: رسولٌ بطيء، وسراجٌ لا يضيء، ومائدةٌ ينتظرُ لها من يجيء.

وقال أبو الرعمق: كان لي أخوانٌ أربعةٌ وكنتُ أُنادمهم في أيام الأستاذ كافور، فجاءني رسولهم في يوم

بارد وليست لي كسوةٌ تحصني من البرد، فقال الرسول: إخوانك يقرؤون عليك السلام ويقولون: ذبحنا اليوم إريحة سمينة فاختر ما يعمل لك منها مما تشتهي، فكتب إليهم:

إخواننا عزموا الصبح بسُحرةٍ
فأتى رسولهم إليَّ خصوصاً
قالوا اقترح لونا يجاد طبيخه
قلت اطبخوا لي جبةً وقميصاً

فذهب الرسول بالرقعة فما شعرتُ حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صررٍ في كل صرةٍ عشرة دنانير، فلبست إحدى الخلع وعدتُ إليهم.

وقيل لأبي الطمحان الشاعر: أخبرنا عن أدنى ذنوبك، اقال: ليلةٌ الدير، قيل: وما ليلةٌ الدير؟ قال: نزلتُ على نصرانيةٍ فأطعمتني طَفَيْشَلاً بلحمٍ ختير، وسقتني خمراً، وزنيتُ بها، وسرقتُ كُساها. قال قتيبة بن مُسلم لقاضي مرو: بلغني أنك تشرب النبيذ، فقال: نعم أصلحك الله أشرب منه ما ييل العقل ويُطيب النفس ويغني عن الماء ويهضم الطعام، قال: فما أبقيت منه، قال: أبقيتُ أخبثه وأرداه؛ الاتكاء على الشمال، ومنادمة الأوغاد والاختلاف إلى المبال.

ومات ابنُ للعُتي فجاء بعض معاشريه يعزيه فقال: رحم الله ابنك، فوالله ما حبسَ دوراً ولا ردّ تحيةً ولا تبرم من رطلٍ ولا فرّ من دعوة، ولا سبق إلى خدر غلامٍ، ولا عربد على جليس، فقال العتي: والله لقد سلّيتني عنه.

وقال يعقوب بن بشر: كنت مع إسحق بن إبراهيم الموصلّي في نزهةٍ فمرّ بنا أعرابي، فأرسل إليه غلامه زياداً الذي يقول فيه:

وقولا لساقينا زيادٍ يرقُّها
فقد هدَّ بعض القوم سقِّي زيادٍ

فأتى الأعرابي فلما شرب وسمع حنين الدواليب قال:

حنّت وليس تحنُّ من وجد
وأحنُّ من طربٍ إلى نجد
فدموعها تحيا الرياضُ بها
ودموعُ عيني أقرحت خدي
وبساكني نجدٍ كلفت وما
يغني بهم كلفي ولا وجدي
لو قيس وجد العاشقين على
وجدي ل زاد عليه ما عندي

فطرب إسحق وشرب حتى ما مضى إلى منزله إلاً محمولاً.

وقال إسحق: كنا في مجلسٍ ومعنا مغنيةٌ طيبةٌ وعندنا غادي المدني، وكان طيباً حاضر النادرة، فتحرّكت الحارية فصرطت فتغافلنا فخرجت وقطعت الوتر، فلما سكنت التفتت إلى غادي وقالت: أيّ شيء

تشتهي أغنيك قال: غنني؛ يا ريح ما تصنعين بالدمن. فكان خجلها من قوله أشدَّ من خجلها لما بدر منها ولم تنتفع بها سائر يومها.

وخرج إبراهيم الموصلي، وإسماعيل بن جامع إلى روضة معشبة فتغديا وشربا فقال إبراهيم:

واسقني سقياً عنيفاً

تلثم الخمر الشنوفاً

غنني صوتاً خفيفاً

وامزج الكأس بماءٍ

وغنياً فيه بقية يومهما.

دخل مجنون على محمد بن سلام مولى خزيمة بن خازم عندما قُتل أبوه وهو كئيب حزين، فقال له المجنون: ما لي أراك مغموماً؟ قال: وكيف لا أغتم، وأخُ قد قتل، وسلطان جائر، ومكروهٌ يُتوقع، فقال له المجنون: إذا أصبت يوماً صالحاً فأسلخ جلده قبل أن يجيء سومٍ سوءٍ فيسلخ جلدك، فضحك ودعا بالطعام والنيذ.

قالوا: أراد نصراني الانحدار إلى واسط، فاكترى زورقاً مفرداً وجلس فيه وحده، فلما همَّ بالانحدار وثب رجلٌ وثبةً فصار معه، فقال: ما هذا، ما هو زورق كراء. قال: قد علمتُ ولكن لا بدَّ أن تحملي، فسارا وأخرج النصراني سفرته، فتقدم الرجل، فقال النصراني: إن هذا اللحم لحم خنزير. قال: معاذ الله، لحم خنزير بغداد لا يوجد رطلٌ منه بألف دينار، قال: فإني ذبحته بيدي، قال: تراني أقبل دعواك واندفع يأكل، ثم أخرج شرابه، وقال: هذه خمرة كما ترى، قال: معاذ الله أن تكون خمراً، قال: أنا عصرتها بنفسي، قال: أنت عصرتها بيدك؟ قال: عصرها يهودي، قال: ما يكون إسناد أضعف من هذا، نصراني عن يهودي، نحن نكذب أكثر من يروي عن سفيان الثوري، أبي حنيفة، والله لو لم أشربه إلا كياداً لهذا الإسناد الضعيف "لفعلت".

وأخذ الطائف رجلاً صفعان وهو سكران فقال: اصفعوه، فقال وهو يُصفع: هكذا كنا نعمل منذ الغداة، فعلم أنه صفعان فتركه.

وكان للضحك بن مزاحم صديق نصراني، فقال له: ما يمنعك من الإسلام؟ فقال له: حبي للخمر، فقال له: أسلم واشربها، فأسلم، فقال له الضحك: يا هذا إنك قد أسلمت، فإن شربتها حدّناك وإن رجعت قتلناك، فحسُن إسلامه.

قال الموصلي: ضُرب صهيبُ المدني في الشراب، وكان الجلاّد قصيراً دميماً فقال له: تقاصر ليناك السوط، فقال: ويلك، إلى أكل الخبيص تدعوني والله لو وددت أني أكون أطول من عوجٍ وأنت أقصر من يأجوج ومأجوج.

وقال جحظة البرمكي: خرج عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات إلى المطيرة متزهاً ومعه جاريتته شمول، وكانت من الحسنات فاستطاب المكان فأقام به مدةً طويلةً وكتب إليّ:

شربنا بالمطيرة ألف يومٍ
صباحاً قبل أن يبدو النهار
وأفنيها العقار بها جراً
فلم يصبح بحانتها عقار
فضج البائعون بها وقالوا
أناسٌ يشربون أم البحار
هُمُ ناسٌ ولكن أي ناسٍ
بصحبة مثلهم خلع العذار

وسألني أن أصنع فيه لحناً فصنعت هزجاً وزرته فأقمت عنده أياماً في ألد عيشٍ وأطيب متزّه، فلما انصرفت وصلني بأربعمائة دينار.

وكان الجَمَّاز واسمه محمد بن عمرو صاحباً لأبي نواس حتى فرّق بينهما الدهر، وقيل له: صف لنا أبا نواس، فقال: كان أظرف الناس منطقاً وأغزرهم أدباً وأقدرهم على كلامٍ وأسرعهم جواباً، وأكثرهم حياءً، وكان أبيض اللون جميل الوجه مليح النعمة والإشارة، لا بالطويل ولا بالقصير، حسن العينين والضحك، فصيح اللسان، عذب الألفاظ حلو الشمائل كثير النوادر وأعلم الناس بكلام العرب راوية للأشعار علامة بالأخبار.

قال ابن عائشة: مات رجل من أهل الشام فحضر الحجاج جنازته، وكان عظيم القدر فيهم فصلّى عليه وجلس على قبره وقال: ليتزل قبره بعض إخوانه؛ فتزل نفرٌ منهم فقال أحدهم وهو يسوّي عليه: رحمك الله أبا فلان فلقد كنت، ما علمتُ، تجيد الغناء وتسرعُ ردَّ الكأس، ولقد وقعت بموضعٍ سوء لا تخرج منه إلى يوم القيامة، قال: فما تمالك الحجاج أن ضحك، كان لا يضحك في جدٍّ ولا هزل، وقال للرجل: هذا موضعٌ هذا، لا أم لك، فقال: أصلح الله الأمير، فرسي حبيس في سبيل الله لو سمعه الأمير يتعنى:

يا لبيني أوقدي النارا
إن من تهوين قد حارا
رب نارٍ بتُّ أرمقها
تقضُّ الهندي والغارا
عندها ظبيٌّ يؤرثها
عاقده في الجيد تقصارا

لأنس الأمير على سَعْنَة، وكان الأمير يُلقب سَعْنَة، وكان أقبح خلق الله صورة، فقال الحجاج: بالله أخرجوه من القبر، يا أهل الشام، ما أبين حجة أهل العراق في جهلكم، فلم يبق أحدٌ حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً.

وقال سليمان بن أبي جعفر للأمين: لقد صحَّ عندي يا أمير المؤمنين أن أبا نواس زنديق، وشهد عليه جماعةٌ أنه أبرز كأس خمرٍ إلى المطر، فقيل له: لم فعلت ذلك؟ قال: لأنهم يزعمون أن مع كل قطرة ملك

فأنا أشرب عدداً من الملائكة فأمر بحبسه.

ودخل الحسن خال الفضل بن الربيع، وكان يتعهد المحوسين ويشفع فيهم، وكانت غفلة فقال لأبي نواس: ما جرّمك حتى حُبست في حبس الزنادقة، أزدقيق أنت؟ قال معاذ الله، قال: أفتعبد الكيش؟ قال: لا والله ولكن آكله بصوفه، قال: أفتعبد الشمس؟ قال: والله ما أجلس فيها من بغضها فكيف أعبدها؟ قال: أفتعبد الديك؟ قال: لا والله بل آكله، ولقد نقرني ذيكُ مرةً فذبحتُ من أجله ألف ديك. قال: فلاي شيءٍ حُبست؟ قال: لأني أشرب شراب أهل الجنة وأنام خلف الناس. قال: وأنا أيضاً أفعل ذلك، ثم خرج إلى الفضل، فقال: ما أحسستم جواز نَعَمِ الله، تحبسون من لا ذنب له، سألت رجلاً في الحبس عن ذنبه فقال كذا وكذا، وعرفه بكل ما جرى بينه وبين أبي نواس فضحك، ودخل على الأمين فأخبره، فأمر بتخليته، وقال في هذا:

وبلا اقتراف خطيئة حبسوني

يا ربّ إن القوم قد ظلموني

عني فمن لي اليوم بالمأمون

أما الأمين فلست أرجو دفعه

فبلغت المأمون وهو بخراسان فقال: والله لئن بقيتُ له لأرفعنَّ شأنه، فمات قبل دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين.

ولما بعث المأمون طاهر بن الحسين فظفر بعلي بن عيسى بن ماهان عمل كتباً، فقرأ على المنابر بخراسان معائب الأمين يقول فيها: وإنّ نديمه وجليسه رجل شاعر ماجن كافر يعرف بأبي نواس استخلصه دون سائر الناس لشرب الخمر وارتكاب المآثم وانتهاك المحارم، ويقوم رجل بين يديه فينشد للحسن مثل قوله:

ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

ألا سقني خمرأً وقل لي هي الخمر

فلا خير في اللذات من دونها ستر

وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى

وقوله:

قم سيدي نعص جبار السموات

يا أحمد المرتجى في كل نائبة

جلا التبسم عن غرّ الثّنيات

فقام والليل يجلوه النهار كما

وقوله:

في جنة من مات أو في نار

ما جاءنا أحدٌ يخبر أنه

وقال إسحق بن إبراهيم: كان عندي أعرابي له فصاحة، فذكرته للفضل بن الربيع، فقال لي: أرسل به إليّ، فلما دخل إليه قال: فيم كنتم، قال: في قدر تفور، وكأس تدور، وغناء يصور، وساق لا يحور. وقال بعض الأدباء: رأيت قاضياً يقصُّ ويعظ، ثم رأيت بالعيشي في بيت نبأذ، فقلت: ما هذا. فقال: أنا

بالغداة قاضٍ وبالعشي ماضٍ.
ودخل أبو الطيب المتنبي على علي بن إبراهيم التنوخي، فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود من
الدُّوشاب "فقال":

أغار من الزجاجاة وهي تجري
على شفة الأمير أبي الحسين
كأن بياضها والراح فيها
بياضٌ محققٌ بسوادِ عَيْنِ
ورآه قد شرب كأس خمرٍ فقال:

مرتكّ ابن إبراهيم صافية الخمر
وهُنَّتها من شارِبٍ مسكرٍ السكرِ
رأيت الحميا في الزجاجاة بكفه
فشبهتها بالشمس في البدر في البحر
وكان بدر بن عمار قد تاب عن الشراب مرةً بعد أخرى فدخل عليه أبو الطيب وهو يشرب فقال:

يا أيها الملك الذي ندمأوه
شركاؤه في ملكه لا ملكه
في كل يوم بيننا دمٌ كريمة
لك توبةٌ من توبةٍ في سفكه
والصدق من شيم الكرام فقل لنا=أمن الشراب نتوب أم من تركه وشرب عنده ليلةً، فلما أراد الانصراف
قال:

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ورؤياك أحلى في العيون من الغمضِ

سلام الذي فوق السموات عرشه
تُخصُّ به يا خير ماشٍ على الأرض
ولما كان في غدٍ عرض عليه الصَّبوح فقال:

رأيتُ المدامة غلابة
تهيج للقلب أشواقه
تُسيء من المرءٍ تأديبه
ولكن تحسنُ أخلاقه
وقد مُتُ أمسٍ بها موتةً
وهل يشتهي الموت من ذاقه

وشرب مع أبي محمد الحسن بن عبيد الله وأتى ببخور فقال:

أُنشر الكباءِ ووجه الأمير
وحسن الغناءِ وصافي الخمر
فداوِ خُماري بشربي لها
فإني سكرتُ بشرب السرور
وشرب عند سيف الدولة كأساً فوصفها، فقال أبو الطيب:

ألا أذنُّ فما أذكرت ناسي
ولا لينت قلباً وهو قاسي

ولا شُغل الأميرُ عن المعالي=ولا عن حق خالقه بكاس قال ابن نوبختن: توفي أبو نواس في منزله فشيخته
"وكان" يوم مات يترنم بشيءٍ سألته عنه فأنشدني:

باح لسانني بمضمر السرِّ
وذلك أنني أقول بالدهر
وليس بعد الممات منقلبٌ
وإنما الموت بيضة العُقر

والتفت إلى من حوله فقال: لا تشربوا الخمر صرِّفاً فإنها أحرقت كبدي ثم طَفَى.
والأقيشر من شعراءِ بني أسد وحلفائهم وفتيانهم، مدمن للشراب، وكان له حمارٌ يكنيه أبا المضاء، يركبه
كل يوم إلى الحيرة ومعه درهمان هما قوته لطعامه وشرابه.
ومدح قيس بن محمد الأشعث فأعطاه ثلاثمائة درهم، فقال: لا أريدها جملة، لكن تأمر وكيك يعطيني
كلَّ يوم درهمين، ففعل ذلك، فكانت إذا نفدت أمر له بمثلها.
وكان أبو دلامة ظريفاً ماجناً حلوا الشعر مدمناً للشراب.
دخل على إسحق بن الأزرق وهو عليل وعنده الأطباء يصفون له ضروراً من الأدوية، فقال بديهةً:

نحِّ عنك اطبيب، واسمع لنعتي
إني ناصح من النَّصَّاح
لا تعرج على دواءٍ ولكن
غادِ هذا الكباب كل صباح
وإذا ما عطشت فاشرب ثلاثاً
من عتيق في الشم كالنِّفاح
ثم عند المساءِ فاعكف على ذا
وعلى ذا بأعظم الأقداح
فتقويا الضعيف منك وتُلفى
عن قريب أصحَّ كل الصباح

وهذا أبو الشَّيْص، نقيُّ الكلام متخير الألفاظ، مدَّاحٌ للخلفاءِ، لاحق بالفحول، يقول الشعر وهو مدمن
على الشراب، قال فيها:

وكُميت أرقها وضحُ الشمس
وصيفٌ يغلي بها وشتاءُ
طبختها الشعري العبور وحثتُ
نارها بالظواهر الجوزاءُ
كدم الشادن الذبيح إذا ما
صبَّها في الزجاج الوُصفاءُ
قد سقتني والليل قد فتق
الصبح بكأسين ظبية حوراءُ
عن بنانٍ كأنها قضب الفضة
حنى أطرافها الحنَّاءُ

وهو الذي يقول:

وصهباء لم تفترعها السقاةُ
ولا استامها الشربُ في بيت حانٍ

ولا احتبلت درّها أرجلٌ
ولكن غذتها بألبانها
وإلى أن ترحل عنها "الصبا"
فيا حسنها عند شكّ البزال
يطوف علينا بها أحورٌ

وهذا أشجع السلمي يقول لصديق له وقد هاجره:

ولو كنت العُقارَ فإن رُوحِي
لما انصرفت إليك الدهر نفسي

وكان الرقاشي من المدمنين وهو الذي يقول:

وهبتُ للذتي نشبي
إذا ما الماءُ أمكنني
صببت الفضة البيضاء
فأسبكُ منهما طرباً

وهو الذي يقول:

وسقّ إخوانك النبيذ على
لا تحسّنُ الراحُ عند شاربها
حسن سماعٍ يزيد في الطرب
إلا بحسن الحديث والأدب

ودعا عبد الصمد بن المعدل صديقاً وكان يشربُ من نبيذ طيب بين يديه ويسقي عبد الصمد من نبيذ حامض، فقال:

شربت مدامةً وسقيتَ خلّاً
شرباً كان للمقرور دهرًا
لقد جاوزت في اللوم اللئاما
فجرّع من يسقاه الحماما
عبوس قمطير لِن يُراما
أشبههُ بوجهك فهو وجه

وأما أحمد بن يوسف فأظرف الكتاب وأكمل الناس مروءة وأشهرهم في إدمان الشراب وهو القائل:

فأصبحت مخموراً أحدث عن نفسي
سقاني عبيدٌ من يديه ثلاثة
وما لي علم بالذي كان بالأمس
وأعجلني فيها ولا م على الحبس
وباكرني ذمٌ له مطلع الشمس
فيا رب يومٍ قد حمدت مساءه

فأصبحت قد حدثت نفسي بتوبةٍ ويعتادني للهوٍ عندي إذا أمسي
ودعا محمد بن هارون بن أبان صديقاً له يوم عرفة فتأخر عنه فكتب إليه:

باكر الصهباء يوم عرفة من عقارٍ جاوزت حدَّ الصفةِ
بنت حولين إذا ما صفقت خلتَ فيها سرُّجاً مختلفة
إنما النُّسكُ لمن حلَّ "مني" ولمن أصبح "بالمزدلفة"
فاشرب الراح وداهن كأسها لا تكوننَّ قليل المعرفة

وعلى دجلة بين حدِّ السَّواد وأرض تكريت دير قديم يعرف بدير الجاثليق، وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، فقال ابن الرُّقيّات:

لقد أورت "المصريون" حزناً وذلةً قتل بدير "الجاثليق" مقيمٌ
فما قاتلت في الله "بكر بن وائل" ولا صبرت عند اللقاء "تميم"
وكان بكر بن خارجة يتعشق غلاماً نصرانياً كان فيه فقال بكر:

فبالإنجيل تتلوه شيوخٌ رهابنةٌ بدير "الجاثليق"
وبالقربان والصلبان إلّا رثيت لقلبي الدنف المشوق
أجرني، متُّ قبلك من همومي وأرشدني إلى نهج الطريق
فقد ضاعت عليّ وجوه أمري وأنت المستجار من المضيق

وكان دعبل بن عليّ يستحسن قوله فيه: زناره في خصره معقودٌ=كأنه من كبدي مقدود وكان كثير المقام بهذا الدير مشتهراً بالشراب فيه افتتانهً بهذا الغلام النصراني وفيه يقول أرجوزة مليحة منها قوله:

من عاشقٍ ناءٍ هواه دانٍ ناطقٍ دمع صامتٍ اللسانِ
موثقٍ قلبٍ مطلقٍ الجثمانِ معذبٍ بالصدِّ والهجرانِ
من غير ذنبٍ كسبت يداهٍ إلّا هوىً نمت به عيناه
شوقاً إلى رؤيةٍ من أشقاهٍ كأنما عافاه من أبلاه
يا ويحه من عاشقٍ ما يلقي بأدمعٍ منهلةٍ ما ترقا
ذاب إلى أن كاد يخفى عشقا وعن دقيق الفكر فيه دقا
لم يبق فيه غير طرف يبكي بأدمعٍ مثل نظام السلكِ
كأنه قطر السماء يحكي يُخمد نيران الهوى ويذكي

إلى غزالٍ من بني النصارى
يترك ألباب الورى حيارى
ريم بدير الروم رام قتلي
وُطْرَةَ بها استطار عقلي
ها أنا ذا من قدّه مقدودُ
ما ضرَّ من قلبي به معمود
يا ليتني كنت له صليباً
أبصر حسناً وأشم طيباً
أو ليتني كنت له قرباناً
أو "جاتليقاً" كنت أو مطراناً
أو ليتني كنت له زناراً
حتى إذا الليل طوى النهاراً
يا ليتني في النحر منه عُوْدَة

عذارُ خديه سبى العذارى
في ربقة الحب له أسارى
بمقلة كحلاء لا من كحلٍ
وحسنٍ دلّ وقبيح فعل
والذّمع من خدّي له أخذود
لو لم يكدر صفوه الصدود
فكنتُ منه أبداً قريباً
لا واشياً أخشى ولا رقيباً
ألثُمُ منه الفمّ والبناناً
كيما يرى الطاعة لي إيماناً
يدور بي خصره حيث داراً
صرت له تحت الدُّجى إزاراً
أو خمرةً يشربني ملذوذة

أو حلة يلبسني مقدودة
يا ليتني كنت لعمره مُصحفاً
من حسن أشعارٍ له قد صنفاً
يا للذي بحسنه أضناني
ظبيّ على البعاد والتداني
واكبدي من خدّه المضرّج
لا شيء مثل الطرف منه الأدعج
إليك أشكو يا غزال الأُنسِ
ما بي من الوحشة بعد الأُنسِ
ها أنا في بحر الهوى غريق

ليست إذا ما أخلقت مقدودة
أو قلماً يكتب بي ما ألفاً
فإن لي من بعض هذا ما كفى
وابتز صبري والضى كساني
حلّ محلّ الروح من جثمانى
واحزني من ثغره المفلج
أذهبُ للنسك وللترحج
يا من هلالى وجهه وشمسى
لا تُقتل النفسُ بغير النفسِ
سكران من حبّك لا أفيق

محترقٌ ما مسني حريقٌ

يَرحمني العدوُّ والصديقُ

ويقول فيها:

يا عمرو ناشدتك بالمسيح

ألا سمعت القول من نصيح

يُعرب عن قلبٍ له قريح

ليس من الحبِّ بمستريح

يا عمرو بالحق من اللاهوت

والرُوح روح القدس والناسوت

ذاك الذي قد خُصَّ بالنعوتِ

النطق في المهد وبالسكوتِ

بحقٍّ من في شامخ الصوامع

من ساجدٍ لربِّه وراكع

يبكي إذا ما نام كلُّ هاجع

خوفاً من الله بدمع هامع

ثم يقسم عليه بكل قسمٍ يعرفه النصارى ويقول:

إلا نظرتَ يا أميرَ أمري

محتسباً فيَّ عظيمَ الأجر

منافع الأشرية ومضارها على مذاهب الفلاسفة

قال يحيى بن ماسويه: نبيذ الزبيب في جميع الأشرية المتخذة من الكرم يغدو غذاءً محموداً. كما قال "أبقراط"؛ الشراب ينفع من الأوجاع الحادة التي تكون من الدم الغليظ لأنه يقوي الأعضاء ويقوي الحرارة الغريزية ويهضم الطعام ويسخن المعدة ويحسن اللون بتوليد دماً صحيحاً محموداً، فإن شئت النبيذ بالماء البارد برده لإيصاله إلى الأعضاء الداخلية بلطف حرارته، ولذلك قال جالينوس: النبيذ يغدو غذاءً محموداً إذا شرب منه بمقدار تنقيته الأوساخ من البدن وتحليله بلطافته الأخلاط الغليظة وفتح ما في العروق من السدد، ولا يدع خلطاً ينعقد في البدن. والأحمر منه يولد دماً كثيراً، وكلما اشتدت حمرة وغلظ كان توليده للدم أكثر فعلاً، وما كان منه عفصاً، كان توليده للدم أقل من توليده إياه، وأقل الشراب غذاءً ما كان في بياضه يشبه الماء، وكان لطيفاً فلا يغدو ولكنه يدر البول. والنبيذ العتيق الذي قد أتت عليه السنون يا بس في آخر الدرجة الثانية حار في الدرجة الثالثة. فإذا ما أتت عليه سنة فهو حار في الدرجة الأولى يابس ويُسسه أقل. والطري منه يولد نُفَاحاً وهو عسير الانهضام مدر للبول. وما أفرط عتقه أضرَّ بالعصب والحواسِّ لحرارته ويُسسه ويضرُّ بالمحرورين وإقلالاً منه أصلح من الإكثار. وأحمد الشراب لكل الناس وفي جميع الأوقات ما توسطت حاله بين العتيق والحديث. وينبغي أن يُمنع منه الأطفال لضعف أدمغتهم وعصبهم. والأبيض اللطيف منه سريع النفوذ في البدن مدر للبول محلل للبخار الذي ليس بمحسوس، والأسود من النبيذ بطيء في المعدة عسير الانهضام سريع الإسكار لغلظه وكثرة تبخيره إلى الرأس، إلا أنه إذا انهضم انهضاماً جيداً غداً غذاءً كثيراً. والحلو منه كثير النفخ بطيء الانهضام يولد قراقر ونفخاً في المعدة والمعاء، مُلِينٌ للطبيعة، دافع للفضول المنحدرة إلى المعدة.

ومن كتاب روفس في الشراب ترجمة قسطا بن لوقا قال: إن النبيذ يهضم الطعام هضماً جيداً ويزيد في جوهره، وهذا الفعل إنما يكون بالحرارة، وليس يوجد شيء يُعين الحرارة ويوقدها غيره إذا كان ملائماً لها خاصياً بالطبيعة، وإن أنت غذيت رجلين غذاءً واحداً، وجعلت شراب أحدهما الماء والآخر النبيذ، وجدت بينهما من الاختلاف في مقدار الحرارة بوناً بعيداً. وإذا انهضم الطعام في المعدة وسائر أعضاء البدن انهضاماً جيداً كان ذلك معيناً على دوام صحة البدن بقوة وزيادة. ولما كان النبيذ يزيد في الحرارة الغريزية والدم جميعاً، زاد لون البدن عند شربه إشراقاً وحسناً.

ويرى أن تقوية النبيذ وتغذيته ليست تخص البدن دون النفس لأننا قد نجد من شرب سريع الحركة إلى الأعمال بسهولة من غير أن يناله تعب ولا إعياء، وكذلك "من" أصاب منه عند الحرب كان في نفسه

حرباً وفي أعضائه قوياً.

وأما ما يفعله النبيذ في النفس من الطرب والفرح والسرور والنشاط وتنسية الأحزان، وتسليية الهموم، فليس إلى ذكره حاجة لأن أحداً لا يجهره. ومن فضائله العجيبة أنه موافق للناس جميعاً في الأسنان والأزمان والبلدان كلها. وينبغي أن يعطى منه الأطفال والصبيان بقدر احتمالهم وفوق ذلك، للأحداث والشباب والكهول، فأما الشيوخ فليس يوجد شيء أعون على سلامتهم وصحة أبدانهم منه، إذ كانت حاجتهم إلى ما يسخنهم شديدة. وأما الصبيان فيحتاجون إلى ما يفيدهم حرارته إذ كانت الحرارة لم تبلغ فيهم نهايتها. فأما من كان في نهاية الشباب فإن النبيذ يلائمه بمشاهته إياه وزيادته بجوهره في جوهره. ومثل هذا القول، في الأزمان، لأننا لم نر طبيياً يطلق شرابه في الصيف ويمنع منه في الشتاء، ويأمر باستعماله في الخريف ويأباه في الربيع إلا أن يكون ذلك في الزيادة والنقصان والكثرة والقلة على سبيل الاستظهار والتوقي. والمواضع الباردة يحتاج أهلها إليه ليسخنهم. "و" المواضع الحارة يحتاج أهلها إليه ليرطبهم إذ كانت شدة حرارة البدن تيسسهم، والنبيذ يقوم مقام الطعام لمن كانت له الشهوة الكلبية فإنه يأكل دائماً ولا يشبع، فإن سقي النبيذ أعان على شبعه وذهب بجوعه. وأما العطش الشديد المفرط الذي لا يقطعه الماء، فإن النبيذ الممزوج بالماء يقطعه ويذهب بغلظ الماء وكذلك إن كان الماء رديئاً لم يوجد شيء يصلح رداءته وفساده أقوى فعلاً من النبيذ. وكذلك من يسكن السبخ والمواضع اللثقة العفنة الرديئة المياه، ليس لهم أنفع من أن يمزجوا مياههم بالنبيذ ويشربوه، وكذلك الذين مياههم مالحة أو فيها آفات تفسدها. فأما المياه الباردة ومياه الثلوج فإنها مضرّة، شديدة إن هي شربت مفردة من غير أن تُمزج بالنبيذ لأنها تولد انفجار عروق الصدر ونفث الدم ووجع البطن وتشنجاناً وضيق نفس "و" فالجاً، فإذا خالطتها حرارة النبيذ مع ما تفيدها من الذلة، مُنع أذاها وضُرُّها. والإكثار في النبيذ يجاوز الرجل فيه مقدار طاقته يلزمه الخطأ في رأيه والضعف في بدنه فتقبح أفعاله ولا يحمدّه جميع من يحضره. والشرب الكثير للنبيذ والتمادي عليه يورث في الجسم أمراضاً كثيرة منها الداء المعروف بـ"المأخوليا"، والوساوس السوداء، ويخفق منه القلب ويذهب بالمروءة ويتلف المال. فإذا شرب بقصد بين القلة والكثرة كان محموداً. وينبغي لشارب النبيذ أن يفقد نفسه وبدنه فمتى أنكر رأيه وفكره وحركات بدنه وقوته أمسك عن شربه ولم يتماد فيه حتى يبلغ السكر، لأن السكر إنما يكون من بخارات نية غير نضجة ترتفع إلى الدماغ فتستره كما يستر السحاب الشمس فتحول بينه وبين عقله. وكانت الفرس تشرب عند المناظرات والمشاورات والمفاوضات في الرأي والتدبير. أما اليونانيون فإنه يستعملونه عند ضرب العידان والغناء وإنشاد الأشعار ليعلموا مبلغهم من الفكر والتمييز وقوة البدن، لأن من شربه منهم لا يحمل نفسه على ذهاب عقله وهلك بدنه بل يشربه

بمقدار ما يقطع العطش ويولد الطرب والسرور وينفي المومم ويُنسي الأحزان، فإذا جرى النبيذ هذا الجرى انتفع به البدن منفعةً كبيرةً لأنه على هذه الحال ينقي المثانة ويجلو العروق وينضح ما كان نياً فجاً فيهضمه ويحلله إلى خلطٍ جيّدٍ محمود. وينبغي أن يتوقى شربه في حالٍ يبلغ خطل "الرأي" والمنع من القيام بحق الله في فرائضه. وأن يُريد منزلةً فلا تهتدي إليه مع سوء العاقبة في العلل المزمنة والأمراض المرديّة. ويجب أن يستعمل الاستحمام بالماء الحار ويتوقى طول المكث في الحمام لأنه يُخل البدن ويضر بالرأس، وكثير من الناس يرى أن طول المكث في الحمام وإخراج الكثير من العرق يجلي العروق فيعين ذلك على الإكثار من الشراب، وذلك أضر الأشياء لمن شرب النبيذ. ويجب ألا يكون شربه بالمبادرة والسرعة، بل بتؤدّة وأمانٍ وأناةٍ من غير تعبٍ بتصرفٍ أو مشيٍّ وغير ذلك. ويجب لأصحاب النبيذ ألا يأكلوا طعامهم في أكلةٍ واحدةٍ، فإنهم يكثرّون من الطعام، وإذا خفف أحدهم في غدائه وجعل تمامه في عشائه كان ذلك عوناً له على الشرب وزائداً فيه وأما النقل فإنه يبقى في المعدة غير منهضم ويولد رياحاً وصداعاً فإن نال منه القليل كان مستدعيّاً لشرب النبيذ، فاتحاً للشهوة.

وقال جالينوس: أوفق الشراب كله لتوليد الدم ما كان أحمر غليظاً فإذا مزج يسيراً ينقلب فيصير دماً. وأما الشراب الأسود الغليظ فيولد دماً غليظاً، وأقل أنواع الشراب كلها غذاءً ما كان لونه أبيض وقوامه رقيقاً وكان شبيهاً بالماء. والشراب الغليظ أكثر غذاءً من الرقيق. والشراب الحلو أسرع انهضاماً في المعدة من الشراب القابض وأسرع نفوذاً إلى الكبد وإلى سائر الأعضاء لأن قوته أسخن. وما غلظ من الشراب كثيراً فهو أبطأ انهضاماً ونفوذاً إلى الكبد وإلى الأعضاء إلا أنه إن صادف معدةً لها فضل قوةٍ حتى ينهضم على ما ينبغي، غذيّ البدن غذاءً كثيراً.

وقال إسحق بن عمران في النبيذ المطبوخ من الزبيب، إنه دواء. وقال في النبيذ النقيع إنه يغذي البدن كاللبن للمولود وبخاصة للشباب والصفراوين، وغذاءً كل شراب بمقدار غلظه، وأوفق الأغذية للبدن الضعيف الشراب الحلو، ولا سيما لمن لم يكن في كبده ولا طحاله ولا كلاه آفةً وأوفقها لما كان في عروقه خلطاً. وما كان من الشراب طيب الرائحة فالدم الذي يتولد منه أحوذ. والشراب اللطيف أعون على إدرار البول. وينبغي أن يجتنب من الشراب ما كان غليظاً كريبه الطعم قابضاً لأنه أurdy غذاءً والأشربة القابضة لا تولد دماً محموداً وإن كانت قد تقوي المعدة إذا استرخت وضعفت، وكذلك البطن لا سيما إذا كانت علة البطن والمعدة من مزاج حار، وإنما تستعمل الأشربة القابضة عند الحاجة إلى حبس البطن المنطلق، وأما في غير ذلك فلا ينبغي لأنه ليس بجيد لنفوذ الغذاء ولا لتوليد الدم ولا لجودة الغذاء ولا لدرور البول وخروجه، ولا لإطلاق البطن. وما كان من الشراب أصفر يضرب إلى الحلاوة طيب

الرائحة، فلا ينبغي أن يشربه من كان الغالب عليه المرار ولا من أصابه حرٌّ أو تعب أو اغتم، ولا في الأوقات الحارة والبلدان الحارّة. وهذا الشراب الأصفر جيّد التسخين لمن كان الغالب عليه البرد والبلغم والمزاج البارد، ولمن في بدنه أخلاطٌ نيّةٌ ولمن شأنه السكون والخفض في البلاد الباردة، وفي الشتاء والهوى البارد. وينبغي أن يجتنب من الشراب ما عتق حتى صار مُراً فإنه يسخن أكثر مما ينبغي، والشراب الحديث جداً لأنه يسخن ولا يُمري الطعام، وهو بطيئ الانحدار، بطيء النفوذ، وليس يُدرُّ البول ولا يعين على توليد الدم ولا يغذي البدن لبقائه في المعدة مدةً طويلةً طافياً في أعلاها مثل الماء. فإن شرب منه قليلاً أسرع إلى الحموضة، ومن كان مزاج بدنه مفرط الحرارة، فشرّب الماء أوفق له من شرب الشراب، فإن احتاج إلى الشراب شرب منه ما كان رقيقاً معتدلاً فيه قبض. وما كان من الشراب الحلو صافياً وكان لونه إلى الصفرة والحمرة الناصعة، ولّد دماً متوسطاً بين اللطيف والغليظ. وأما الغليظ الأسود فيملاً العروق دماً غليظاً، والشراب الأبيض اللطيف يقطع الأخلاط الغليظة وينقي الدم ويخرج فضله في البول. والشراب الغليظ الحلو إذا خلط بشيءٍ من الأدوية المطلقة نفع أصحاب العلل التي في الصدر والرئة إذا لم يكن فيه قبضٌ.

وقال أبقراط: إن الخمر الحديثة أغذى وأعون على تليين البطن من العتيق. والشراب العطري الطيب الرائحة أغذى وألطف وأنفذ مما لا رائحة له.

وأما دياسقوريدس فإنه قال: إن الشراب العتيق يضر بالعصب وسائر الحواس فينبغي أن يحذره من كان به شيءٌ في هذه الأعضاء، وأما الأصحاء، فإن شربوا منه المكسور بالماء لم يضرهم. وأما الحديث فنافع عَسِرُ الانهضام يولّد أخلاطاً رديئةً ويكثر البول. والمتوسط بين العتيق والحديث أفضل إذ لا مضرة فيه. وأما الشراب الأبيض الرقيق فإنه سريع الانهضام والنفوذ. وأما الشراب الأسود فإنه أبطأ انهضاماً ونفوذاً. وما يعرض منه في السكر أشد وغداؤه أكثر ويزيد في اللحم. والأحمر الناصع متوسط بينهما. والشراب الحلو الغليظ نافع للمعدة والأمعاء، مطلقٌ للبطن، وسكره أقلّ وهو نافع للكلية والمثانة. والشراب العَفَصُ يشدُّ البطن ويدر البول ويصدِّعُ الرأس ويسكره. والشراب الذي فيه قبض هو معتدل سريع النفوذ مقوٌ للمعدة مُهيجٌ لشهوة الطعام صالحٌ للغذاء، جالبٌ للنوم محللٌ للنفخ ويجبس الاختلاف ويقطع العرق الذي يكون من ضعف القوة.

وقال هيوفراطيس: الشراب دواءٌ من الأوجاع الحادة التي تكون من الدم الغليظ لأنه يقوي الأعضاء ويحيي الحرارة الغريزية ويهضم الطعام ويسخن المعدة ويجسن اللون بتوليد الدم الصحيح الحمود، فإن شرب النبيذ بالماء برد لإيصاله إياه إلى الأعضاء الداخلية بلطف حرارته.

وقال جالينوس: إن الشراب يغدو غذاءً محموداً إذا شرب بمقدار، لتنقية الأوساخ من البدن وتحليله بلطافته أخلاطه الغليظة، وفتح ما في العروق فإن النبيذ لا يدع خلطاً غليظاً ينعقد في البدن، والأحمر منه يولد دماً كثيراً، وكلما اشتدت حمرة كان في توليده الدم أثر فعلاً. وأما شراب العسل فيغذو ويهضم ولا سيما إذا كان حلواً ولا يفعل ذلك إذا كان عفصاً أو مرّاً. وأحمدُ الشراب لكل الناس وفي كل الأوقات ما توسطت حالته بين الحديث والعتيق، وهو نافع لصاحب المرّة الصفراء، لأن الشراب يزداد حرّاً ويساً على مرور الدهر ويلق "صاحب الصفراء في شرابه التفاح والسفرجل والورد وليكثر مزاجه، ويلق صاحب البلغم" في نبيذه المصطكي والحلبة ويتجنب الأشربة الحلوّة الغليظة التي ليست بصافية ولا رقيقة فإنها تورث السُّدد. ونبيذ الزبيب المتخذ مع العسل يجفف المعدة والأمعاء، وفعله كفعل المطبوخ فيه صلاحٌ للرطوبات العارضة للبدن، فإن عتق المطبوخ كان أقوى فعلاً. ونبيذ الزبيب المطبوخ أخفُّ وأقل رطوبةً من النقيع وأنفع لأصحاب البلغم. والنبيذ النقيع أنفع لأصحاب الصفراء من المطبوخ لرطوبة الماء الذي معه. وينبغي لمن أراد الإكثار من النبيذ أن يأكل من الطعام ما خفَّ وليقل. فإن كان محروراً أكل السمك الطري، وإن كان صاحب بلغم فيأكل اللحم المتخذ بالكرب، والكرب نفسه معينٌ على الإكثار من شراب النبيذ وليس بمحمود لتوليد السُّدد. وكلما انتقل على النبيذ ولد على الكبد والعروق والمفاصل سُدداً إلا أن المحرور يمصُّ الرمان الحلو. ومصُّ الرمان نافع من الالتهاب الذي يكون في الكبد من شرب النبيذ. وعصير ماء الرمان بقشره الداخل يسهل المرّة الصفراء ويقوي المعدة ويشد الثّات. ومصُّ السفرجل العذب والتفاح المرّ والأجاص اليابس ينقي جسمه. ومص السفرجل يمنع من بخار النبيذ أن يترقى إلى الدماغ. وليس ينبغي أن يكثر من مصّه لثلاث يخرج ما في المعدة قبل هضمه، لأن السفرجل مسهل للطبيعة بعصره، وإن أراد عقل طبيعته فليأكله قبل طعامه وليؤخر أكل الطعام إلى أن يتمكن فعل السفرجل من معدته. وأحمدُ التقل لأصحاب البلغم اللوز المرّ والسفرجل والفسق المملح ولا سيما إذا أراد تفتيح السُّدد وجلاء ما في المعدة والكبد.

قال محمد بن زكريا الرازي: منافع الشراب عظيمة منها إمداده الحرارة الغريزية ونشره لها في أقطار البدن بأوفق وأصلح من جميع الأغذية وذلك أنه يبعث إلى المعشي عليه الغذاء بسرعة فيرد قوته وينعشه ويدفع ضرر السموم التي خاصيتها تجميد الدم وإطفاءه للحرارة الغريزية كالأفيون والسيكران ونهش الأفاعي ولدغ الحيات وما أشبه ذلك لأن مادته موافقة لاغتذاء الحرارة الغريزية التي بها قوام الحياة وله مع ذلم ما ليس لشيء من الأغذية من طرد الفكرة الباطلة وبسط النفس وشرحها، حتى أنه من أعظم علاج "المخوليا" إذا استعمل على ما ينبغي، وهو سبب لجلب النوم اللذيذ فيصير ذلك سبباً لجودة الهضم وتوليد الدم الغريزي الكثير وإخصابه البدن وتحسينه اللون والذبول والهزم والإبطاء به، وهو يفتح السُّدد

والمجاري وينفذ الفضول حتى يبرز من البدن بسهولة النجو والبول والعرق ويقوي جرم المعدة وتسخينها، ويسخن الكبد ويمنع عظام الطحال ويلطف. وكثيراً ما يدفع المرار الأصفر في البول، ولا سيما إذا كان في جنسه رقيق القوام وأكثر مزاجه فيكسر عاديته في البطن والكبد حتى لا تكون له حدة ورداءة.

قد ذكرنا من منافعه هذه الجملة فينبغي أن نذكر جملة من مضاره لئلاً يحمل الجاهل على الانهماك به. ومن مضاره العظام الإضرار بالدماغ والعصب إذا أدمن "شاربه"، ولا سيما إذا كان الشارب ضعيف العصب أو متهيئاً للأمراض الكائنة من ضعف العصب والدماغ، فإن إدمان الشرب يوقعه في الفالج والرعدة سريعاً، وقد يوقع بعضهم في الهذيان والوسواس، ويجلب أيضاً إحماء الكبد وورمها والحميات الحارة والصداع والرمد والأورام والجرب والخوانيق والشوصه ونحو ذلك من الأمراض التي تحدث من حدة الدم أو من كثرته. وذلك أن الشراب في الجملة يزيد في الدم وفي سخوته وحدته لا سيما إذا كان المزاج متهيئاً لذلك.

وقال: يحتاج إلى شرب الشراب ضرورة من إذا لم يشربه أبطأ هضمه وتجشأ جشاء حامضاً وقلت شهوته للغذاء. وإذا شرب الماء ثقل عليه، وثقل الطعام في جوفه وكثر النفخ والقرقر في بطنه، فإذا أمسك هؤلاء عن الشراب وقعوا في الأمراض الباردة. ويحتاج إلى تركه ضرورة من إذا شرب وحمي جسده أصابه صداع أو عطش شديد وتجشأ جشاء دخانياً وخرم عليها خماراً شديداً وأصابه الغشي وسقوط الشهوة وفساد الطعام في معدته، فأما شربه للسُّكر فلا خير فيه فإنه لم يعقب قط إلا مضرة أو علة عظيمة كالسكته والاختناق وفساد الكبد والرعدة والفالج ونحو ذلك، فأما السكر، تقع في الأيام الكثيرة ولا تكون مع ذلك مفرطة جداً، فإنها تنفع في الأكثر لأنها تفتح مجاري الدم وتذيب خلطاً منعقداً أو جامداً وتنشر الحرارة الغريزية وتدفع الفضول غاية الدفع فيكون ذلك سبباً لدفع الأمراض الباردة ولانفتاح المجاري والمسام وذلك ينفع في حفظ الصحة. وأحوج الأسنان إلى استعمال الشراب المشائخ، وذلك أن أبدانهم تبرد وتجف والشراب يستخنها ويرطبها، ونومهم قليل فالشراب يُعينهم ويذهب عنهم الحكمة التي تعتري المشايخ في أجسادهم لترصيقة لجلودهم وتوسيعه مسامهم وتجويد هضمهم. ويمنع سرعة الهرم ويدفع عنهم النزلة والزكام والسعال الذي لا يزال يعترتهم ويسيطر من أنفسهم. وهم بالجملة أحوج الأسنان إليه وأكثرهم عليه سلامة من الكهول والشيوخ ولا سيما من كان منهم حاراً المزاج ملتهباً فإنه يُحمي كبده ويكثر صداعه ويسقط شهوته، فالماء لهم أوفق من الشراب، فأما الصبيان فغير محتاجين إلى الشراب.

فأمّا الصيف كلّهُ فليشرب فيه رقيقه ويكثر مزاجه ويتنقل الفواكه الحامضة ويشرب السّكنجبين الساذج الحامض بعد الإفافة منه، ويَتوقى السُّكر في هذا الزمان فإنه يجلب الأمراض الحادة. وأمّا في الخريف فيستعمل العتيق منه بمزاج كثير، وإن كان حديثاً فليختر أرقه. فإذا برد أول النهار وآخره، فأصلح الشراب له ما يطيب نفسه، فإن ذلك أمانٌ من التسكر والقشعريرة. وإذا جاء الشتاء فليكن الشراب أقوى وأكثر مقداراً مما يستعمل في سائر الأزمان، فإن الأبدان تحتل في هذا الزمان ما لا تحتل في غيره. ليس للخمار فيه سورة، والخمار في الصيف داءٌ، وفي الشتاء دواءٌ. وأمّا استعمال الشراب بحسب مزاج الأبدان، فالبدن النحيف أحوج الأبدان إليه، ولكن يكثر المزاج ويجدد القوى، واللحم من الأبدان، أقلها حاجةً إلى الشراب، فقد يعثرها منه حمماً وأمراض حادة، وأمّا الشحمية فتحتاج إلى المقدار اليسير من الشراب القوي الصّرف منه ويضرهم المزاج الكثير ويؤديهم إلى الأمراض البلغمية. وينبغي أن يُجتنب الشراب بعقب الخروج من الحَمّام سريعاً، وبعقب التعب إلا بعد ساعتين وأكثر، وبعقب الصّداع والرّمَد والزكام والثاؤب والتمطّي، وعند الغضب وهمّ النفس المفرط، وبعقب كثرة الجماع وطول السهر وإسهالٍ عنيف ولا يُكثر حين يَسُكر، وبعقب أخذ الغَسَل أو الرُّطب أو الدواء أو غذاءً حادّ حريف ووجع لا يُعرف سببه. وأوفق الأحوال له إذا كان البدن هادئاً ساكناً في حركاته الجسدانية وهوومه النفسانية، وفي حال نشاط النفس وانسراحها وشوقها إلى الطعام الذي يتقدم الشراب، وينبغي أن يشرب المحرورون والشباب، في الأزمان الحارة، على الأطعمة الباردة الحامضة، مثل ما أُتخذ من ماء الحصرم وماء الرمان والسكّجاج ونحو ذلك. ولا ينبغي أن يخلو هذا الطعام من لدونة أو دهن، وليكن الطعام في الشتاء للمبرودين، الأغذية التي معها أدنى حرارة كاللفتية والكرنبية والمغمومة الكثيرة البصل والمطحنات والمالح ونحو هذا. ولا يشرب على طعام ليس فيه دسم كمن يقتصر على الخبز والزيتون والكوامخ والسمك المالح فإن ذلك رديء جداً يودع العروق أخلاطاً رديئة تفسد الدم، وأضر ما يكون ذلك بالأبدان النحيفة. والنقل لأصحاب الأبدان النحيفة، السفرجل المز والرمان الحامض والأترج، وأمّا الحصرم فيفسد الشراب في المعدة ويمنعه من النفوذ إلا أن يُقل منه، وأمّا أصحاب الأبدان المعتدلة فالرمان والسُّكر الطبرزد الأبيض واللوز المقشّر. وأمّا المشايخ والمبردون، فالفستق وحبّ الصنوبر وبزر الكتان والسمسم المقلو والجوز والكحك. وأمّا العشاء على الشراب فإنه في أكثر الأمر مضر إلا أن يكون الطعام قبله قليل المقدار أو رقيق القوام سريع النفوذ. ولكن لا ينبغي أن يشرب بعد الأكل والعشاء البتة. فإن كان، وحدث في البطن قراقر ونفخ وغثى فليبادر إلى القيء وطول النوم والإمساك عن الطعام ثم الاستحمام بعد ذلك وتلطيف الغداء وترك الشراب. وأمّا الطيب على الشراب فمن كان محروراً وافقه اشتمام الصندل والكافور وماء الورد. والبحور ليس بموافق لمن يُسرّع إليه الصّداع، ومن كانت به الرعشة نفعه شم

الغالية والمسك على الشراب، وذلك أضر الأشياء لمن يتأذى بالشراب، والبخور بالجملة بماء الرأس ويسرع السكر ويسقط شهوة الطعام، وأما الجماع فمضرٌ في أكثر الأوقات وعظم ضرره بمن يعتريه التقرس وأوجاع المفاصل وضعف العصب فإنه يجلب التشنج، وبحسب بطء إنزالهم وجهدهم أنفسهم في ذلك، يكون قد ضرهم ولا سيما إن كان في نهاية السكر، والبطن ممتلئ يتخضخض فيه الشراب. وأما إذا كان على تناول شيءٍ من الشراب مع خفةٍ في البطن فليس بضارًّا إلا أصحاب الأبدان النحيفة، لأن الجماع يضر بهم ليس أبدانهم، فإن فعل فبعد مداعةٍ طويلة ليسرع إنزاله وليستلق بعده على قفاه ساعة ثم يتطهر بالماء البارد إن لم يكن في زمانٍ بارد، وإلا فالماء الفاتر.

وأما المغرى بالسكر، المسرف فيه الذي إذا صحا اغتمّ ولزمته كآبة وحزن حتى يبادر إلى الشراب، فينبغي أن يشتغل بأشغال اضطرارية تمنعه من الشراب، ويتدرّج في ذلك لأنه لا يطيق الإقلاع عنه ضربةً "واحدة" وتعرض له على ذلك أعراض قوية صعبة تؤدي إلى أمراض رديئة، والموت فجأة، والاختناق والسعلة، فإذا رأيت السكران قد اربدَّ وجهه ودرت أوداجه واحمرّت عيناه وضاق نفسه بعد الشرب بأقداح كبارٍ فاعلم أنه مشرف على الاختناق، فليقطع عنه الشراب، فإن نقصت الأعراض دلَّ على خير، وليمتنع من النوم ليلته تلك إلى "أن" تسكن الأعراض. فإن تزيّدت فليفصد في كلتا يديه، وليخرج من الدم إلى أن يغشى عليه، وليمتنع أيضاً من النوم ليلته تلك، فإنه بذلك يسلم من الاختناق. وأما إذا رأيت السكران قد قلت شهوته للطعام، فليدرج على تقليل الشراب وأكل الأغذية الرطبة في كل ساعة حتى ينال منها الكثير إلى أن يعتدل ويعود إلى حالته الطبيعية، وإلا فقد وقع في الدقّ والذبول والسهل والوسواس، ومتى رأيت السكران قد بدت به عند الصحو بلادة أو ثقل لسانٍ أو رعشة أو اختلاج في البدن، فليقطع الشراب البتة وليتجنب الحمام وليشرب الماء البارد ويغتسل به، ويلزم الأغذية التي تُسخن وتحفف كالثقلايا بالزيت والتوابل فبذلك يسلم من السكته والقالج ونحوهما من أمراض الدماغ والعصب. والعرق من الشراب أنفع للبطن وأضر بالرأس والممزوج أوفق لمن يسرع إليه الصداع. والصرف في الأبدان والأزمان الباردة الشديدة البرد والكثيرة الرطوبة أنفع من الممزوج ومضرة الصرف في الصيف أشد، ومضرة الممزوج في الشتاء أشد، لنفع الصرف في الشتاء والكثير المزاج في الصيف. ولا ينبغي أن يتعرّض للصرف من به صداع أو ضعف دماغ في العصب والعين أو حدة في الكبد، ومن تسرع إليه الحميات والخراجات. ومن لم يجد عند الطواعين وكثرة العفونة في الهواء فإن الصرف في هذه الأحوال شيءٌ قاتل. والصرف نافع لمن يحتاج إلى ترطيب بدنه كالناقهين والمسلولين، والكثير المزاج ضارٌّ لأصحاب القولنج والطحال وتقطير البول وما أشبه ذلك. ويحتاج إلى إدمان الشراب من لا يستمرئ طعامه إلا

عليه، وإذا فارقه تحشاً حُشاء حامضاً وكثرت به القراقق والنفخ والرياح فإن هؤلاء متى لم يدمنوا الشراب نما هضمهم وانطلقت طبائعهم انطلاقاً رطباً وأداهم ذلك إلى فساد المزاج. وأما الذين تحمى أكبادهم إذا شربوا وإذا امتنعوا منه أياماً كثيرة لم يجدوا في هضمهم نقصاً ولا اعتراهم النفخ والقراقق ويجدون عند تركهم، أبلنهم أقوى، وحركاتهم أخف فاغتيالهم عنه أفضل، ويؤمر بعد اليوم الذي يشرب فيه الشراب بشرب الماء. ويُسرع بالسكر قلة الطعام وقرب العهد بالحمام وبالتعب وبالمشي المفرط أو شربه على أغذية كثيرة التبخير إلى الرأس كالباقلاء والبصل والثوم أو طعام يكثر فيه الزعفران أو سائر الأفاويه الحارّة أو البخور العودي الذي يملأ الرأس كالعود والندّ وريح القار أو الكبريت. ومما يُسكر السكر القويّ، الشراب الذي تُقع فيه العود الهندي والسّعدي والقرنفل، ومن أحبّ أن يبطئ بالسكر ويستكثر من الشراب فيمكن عهده بالنوم الطويل قريباً، وليأكل من الأغذية اللدنة مقداراً معتدلاً وما يضادّ الشراب كالكرنب وما اتخذ من الطعام بالحصرم وبحماض الأترج، ويتنقل باللوز المرّ. ويشتم الصندل والكافور وماء الورد، ويشرب من الماء البارد بين الأقداح إن لم تنضر معدته.

ومما يُفريق من السكر تجرّع الخلّ والشرب منه وصبّ الماء البارد على الرأس والشرب منه. ومما يقطع ريح النبيذ هو السعدى إذا مضغ وابتلع ماؤه والكسفرة الرطبة واليابسة والباقلا والكبابة وشرب الخلّ والأخذ من حب المسك ومصّ الكرفس والتمضمض بماء الورد وشرب السكنجيين، والشراب المطبوخ أشدّ إسخاناً وتخفيفاً للبدن، فهو موافق لمن احتاج إلى هذا وكذلك المشمش، إلا أنه ضارٌّ لأصحاب الأبدان الملتهبة، يسرع إليهم بالحميّات ويُسرّع بالدم إلى العفونة ويصدّع بسورته، لكنه نافع من الرياح والنفخ والقراقق وتبلغ حرارته إلى الأعضاء البعيدة بغوصه ولطفه. ويطيب ريح العرق والبول والنحو ولا يضر بالنكهة كالشراب. وأما نبيذ الزبيب فهو أشدّ لتقوية المعدة وأقلّ إسخاناً وأكثر غذاءً من الشراب. والدم المتولد منه أغلظ وأفرط في الاستحالة إلى السوداء، وأنفع لأصحاب الذرب وضعف المعدة. ومن يلهب من الشراب فالمطبوخ والعسل يزيده إسخاناً وقوةً وصعوداً إلى الرأس، وهو يُدر البول ويسخن الكلى والمثانة ويخرج منها الفضول والحجارة ويصلح الصدر والرئة، وأما نبيذ العسل فقويّ الإسخان سريع الاستحالة إلى المرار الأصفر، ضارٌّ بصاحب المزاج الحارّ ويصلح للمشايخ والمبلغمين وهو أوفق الأنبذة للذين بهم ضعف العصب، وأضرّها بأصحاب المعدة والأكباد الحارّة. وأما النبيذ الذي يطرح فيه اللوز المرّ فإنه يزيده إسخاناً ولطافةً ونفوداً جيداً لأصحاب السُدّد في الكبد وعظم الطحال. غير أنه سريع الاستحالة إلى المرار مصدع مورّث للرمد وأما الرادي فإنه مصدع ليس يجيد للمعدة ويصلح لأصحاب البواسير، وأما الأفاويه فإنها تزيد النبيذ إسخاناً وتصديعاً وتقوي المعدة وتخففها كالسعدى والمسك

والمصطكي والزعفران إلا أنه يصدع وإن كان أكثر في بسط النفس وتفريحها، وإذا أكثر منه حدثت بسببه الرعونة. وأما نبيذ التمر والدوشاب فوخمٌ ثقيل قريب من الماء، يولد النفخ والقرقر ويضر بالمعدة والأمعاء، وخيره العتيق وأرداه الطري وهو يزيد في أعصاب البدن وإسمانه لحلاوته وكثرة غذائه، وأما نبيذ التين فحيد للصدر والرئة والكلى والمثانة، مسمّنٌ مخصب للبدن بدفعه للفضول. يولد جرباً وحكةً ويقمّل.

ومن الشراب أبيض وأصفر وأحمر، وبين الصفرة والحمرة، وهو الزيتي، فأبردها الأبيض، وأكثرها إدراكاً للبول وأوقفها للمحرورين وأسخنها الأصفر الناري. وأما الأحمر فمعتدلٌ بينهما. وأما الأسود فإنه دون الأصفر في حرارته، وهو أكثر في إخصاب البدن. وأما الشراب الأحمر اللون الطيب الريح الذي إلى الحلاوة فأعدل الأشربة وأوقفها للأصحاء والمعتدلي المزاج. "و" العتيق أوفق لمن يحتاج إلى تخفيف بدنه، وأنفع لأصحاب المرة الصفراء من مطبوخه لرتوبة الماء الذي معه. ونبيذ القند والعسل ألين وأسهل للطبيعة وأنفع للمرة الصفراء ومن كانت به علةٌ في صدره وكلاه ومثانته فالزبيب والدوشاب غير محمود، وهو يسهل الطبيعة لرتوبته التي خصّ بها من الماء. والزبيب والتمر أكثر فساداً، وأرادوا ما فيه التمر، والمطبوخ، إذا كان صافياً تقرب أحواله من أحوال الخمر، يولد دماً صحيحاً، فأما العسل المطبوخ بالماء فنافع من برد المعدة، ومن الورم البارد فيها، ومن وجعه المتولد من البلغم المانع من شهوة الطعام، نافع من الرطوبة واللقوة وهو لأصحاب الفالج أنفع من النبيذ لقلته تبخره إلى الرأس، ويغذو غذاءً حسناً هاضماً يدر البول، ويجلو الأخلاط الغليظة الرديئة.

وقال حنين بن إسحق في كتاب "الكرمة": إن عددت ما فيها من الأدوية والأغذية لم أجد في سواها من سائر الشجر ما يشبهها.

وقال أرسطاطاليس: إن الذي استخراج القوة التي غيرت ماء الكرم حتى صيرته خمراً يتولد عنها لشراهما الفرح والسرور، قد أتى بشيءٍ تقصر عنه عقول المستبطين، وقد أتى بما فاق وعلا كل قوة شجرية، ولقد أشرقت الأرض بفعله، وأزهرت بصنيعه لأن نور الخمرة لا يعدله نور من الأنوار الأرضية، وإذا عدت المحاسن كلها وجدتها قد كملت فيها فصارت غاية المحبوب ونهاية المطلوب. وكما أنها ملكة الأشجار، صار من يشربها ملكاً بها. ومن فضائلها أنها لا تدع الشارب لها من الطرب والفرح والسرور "يكتم" ما يحسن من الملاهي والموسيقى والنغم التي في الخمرة إلا أبداه وأخرجه، ولو أنه كان زاهداً من الزهاد، أو عابداً من العباد. ومن فضائلها أن الذي يميل إليها ويهواها لا يصبر عنها ولا يلهو عن ذكرها ولا يقبل فيها لوم لائم ولا عدل عادل ولا يجد في ملاذ الدنيا ما يكون له عوضاً عنها.

وقال أفلاطون: كم غدره لأصحاب الشراب إذا ذكروها رجعوا إليها، وكم حلف يمين حنث أصحابها، وكم عهد نُقِضَ بسببها، وكم كفارة أُدِيت عنها، لأنه لا صبرَ دونها ولا احتمال على تركها. وقال اصطفن الرهاوي: على أي شيء نشكر رب الكل ومبدع الأشياء، أعلى اصطناعه الخمرة أم على أنه ملكنا إياها وأباحها لنا مع ما أباح من الذهب والفضة، فمن يميم محروم وبين مرزوق، لأن هذه الثلاث معادن بما قوام هذا العالم، والخمرة أفضل الثلاثة لأن الاثنين جوهرٌ للبدن، والخمرة جوهر الروح لأن النفس تتربى بالخمير وتسرُّبها وتفرح لها، والبدن يتربى بالآخرين ويشربهما ويفرح لهما، والخمرة تستعمل من داخل والجوهر من خارج، والداخل أفضل.

وقال الحكيم في شعره: الخمرة جوهر ذائب، والجوهر خمرة جامدة. وقال أرسطاطاليس، في كتاب "الكرمة" أيضاً: كلها منافع، لدجاءت الحكمة في أمرها، ودقت العظمة والقدرة في خلقها محضة المنافع، وإن أحدثت مضرة، فإنما ذلك بسوء تدبير من يستعملها بالخروج عن التقدير.

وقال بيلسون: عجبت لمن يأكل ثمرتها إذا بلغت بقصد، ويشرب من خمرتها بقصد كيف يمرض مرضاً عرضياً أو يألم بأحد الآلام إلا أن يقع في الأمر إفراطاً في شيء من الأشياء. واليونانيون يسمون هذه القوة التي تعيد ماء الكرمه خمرًا، القوة المتقدمة في الشرف على جميع الأنوار لأنها أشرف الشجر، وماؤها أشرف المياه لأنها تولد السرور والفرح، ففي خيرها أكون باقي حياتي. وقال شاعر آخر وذكر الشراب: هو أخو إخوانٍ ونديم ندمان، يشربه أقوامٌ كرام يشاكلونه في الأفعال، يتصاحبون ويتزاورون ويتحابون ويتآلفون، لا كأقوام يرون الحسنات مساوئٍ والمساوئ حسنات، غفران الذنوب طبع لهم، وترك الأحقاد سنة لهم، لا يتجاوزون طبعهم ولا يتركون سنتهم، الحسنه الصغيرة عندهم عظيمة، والسيئة العظيمة عندهم صغيرة مغفورة. وهذا بكلام اليونانيين شعر موزون. وقال لبيروس: يُنتقد بالخمرة الناس، فيعرف الزائف منهم والمغشوش كالحجر اليزد يُحلُّ به الذهب فيعرف خالصه من مغشوشه، كذلك الخمر في الأشربة إن عُدَّت فيما يطرب النفس وينشر السرور والفرح ويسلي الأفكار الرديئة كانت حقيقة بذلك، وإن عُدَّت فيما يُزيل الهموم ويذهب الغموم اجتمع ذلك فيها، وإن قلنا إنها تنشط الكسلان وتروي العطشان وتشجع الجبان وتسخي البخيل، فيعطي الجزيل ويراه نزرًا قليلاً، وتعزي عن المصائب وتسلي عن العشق المبرح، ولولاها لم تعمل الملاحية، ولكانت الأحزان والهموم دائمة لا تبرح، لكنها تزيلها وتذهب بها وتبدلها بأضدادها.

وقالت فيها طريطاوس الشاعرة: الشراب معدن اللذات وجالب المسرات، يُطيب النفوس ويصرف البوس ويُعفي على النحوس، ويُولد طرب الجليس ويشد القلب ويُزيل الكرب، ويُذكي الأذهان ويغسل الأدران،

ويُنير البصر ويُصفي الكبد ويغرس العلوم ويُوفر الحلوم إذا كان بقصدٍ واعتدالٍ، وإذا جتاوز الحد، وزاد، عادت أفعاله إلى الأضداد.

وقال جالينوس: لولاه لما تمازجت الأدوية المختلفة، ولولا وقوعه في الدرياق الكبير لما صار الرئيس على سائر المعجونات.

وأما منافع الكرمة على مذاهب الأطباء فإن الغالب على عروقها التي في الأرض طبائع البرودة واليبوسة فمتى جُففت في الظل وسحقت ونثرت على المواضع العميقة من الجراحات، أنبتت فيها اللحم بسرعة، وهي تنشف الرطوبات التي في الجراحات العظام وتلحم قطع السيف والسكين، ومتى نثرت على المواقع التي فيها الشوك من البدن جذبته وأخرجته. ومن منافعها الكبرى أنها إذا نثرت على الإحليل المختون أبرأته في الوقت ولم تقلع إلا بالبرء، وقشور هذه العروق إذا طرحت مع أدوية الحقنة وطبخت معها وحُقن بها أسهلت للوقت وأبرأت من القولنج، وإذا شربت نفعت من المغس الشديد، وإذا احتملت مسحوقة بدهن الورد حبست الدم من المقعدة، وأما حطب الكرم فإنه إذا أحرق وسحق من رماده درهم في كل يوم مع درهم خل خمرة سبعة أيام نفع منفعة عظيمة في تفتيته الحصى الكائنة في المثانة ونفع من المغس وسكّنه، وإذا أخذ عوده الرقيق الملتف وشُرب منه كل يوم خمسة دراهم سبعة أيام نفع نفث الدم من الصدر، وإن كان من الرئة لم ينفعه، وبه يفرق بينهما، وإذا دُقَّ بعد جفافه وسحق وعجن بماء الورد وطلي على الأورام وبخاصة في الأرنبتين وتحت الإبطين لهما وأبراهما وإن كانت رياحية لم يعمل فيها، وإذا أخذت أطراف ورقة الغصن وجففت وسُحقت وأخذ منها وزن ثلاثة دراهم في كل يوم مع مثلها سكر نفع من القروح الكائنة في الصدر منفعة عظيمة، ومتى دُقَّ واستخرج ماؤه بالعسل وخل الخمر وطُلي منه بالحمام فُتِح المسام وسُمِّن البدن وقوّاه ومنع من البثور والقروح التي تخرج من الجلد، وأما ورقه اليابس فإذا دُقَّ وسحق وغُسل به الرأس مع الخطمي وخل الخمر أذهب الإبرية والحزاز من الشعر وقوى أصوله وإذا دق ونثر على السعفة بعد أن يندى بالخمر العتيق مراراً سكن ضرباتها ومنعها من التزُّيد والترقي. وإذا نثر على السعفة وقطع عنها بالكلية بعد ذلك زِيدت السعفة وعظمت فصار داءً بعد أن كان دواءً، ومضرةً بعد أن كان منفعة. وأما الحصرم فإذا دُقَّ وعُصر ماؤه وطبخ إلى أن يبقى منه النصف وجفف في إناء في الظل وقُرِّص وجُفِّف أيضاً ورُفِع فيحك منه على المسن بماء وتكحل بع العين التجربة فإنه يذهب الجرب في مدة قريبة. وإذا عجن بمائه الأشنان الأبيض، كانت المنفعة فيه سريعة. وإذا جعل منه جزء في التوتيا جلا البصر وقواه قوة عجيبة.

قال أبقراط: ومما يخص به الشراب من المسامع أنه يذكي الدهن تذكياً عجيبة إذا شرب بمقدار ويسدّد

الرأي ويدل على الصواب ويغسل الأدران والأوساخ التي في بطون الدماغ ويقوي المسامع ويفتح السدد ويصفي الكدر الذي يحدث في العصبتين الجوفيتين اللتين يخرج منهما النور من الدماغ إلى العينين ويقوي البصر ويحفظه ويجود النظر ويقيه مدة طويلة لا يتغير، ويظف ما بين الدماغ والأنف حتى يشم الأشياء بسرعة وجودة ويقوي اللسان وعصبه، ويغسل اللهوات فيذوق الإنسان الأشياء بجودة ويميز بينها وبين غيرها، فهو يحفظ البصر والشم والسمع والمذاق. ومنها أنه يقوي سائر الأعضاء ويشدها ويقوي الحفظ ويذهب بالنسيان ويغسل الأوساخ الرطبة والأدران اللزجة التي قد سدّت أوعية المني ومنعته من الخروج إلى الأثنين فيمتنع الرجل من الجماع فيقول من لا بصر له، إنه مربوط من السحر، وإذا انفتحت الطرق المسدودة جرى المني وعاد الجماع إلى حاله. وإذا استعمل الرجل في كل يوم ثلاث أواق منه مع ثلاثة أمثاله لبن حليب غنمي شهراً عمل له منياً كثيراً غزيراً، والمولود الذي يتولد من هذا المني يخرج جميلاً نقي البياض حسن اللون رطب البدن حسن الصورة تام القد.

ومن منافعه أنه يسلس اللسان الثقيل من البلغم إذا شرب منه كل يوم أوقيتين على الرقيق بوزن درهم دار صيني مسحوق، سبعة أيام، ويُقطع عنه أربعة عشر يوماً، يفعل ذلك إلى أن يبرأ، وإذا أدمن الاستنجاء به أصحاب البواسير نفعها ودملها وذهب الصفار من وجوه أصحابها. ومن منافعه أنه يقوي المعدة، ويسدّد حَمَلها ويحفظ القوى الأربع التي فيها: الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة، ويجلو الرطوبات الراكدة المفسدة من سائر البدن، وإذا غسلت به الجراحات، أذهبت الأدران والأوساخ منها، وإذا نام الإنسان عليه من غير سكر نعم البدن وسَمَنه وحسن اللون. ويجلو الطحال من الأخلاط العكّرة، ويغسل الأمعاء من بقايا الأدوية المسهلة إذا شُرب مفترراً ممزوجاً. ومنها أن البدن يغتذي به غذاءً محموداً ويزيد في أفكاره وقوته، ومنها أنه يبرئ الأسقام الطويلة المزمنة، ويُحسّن الخلق السيئ الشديد. ومنها أنه ينفع من الحمى الربيع الطويلة إذا شُرب منه في كل يوم الشيء اليسير الخفيف مقدار خمسة دراهم بالماء، وهو مع ذلك يسهّل سلوك الماء ويُنفذه إلى الأعضاء التي قد جفّت من الحمى، ويرطبها إذا كُسر بالماء، تكون واحدة شراباً وخمسة ماءً، "فإنه" ينفع صاحب حمى يومين الحادثة من الأرق والسهر، يرطبه ويصيره إلى النوم، وكذلك الحمى المتولدة من الحر والغضب لأنه يصير إلى الرضى والسرور، وينفع من الغثيان الدائم إذا شُرب بالماء الحار وألقي فيه شيء من الخل الخمر، لأنه إن كان من مرار أحدره إلى أسفل، وإن كان من بلغم أثاره إلى فوق، وأصحاب الوسواس السوداوية إذا سَقُوا منه وأسمعوا الألحان والملاهي، ويكون ممزوجاً، فإن ذلك يرطب من ييس أدمغتهم ويسكّن من كثرة كلامهم وينومهم. ومنها أنه يثير الرارة الغريزية وينبهاها حتى تدور في البدن، ومنها أنه يشدّد القوى

انفسانية التي بها تقوى الحواس والأعضاء، وتحدث النشاط، وجملة الأمر في الشراب، أنه إذا شرب على هدوءٍ وسكون ومع من يُحب أن يشرب معه وبمقدار كان الدواء أقرب منه إلى الداء.

وأما أبو بكر محمد بن زكريا الرازي فإنه قال: منافع الشراب المتخذ من العنب كثيرة، منها أنه يمد الحرارة الغريزية وينميها وينشرها ي جميع أقطار البدن بأوفق وأنفذ وأسرع وأصلح من جميع ما يعرف من الأغذية، ومنها أنه يدفع ضرر السموم التي حاصتها تجميد الدم وإطفاء الحرارة الغريزية كنهش الأفاعي ولدغ العقارب وأكل الأفيون وما أشبه ذلك، فهو كأنه مادة متهيئة موافقة لإنماء الحرارة الغريزية التي بها قوام الحيوان وله مع ذلك ما ليس لشيءٍ من الأغذية من طرد الفكر الباطنة وبسط النفس وانسراحها حتى أنه من أعظم علاج للماليخوليا إذا استعمل ما ينبغي، وهو سبب لجلب النوم وجودة الهضم وتوليد الدم الغريزي وإخصابه البدن وتحسينه اللون ورفع اليبس والذبول والهرم، ومع ذلك يفتح السُدود والمجاري وينفذ الفضول حتى يبرز من البدن بسهولة النجو والبول والعرق، ويقوي المعدة ويسخنها ويسخن الكبد ويمنع من عظم الطحال ويلطفه ويدفع المرار الأصفر في البول ويكسر عادية ما تبقى منه في البطن والكبد وحتى لا تكون له حدة ولا رداءة مفرطة، وذلك إذا أكثر مزاجه وأغب شربه، وأعظم منافعه في شرب القدر من غير إفراط فيه، فإن الإسراف منه يضر بالدماغ والعصب ويوقع السكتة والفالج والرعدة وربما وقع في الهذيان والوسواس، وإدمانه ربما أحمى الكبد وللد فيها الورم وأورث الحميات الحادة والصُداع والرمد والخراجات والأورام والشوصة ونحو ذلك من الأمراض التي تحدث من حدة الدم أو كثرتة، وذلك أن الشراب بالجملة يزيد في الدم وحدته لا سيما إذا كان المزاج متهيئاً لذلك؛ ويحتاج إلى الشراب ضرورة من إذا لم يشربه أبطأ هضمه وتجشأ جُشاءً حامضاً وقلت شهوته للغذاء، ومن إذا شرب الماء ثقل عليه بدنه وثقل الطعام في معدته وكثر النفخ والقراقير في بطنه، فمثل هذا متى أمسك عن الشراب وقع في الأمراض الباردة. وأحوج الناس إلى استعمال الشراب الشيوخ، وذلك أن أبدانهم تبرد وتجنف، فالشراب يسخنها ويرطبها، ونومهم قليل، فالشراب ينعشهم ويذهب الحكمة التي تعتري الشيوخ في أجسادهم بتوسيعه مسامهم وترقيقه لجلودهم ويجود هضمهم ويُمسك الهرم أن يسرع إليهم ويدفع عنهم التزلة والبحوحة والزكان والسعال الذي لا يزال يعتر بهم، وينشطهم ويبسط من أنفسهم وهم بالجملة أحوج الناس إليه وأكثرهم سلامة عليه، ويتلوهم في الحاجة إلى الشراب الكهول. فأما الشباب فأقل حاجة إلى الشراب لا سيما من كان منهم حار المزاج ملتهاً فإنه يزيد في سخونة بدنه ويحمي كبده ويسقط قوته، والماء أوفق لهؤلاء من الشراب.

وأما الصبيان فليس يحتاجون إليه وخاصةً من كان منهم حسن اللحم سريع النمو وقد يحتاج إليه منهم من كان بضدّ ما وصفنا فيسقي المائي القليل السّورة. فأما الحاجة إلى الشراب بحسب الأزمان فإنه ينبغي أن يكون شرب الشراب في آخر الربيع والصيف كلّه على أقل ما يمكن وليختر رقيقه وليكثر مزاجه في صميم الحرارة وشدّة الصيف وليتنقل عليه الفواكه الحامضة ويستعمل السكنجبين الساذج الحامض بعد الإفافة منه، وينبغي إلا يسكر في هذا الزمان فإن ذلك مخوفٌ جالبٌ للأمراض الحارة، وبقدر كثرة شربه في الصيف والتعرض للشمس يقع في الحمّيات، فإذا جاء الخريف فينبغي أن يستعمل العتيق منه ممزوجاً، ويختار من الحديث أرقه، فإذا جاء الشتاء فليكن الشراب أقوى ويُستعمل صرفاً ويكون أكثر مقداراً وأطول زماناً مما يستعمل في أكثر الأزمان، فإن الأبدان تحتل منه في ذلك الزمان ما لا تحتل في غيره، وليس للخمار فيه سورة عظيمة، بل كثيراً ما ينتفع به لأن الخمار في الشتاء دواءٌ وفي الصيف داءٌ، والبدن النحيف أحوج الأبدان إليه إذا أكثروا المزاج ويجتنبون القويّ والصرف من الشراب، وينبغي أن يُجتنب الشراب بعد الخروج من الحمام وبعد التعب بساعتين وأكثر، وبعقب كثرة الجماع وطول السهر وإفراط الإسهال، فإن احتاج إليه فليكن القليل منه ولا يبلغ السكر، ويستعمل بعقب الإمتلاء من العسل والرطب أو غذاءً حادّ حريّف يُسرّع النفوذ إلى الكبد، وأوفق أحواله إذا كان البدن ساكناً هادئاً في حركاته الجسدانية وهومومه النفسانية، وفي حال نشاط النفس وانسراحها وتشوقها إليه، وينبغي أن يشرب المحرورون والشباب في الأزمنة الحارة على الأطعمة الباردة الحامضة كالتّي تتخذ من ماء الحصرم وماء الرمان والكباجة ونحوها، مع لدونة ودسم، وأما في الشتاء للمبرودين، فالأغذية التي فيها أدنى حرارة كالغمومة الكثيرة البصل، والمطحنات بالزيت والمرّي ونحوه، "و" لا ينبغي أن يشرب على طعام عدم الدّسم، كمن يقتصر على الخبز والزيتون والكوامخ والسمك المالح ونحوها فإن ذلك رديء يودع العروق أخلاطاً مفسدة وأضر ما يكون هذا بأصحاب الأبدان النحيّة، وأنفع التّقل للمحرورين السفرجل والتفاح المزّ، وإن كان حار الكبد فالرّمان الحامض وحُماض الأترج، وأما أصحاب الأبدان المعتدلة الخصيبة فالرمان الحلو والسكر الطبرزد باللوز المقشر، وأما الشيوخ والمبرودون فالفسق والصنوبر وبذر الكتان والسّمسم المقلو وما أشبه ذلك.

والجماع على الشراب مؤذٍ في أكثر الأحوال، وأعظم ضرره أن يعتره النقرس وأوجاع المفاصل والظهر والكلّى. ومن كان ضعيف العصب جلب عليه التشنج، وقد ضرره بقدر بقاء إنزاله وإجهاده نفه. وهو أقل ضرراً بالقويّ العصب، الصلب اللحم إذا لم يكن إنزاله بجرعةٍ شديدةٍ أو طويلة، ولم ولم يكن في نهاية السكر، والبطن يتخضخض بما فيه، والجماع في تناول شيءٍ من الشراب وخفةٍ من البطن ليس بضائر،

وأما الزبيب فطبعه الحرارة واليبوسة لأن الزمان قد أفنى أكثر رطوبته ولم يترك منها إلا الشيء القليل وفيه عشر منافع تغذو البدن غذاءً أجود من غذاء سائر الأشياء الحلوة ويقوي المعدة ويشدها وينشف الرطوبات من المعدة، المنحدرة إليها من الرأس، ويمنع من سرعة الشيب ومن اجتماع البلغم في موضع من البدن وإذا أكل بحبه أسمن البدن وإذا أكل بغير حبه عدل الطبيعة وأصلح مزاج البدن لأنه يحدث الرطوبات المفرطة فيه ويحمي البرودة الزائدة التي فيه، والمدمن عليه لا تناله الأمراض بسرعة بل تندفع أبداً عنه وهو يعدل في الأغذية الدوائية والأدوية الغذائية، وهو أوفق من العسل في كثير من المعجونات إذا أخرج حبه، والشراب الذي يتخذ منه فيه منافع كثيرة، وأما العنب فهو على الجملة خير من الفاكهة كلها، لا مضرة فيه ولا أذى إذا بلغ في شجرة وهو يغذي البدن غذاءً محموداً ويزيد في لحمه وشحمه لا سيما ما كان منه صادق الحلاوة يعدل الطبيعة ويبيض اللون ويورده ويزيد في المتى ويُنهض إلى الجماع بقوة، ويزيد في شحوم النساء ولحومهن وينعم أبدانهم ويصفىها من الأدران ويذهب النمش والكلف من وجوههن، وإن أكلته الحوامل وأدمن عليه خرج الولد في نهاية ما يكون من السمن والبياض، ويكون قليل الأمراض قليل البكاء قليل الجدري والحصباء ويحفظ الصحة على الأصحاء. وهو غذاءٌ موافق للناس كلهم ومن أدمن على أكله قام له مقام الخبز واللحم وهو أجود كل غذاء يخرج من الشجر لأنه وحده الراكب والشجر بين يديه يمشون رجاله حفاةً كعلو الإنسان على سائر الحيوان، وليست على الجملة، فيه مضرة إلا أن خرج من الإكثار منه عن الحد.

قد أثبت لك أعزك الله من قول الفلاسفة والحكماء بعض ما شرطته لك في أول هذا الكتاب وقصد الصواب إن شاء الله تعالى.

ذكر ما جاء في مبادرة اللذات

بأول من فتح هذا الباب امرئ القيس فقال:

من النشوات والنساء الحسان

تمتع من الدنيا فإنكفان

وأبو داود الإيادي فإنه قال:

فإذا مضت فكأنها أحلامٌ

تأتي الأمور وأنت منتبئة لها

وقال الطرماح:

ضلة مثل حديث المنام

إنما ذكرك ما قد تقضى

وقال إبراهيم بن العباس الصولي:

حيث تَمَّت تناهت

إنما المرء صرة

أنا مذ كنت في التصرف لي مثل ساعتني

وقال أحمد بن علي الماذرائي:

واعصِ من لامك فيها أو عدلْ

عاقِرِ الراح ودع نعتِ الطلّلْ

وإذا قيل تصابى، قل: أجلْ

غادِها، واغن بها واسع لها

أنت فيها وسوى ذاك أملْ

إنما دنياك، فاعلم، ساعةٌ

يزيد بن معاوية:

وداعي صبابات الهوى يترنمُ

أقول لصحبِ ضمّتِ الكأسِ شملهم

فكلُّ وإن طال المدى يتصرمُ

خذوا بنصيبٍ من نعيمٍ ولذةٍ

صروف الليلي والحوادث نُومُ

ألا إن أحلى العيش ما سمحت به

ابن المعتز:

وما لحياة بعدها ميتةٌ، طولُ

ألا عللاني إنما العيش تعليلُ

فليس لتعويق الحوادث تمهيلُ

خذا لذةً من ساعةٍ مستفادةٍ

فإني عنها بعد ذلك مشغولُ

دعائي والدنيا أنل من نعيمها

وأنشد المبرد للرياشي:

تنفي همومك والفكر

بأدر صبوحك بالتي

ودع الذي فيه الكدر

خذ من زمانك ما صفا

فالوقت يقصر عن معانبة الخليل على الغيرُ

عبد الله بن الحسين القطرُبلي:

ما ذاك الشيانِ

دنياك شيطان فانظر

وما بقي فأمانِي

ما فات منها فحلْمُ

عبد السلام بن رغبان "ديك الجن":

فإنك في أيدي الحوادث عانِ

تمتّع من الدنيا إذا هي ساعدت

فمن لك منها في غدٍ بأمانِ

ولا تنتظر باللهو يوماً إلى غدٍ

فإني رأيتُ الدهر يُسرع بالفتى

فأما الذي يَمْضي فأحلام نائمٍ

أبو العتاهية:

وينقله؛ حالان مختلفان

وأما الذي يبقى له فأمانى

والمنايا ماثلات بالأمل

وارضَ بالرزق وإن رزقك قلّ

حل فيه راكبٌ، ثم رحلُ

كلنا يأملُ مدًّا في الأجل

ما صفا عيشك فاستمتع به

إنما الدنيا كظلٍّ زائلٍ

المُهَلِّي:

طلّعتُ عليك نجومُهُ بالأسعد

رقدَ المُحب "و" عينُهُ لم ترقُدِ

ويكفُ عاديةَ الزمان المعتدي

يختال بين مُمسكٍ ومُوردٍ

إن لم تبادر وقته، لو يوجدِ

بكرٌ على غيمٍ أذاك مُجدِّدٍ

وبعقبَ ليلٍ ثرّةٍ أخلافه

يومٌ يردُّ على الفتى أطرابهُ

لبسَ السحائبَ جوّه وكأنه

إن السرور قصيرة أَيْامُهُ

وأنشد النوبختي:

ما يُسعدُ الصبَّ في مآربه

ينسجها الغيمُ من سحائبه

بواكبِ القطرِ أو بساكبه

مخافة اللومِ من معائبه

مُقبلُهُ سرعةً كذاهبه

قد ظهر اليومُ من عجائبه

وأصبح الجوُّ في مُسكةٍ

والغيمُ منهلةٌ مدامعه

يبكي على لثومٍ من يضيعة

فبادر العيشَ إنه خلسٌ

ابن المعتز بالله:

فتمضي إلى الداعي وهنَّ رواءُ

سراعٍ وأيامِ الهمومِ بطاءُ

فإن عنانَ الحادثاتِ عناءُ

وأنشد يعقوب بن الربيع: أظللُكَ شهر الصوم فاطلب مساعداً=على الراح فيه وانتهاك المحارم

وأنت سليم فيه أو غير سالم

تعالوا فشقوا أنفساً قبل موتها

نبادر أيامَ السرور فإنها

وخل عنانَ الحادثاتِ لوجهها

فإنك لا تدري أتدرك فطره

فاتصل هذا الشعر بأخيه الفضل، فكتب إليه يعاتبه على ذلك ويقول: أخشى أن يتصل هذا بأمر المؤمنين مع تناقلك عن خدمته فيعاقبك، فكتب إليه:

إذ كان عندي قوت يوم وليلة
من الراح تنفي الهمَّ عني إذا اكتنع
فلست تراني إنس سائلاً عن خليفة
ولا عن وزير للخليفة ما صنع
وأنشده لعلي بن بسام:

واصل خليلك إنما الدنيا مواصلة الخليل
وانعم ولا تتعجل المكروه من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدري متى وقت الرحيل
وارفض ملامة لائم
إن الملام من الفضول
أبو العتاهية:

اقنع النفس بالكفاف وإلا
طلبت منك فوق ما يكفيها
ليس فيما مضى ولا في
الذي لم يأت من لذة لمستحليها
إنما أنت، طول عمرك،
ما عمّرت، في الساعة التي أنت فيها
ومثله قول عمران بن حطان:

يأسف المرء على ما فاته
من لباتات إذا لم يقضها
وتراه فرحاً مستبشراً
بالتى أمضى كأن لم يمضها
إنها عندي كأحلام الكرى
لقريب، بعضها من بعضها
وأنشده أحمد بن أبي طاهر:

مضى أمس بما فيه
ويومي أنا راجيه
ولي في غد الجائي
خطب سألأقيه
فإمّا هو يمضي
وإمّا أنا أمضيه
ومحمد بن يحيى الصولي:

عاقِر عُقارك واصطبح
واقده سرورك بالقدح
واخلع عذارك في الهوى
وأرح عدولك واسترح

وافرح بيومك إنما عمر الفتى يوم الفرح
وأشدد العلاءُ بن برد:

إن كنت تعلم حين تصبح سالماً
فاركب هواك بما اشتهيت فإنه
يزيد المهلي:

احمدوا الله وحثوا كأسكم
أعجزُ الناسِ مضيعُ يومه
أعرابي:

بادرِ إلى اللذات يوماً ما أمكنت
بركوبهنَّ بواذر الآفاتِ

كم من مضيعٍ لذةً قد أمكنت
حتى إذا فاتت وفات طلابها
ابن المعتز:

ألا فاسقياني قبل أغيرَ مظلمٍ
رأيت الفتى إن مات يورث ماله
ذران أنعم في الحياة معيشتي
محمد بن أمية:

أما ترى اليوم قد رقت حواشيه
وجاد بالقطر حتى خلت أن له
فبادرِ اللهو واغنم طيبَ ساعته
وقال آخر:

اعصِ من لامك في الشربِ تعش عيشاً لذيذاً
ليس من عمرك يومٌ
وقال آخر:

لم تذق فيه نبيدا

ومن عَرَفَ الأيامَ لم يَغتررَ بها
بحمراءَ قبلَ المزجِ، صفراءَ بعده
حكمتَ وجنةَ المعشوقِ صرفاً فسَلَطُوا
عبد الوهاب:

وبأكرَ باللذاتِ قبلَ العوائقِ
أنتَ بينَ ثوبي نرجسٍ وشقائقِ
عليها شعاعاً فاكتستِ لونَ عاشقِ

كن عن العَدْلِ ذا صَمَمٍ
واقطعِ الدهرَ بالسرو
فألذي تتقي وترجوه قد خطَّهُ القلمُ
وانف عن نفسك الندمِ
ر على رغم من رغم

نكر ما جاء في المنادمة

قالوا: اشتقاقُ النديمِ من التَّدَمِ لأنه يُندَمُ على فراقه، وقد فخر امرؤ القيس مع شرفه ومملكه فقال:

ونادمت "قيصر" في ملكه
وقالت الحرنق بنت بدر التغلبية ترثي بشر بن عمرو زوجها وبنيتها، وكانت العرب لا ترثي إلا بأفضل الأشياءِ وأرفعها:

فأوجهني وركبت البريدا

فكم بعلاء من أوصالِ خرقِ
ندامي للملوك إذا لقوهم
أخي ثقةٍ وجمجمةٍ فليق
حُبوا وسقوا بكاساتِ الرحيقِ

وقالوا: لسان الملك كاتبه، ووجهه حاجبه، وجليسه كَلِّه، وقالوا: إذا وليت عملاً فانظر من كاتبك، فإنما يعلم مقدارك من بعد عنك بكاتبك، وأنظر حاجبك، فإنما يقضي عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك، واستكرم نديمك وجليستك، فإنما يزنك الداخل عليك بمثقال من يراه معك، وقال رسول الله "ص": المرء على دين خليله فلينظر أحدٌ من يخالل. وقال طرفة:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرينٍ بالمقارنِ مقتدي

وفاجر كاتبٌ نديماً، فقال الكاتب: أنا معونة وأنت مئونة، وأنا للجد وأنت للهزل، وأنا للشدة وأنت للذة، وأنا للحرب وأنت للسلم، فقال النديم: أنا للنعمة وأنت للخدمة، وأنا للحضرة وأنت للمهنة، تقوم وأنا جالس، وتحتشم وأنا مؤانس، تدأب لراحتي وتشقى لما فيه سعادتني، وأنا شريك وأنت مُعين، كما أنك تابع وأنا قرين. وقال بعضهم في فضل النديم:

أرى للكأس حقاً لا أراه
هو القطب الذي دارت عليه
لغير الكأس إلا للنديم
رحى اللذات في الزمن القديم
ولم تفتتح أبيات في مدح نديمٍ بأحسن مما ابتدأ به أبو مسهرٍ الطائي:

وندمان يزيد الكأس طيباً
رفعت برأسه وكشفت عنه
سقيتُ وقد تغورتِ النجومُ
بمعرفة ملامة من يلومُ
فلما أن تنشأ قام خرق
إلى وجناء ناجية فكاست
وهي العرقوب منها والصميم
بإبريقين كأسهما رُدوم
فأشبع شربه وجرى عليهم
تراها في الإناء لها حمياً
كُميتاً مثل ما فقع الأديمُ
وليس بجانبه أحدٌ كلوم
فبتنا بين ذلك وبين مسكٍ
فيا عجباً لعيشٍ لو يدوم
نطوف ما نطوف ثم ياوي
ذو الإكثار منا والعدمُ
إلى حفرٍ أسافلهن جوفٌ
وأعلاهن صفاحٌ مُقيمُ

معنى قوله: فنشرب ما شربنا، البيت، وصفهم بطهارة الأخلاق وأنه لا يخرج أحدٌ منهم إلى أن يطلق يده، ولا لسانه على جليسه، وهذا حسن وأمدح من قول حسان:

نوليها الملامة إن ألمنا
وللعطوي أشعار كثيرة في الندام كلها مختارة، فمنها قوله:

يقولون قبل الدار جارٌ موافق
فقلت وندمان الفتى قبل كأسه
وإذا ما كان مغث أو لحاءٍ
وقبل الطريق النهج أنسُ رقيقٍ
فما حثَّ كأس المرءٍ مثل صديقٍ

وقال أيضاً:

ما حثَّ كأسك كالصديق الوامق
الكأسُ والندمان أحسن منظراً
ونفى همومك كالشراب العاتقش
من كل ملتف الحقائق رائقٍ
فإذا جمعت صفاءها وصفاءه

ومثله قول الآخر:

ورضيع راضعت في كبر السنّ

أخاً لديّ مطاعاً

لم يكن بيننا رضاعٌ ولكن

صيرت بيننا الكئوسِ رضاعاً

قالوا: وليس أحد من أصحاب الملوك ولا من خلطائهم هو أولى باجتماع محاسن الأخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب التنف من النديم، حتى إنه يحتاج أن تكون فيه أشياء متضادة، فيكون فيه مع شرف الملوك تواضع العبيد، ومع عفاف النسك، مجون الفتى، ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر إليها في حال لا يحسن أن يُخلّ بها، ووقت لا يسعه العدول فيه عنها، وإلى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذي ينادمه على حسب ما يتلوه من خلائقه، ويعلم من معاني لحظه وإشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته فيسبقه إلى إرادته ويبدّره إلى شهوته كما قال بعض الكتاب:

ونديم حلو الحديث يجاريك

بما تشتهيهِ في ميدانك

ألمعي كأن قلبك في

أضلاعه أو كلامه بلسانك

وكما قيل: إن غلاماً كان يحضر مجلس الواثق، قائماً برسم نديم، وكان صغير السنّ، فلم يكن لهذه العلة، يُلحقه في الجلوس بمراتب الشيوخ والأكابر، وكان مع ذلك قد أُذن له في المفاوضة معهم في كل ما يخوضون فيه، والتكلم بما اعتلج في صدره، من مثل سائر، أو بيت نادر، وحديث ممتع وجواب مُسرّع، فقال الواثق: وكان من شدة الشهوة للطعام على الحال المشهورة، ما تختارون في النقل؟ فبعض قالوا: نبات، وقال بعض: رمان، وقال بعض: تفاح، وقال بعض: قصب سكر في ماء ورد، وبعض تناقص فقال: ملح يعطى تحففاً بمذاهب النبيذيين، فقال: ما صنعتم شيئاً، فما تقول أنت يا غلام، فقال: خشكناك مُتّبر، فوافق بذلك إرادته وأصاب به ما كان في نفسه، فقال له: أصبت وأحسنت، اجلس بارك الله عليك، فكان ذلك أول جلوسه. وكما فعل بعض ندماء بشر بن مروان بحسن قريحته ولطف حيلته، وكان عبد الملك بن مروان ولّى بشراً الكوفة ووجّه معه روح بن زبناح الجذامي وقال له: يا بنيّ، روح عمك، فلا تقطع أمراً دونه لصدقه وعفافه ومحبته لنا أهل البيت، وقال لروح أخرج مع ابن أخيك فخرج معه حتى قدم الكوفة، وكان بشرٌ أديباً ظريفاً أريباً يحب الشعر والسمر والسّماع والنّدام، فراقب روحاً، واحتشم منه وقال لندمانه: أخاف أن يكتب هذا إلى أبي بأخبارنا فيقبل منه، وإني لأحب من الأنس والاجتماع ما يجبه الشباب، ولكني أحتب ذلك لمكانه، فضمن له بعض ندمائه أن يكفيه أمره، ويردّه إلى عبد الملك، من غير سخط ولا لائمة، فسراً بذلك ووعدته المكافأة عليه بأعظم الجباء، وكان روحٌ غيوراً، إذا خرج من منزله أفضله ثم ختمه بخاتمه حتى يعود إليه فيفضّه بيده، فأخذ الفتى دواةً وقلماً ثم

أتى باب روحٍ ممسياً فقعد بالقرب منه مستخفياً، وخرج روحٌ للصلاة، فتوصل الفتى إلى أن دخل الدهليز وكمَنَ تحت درجةٍ فيه، وعاد روحٌ ففتح الباب ثم أغلقه على نفسه ودخل، فعمد الفتى إلى الحائط فكتب في أقرب المواضع من ممرِّ روح:

يا روح من لُبْنَيَاتٍ وَأرْمَلَةٍ
إِذَا نَعَاكَ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ النَّاعِي
إِنْ ابْنَ مِرْوَانَ قَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ
فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ يَا رُوحَ بَنِ زَنْبَاعٍ
وَلَا يَغْرُكَ أَمْرٌ قَدْ ظَفَرْتَ بِهِ
وَاسْمِعْ هُدَيْتَ مَقَالَ النَّاصِحِ الدَّاعِي

ثم رجع إلى مكانه من الدهليز فبات به، فلما أصبح روحٌ خرج في الغلس للصلاة ومعه غلماناه فاختلفت الفتى في جملتهم، فلما عاد روح وأسفر الصبح تأمل الكتاب وقرأه فراعاه وأنكره، وقال: ما هذا، والله ما يدخل حجرتي إنسيّ سواي، ولاحظ لي بالمقام بالعراق، ثم نهض من ساعته فدخل على بشر فقال له: يا ابن أخي وصّني بما أحببت من حجةٍ أو سببٍ عند أمير المؤمنين فقال: ولم يا عم، هل سمعت شيئاً كرهته، أو رأيت أمراً أنكرته فلم يسعك المقام معه، فقال: لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيراً، ولكن، أمرٌ حدث لا بدّ من الشخوص له، فأقسم عليه أن يخبره، فقال: إن أمير المؤمنين قد مات، أو هو ميتٌ إلى أيام، فقال له بشر: ومن أين علمت ذلك؟ فأخبره بخبر الكتاب، وقال: ليس يدخل أحدٌ حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة فمن كتب ذلك إلا الجنّ أو الملائكة، فقال له بشر: أقم، فأرجو ألا يكون لهذا حقيقة، فلم يثنه ذلك عن الخروج، فسار إلى الشام، وأقبل بشرٌ على الشراب واللهو والطرب، فلما وافى روحٌ عبد الملك أنكر أمره، قال: ما أقدمك، الحادثة حدثت على بشر، أم لأمر كرهته، فشكر حسن سيرته، ووصف سلامته في نفسه، وقال: بل جئتُ لأمرٍ لا يمكنني ذكره حتى تخلو، فقال عبد الملك لمن حضر: إذا شئتم، وخلا بروحٍ فأخبره بقصته، وأنشده الأبيات، فضحك عبد الملك حتى استغرب، وقال: ثقلت على بشرٍ وأصحابه حتى احتالوا لك ما رأيت فلا تُرَعِ لذلك، ووفى بشر لنديمه بما وعده وأجزل جائزته.

وكان محمد بن يزيد المبرّد يقول: لم أرَ في أهل زماننا من الرؤساء وأصحاب السلطان أشدَّ رغبةً في الأدب ولا في مواظبةٍ عليه ومحبةٍ له من محمد بن عبد الله بن طاهر والفتح بن خاقان، فأما الفتح فبلغ من شهوته للأدب أنه كان يذهب من مجلس المتوكل إلى علماء المذهب فيغتم زمان تلك الخلوة اليسيرة فلا يقطع مسيره بادئاً ولا راجعاً إلا بالنظر في كتاب، فعلمت أنه لم يكن لينال تلك المترلة في الندام إلا بهذه القريجة، وأما العبث والمزاح، فله من المنادم موقع لطيف وموضع خصيص إذا تبين النديم منه نشاطاً

لذلك.

وقال قائل للمأمون: أياذن أمير المؤمنين في المداعبة، فقال: وهل العيش إلا فيها.
واجتمع على مائدة أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين، فأخذ أبو عيسى ورقة من الهندباء فغمسها
في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة، فغضب طاهر وقال: يا أمير المؤمنين، إحدى عيني ذاهبة
والأخرى على يدي عدل، ويُفعلُ في هذا بين يديك، فقال: يا أبا الطيب: إنه والله ليعبث معي أكثر من
هذا العبث فاضحك له.

وروي عن إسحق الموصلي أنه قال: مكثت أيام الرشيد أغدو إلى هشام وو كيع فأسمع منهما وآتي إلى
عاتكة بنت شهدة فتطارحني صوتين، ثم إلى زلزل فيلقي عليّ من الضروب طريقتين، ثم أوجه إلى
الأصمعي وأبي عبدة فلا يزالان عندي إلى الظهر، ثم أروح إلى أمير المؤمنين.
وقال إبراهيم بن المدير لحمد بن يزيد المرّد: أحبُّ أن تنظر لي جليساً يجتمع مع إيناسي ومنادمتي، فناديت
ولدي فبعث إليه علي بن سليمان النحوي، وكتب إليه معه هذا: أنفذت إليك أعزك الله فلاناً وجملة أمره
كما قال الشاعر:

إذا زرت الملوك فإنّ حسبي شفيحاً عندهم أن يخبروني

ومما يزيد الندم في الحل تقدماً، وعند نفسه تمكناً أن يكون عالماً.

وقيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ، قال: على قدر الندم، وقالوا: من شرط المنادمة قلة الخلاف،
والمعاملة بالإنصاف، وترك الجواب، والمسامحة في الشراب، وإسقاط التحيّات واجتتاب اقتراح الأصوات
وإدمان الرضى واطراح ما مضى وإحضار ما تيسر، وأكل ما حضر وستر العيب وحفظ الغيب. ومن
صفات الندامي قول أبي عبد الرحمن العطوي:

أخطب لكاسك ندماناً تسرُّ به أو لا فنادم عليها حكمة الكتب

أخطبه حراً كريماً ذا محافظة يرى ندامكها من أقرب النسب

فإن لم يكن حلبَ الأيام أشطرها وقومته وراضته يد الأدب

فقد ملأت به كفيك من رجل يرعى ذمامك رعي الواصل الحدب

وقال أيضاً:

جدّداً مجلساً لعهد الشباب واسقياني على الهوى والتصابي

في كهول إذا استدرت حمياً الكأس لم ينطقوا بغير الصواب

نظروا في الكلام والنحو والشعر
وإذا ما هفا النديم أقالوه

وقال آخر:

فهم حجة على الألباب
وردوا الأحلام دون الوثاب

وما خير ندمانٍ صموتٍ كأنما
إذا ما نفوس القوم طابت فنفسه

وقال آخر:

يدور عليه الكأس وهو كئيبُ
أبت، لا تراها عند ذلك تطيبُ

لا تشرب الراح إلا مع أخي ثقةٍ
تزيده الكأسحلماً، والغنا طرباً
فاشدد يدك عليه، إن ظفرت به

وقال ابن المعتز:

إن سيل أعطى، وإن غنّيته طرباً
والسكرُ تقوى، وما سقيته شرباً
واكثر مودته، لا تكثر الذهباً

وما أنا للندمان في الشرب مكرهاً
وإن ردّ فضلاً في الإناء شربته
أُفديه أحياناً بنفسي ووالدي
وإن نام لم يوقظ، وإن قام لم يُرع
أرى ذلك حقاً للنديم، وإنني

وقال آخر:

على الكأس، يأبا "ها"، ولا قائلًا هُجراً
ولم أسقه كرهاً لأصرعه سكرًا
وأجعل ما يهوى لما رابه ستراً
وإن قال لي: يا صاح، لبيتته عشراً
لأحفظه سرّاً، وأحفظه جهراً

وبالشام فاطلبنى إذا ما فقدتني
وفتيان صدقٍ لا ضغائن بينهم
إذا جلسوا، جاؤوا بكلّ غريبةٍ

وقال أبو عبد الرحمن العطوي:

وداؤِ همومي بالتي تطرد الهما
إذا شربوا زادهم شربها حلما
فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

حقوق الكأسِ والندمان خمس
وثانيها مسامحةُ الندامى
وثالثها، ولو كنت ابن خيرٍ
ورابعها وللندمان حقٌّ

فأولها التزيّن بالوقارِ
فكم حمت السماحةُ من ذمارِ
البرية محتدّاً، تركُ الفخارِ
سوى حقِّ القرابة والجوارِ

إذا حدثته، فاكسُ الحديث الذي
فما حُتَّ النبيذُ بمثل حسن
وخامسةٌ يذُلُّ بها أخوها
حديثُ الأُمسِ ننساهُ جميعاً
ألم تر أن شربَ الراحِ صرفاً
يرد الشيخ ذا الستين غِراً
فمن حكمت كأسك فيه فاحكم

وقال آخر:

يصغي له، ثوبَ اختصارِ
الأغاني والأحاديثِ القصارِ
على كرم الخليفةِ والنَّجارِ
فإن الذنب فيه للعقارِ
ومزجاً بالصغارِ وبالكبارِ
غلاماً، ما يُفِيق من الخُمارِ
له بإقالة عند العثارِ

لعهدي بالنبيذِ وشاربيه
وحيّاً بعضهم بعضاً عليه
فما بال النبيذِ أحال عهدي
أم الندماء قد رذّلوا فليسوا

وقال العطوي:

إذا شربوا زادهم سكونا
ولم يُلَفوا عليه مُعربدينا
وأورث من يعاقره جنونا
كما كان الندامى الأولونا

طيب النديم يفوق طيبَ الرَّاحِ
تصفوا الزجاجة بالنديم إذا صفا

وفي مرأضة الكأس يقول بعضهم، وقيل إنه لابن الزيات:

اذكر أبا جعفرٍ حقاً أمتُّ به
وأنا ضد رضعنا الكأس درتَّها

وقال آخر:

ويحثُّ شاربها على الأقداحِ
ويكدرُّ الندمان صفو الراحِ
إني وإياك مشغوفان بالأدبِ
والكأس درتَّها أولى من النسبِ

ونديمٍ نادمتُ في كِبَرِ السِّنِّ
لم يكن بيننا رضاع ولكن

وقال آخر:

فأضحى "فيه" أماً لي مُطاعاً
ولدت بيننا المُدامُ رضاعاً

ألم تعلمي يا سلم أني موكلٌ
وإني لم أبسط لساني ولا يدي

وقال آخر:

بما سرَّ ندماني في العُسرِ واليُسْرِ
لوجه نديمي حين خالطني سُكري

وندامى تفردوا بالرحيق
واصلوا من صبحها بالغبوق
كلما دارت الكئوس عليهم
ملكوا للعلوم كلَّ طريق
وتعاطوا على المُدام حديثاً
مونقَ النصِّ مُحكمَ التتميقِ
سبقوا كل سابقٍ للمعالي
واستبدوا بكل فهمٍ دقيق

فهم بين لذة كجنى اللثم
وشعرٍ كلذة التعنيقِ

وقال آخر:

ولي أملٌ بعيدٌ ليس أنثني
على شيءٍ سواه وهو سُولي
أخٌ يلقي نحفظه إذا ما
خلت بشمائلِي شيمَ الشمولِ

فأما هيبة نديم السلطان فإنه يلزمه أن يحضر في الزى الذي يُعرف به من غير أن يتفضل أو يشتهر، فإن شاء الرئيس أن يغيّر زيّه بشيءٍ من ثيابه حسن أن يلبس ذلك في وقته حتى ينقضي المجلس ولم يحسن أن يظهر به في مجلسٍ ثانٍ لأنه شيءٌ اختاره الرئيس في شاعةٍ طريبه وتبذله لا في كلِّ أوقاته. وأما العمامة والخفّ فلا يُخلُّ بهما، وإنما الغرض في ذلك إجلال السلطان عن مشاركته فيما اتسع له من التبذل، وتخيُّر الزيّ الذي لا يثقل عليه، والانفراد به عمّن هو دونه، وهذا إنما سلك به مسلك الأعاجم، وكانوا قد رسموا لكل طبقةٍ من طبقات أهل مملكتهم برسمٍ من الزيّ لتمييزوا، ولا يتشبهه سوقةٌ بملكٍ ولا دينيٌّ بشريفٍ ولا تابعٌ برئيس. ومما يأخذ به نفسه الإسراع في الخطو إذا كان يراه الرئيس، ولهذا، وما أشبهه صار ندامُ الرؤساء أنعمَ وأترف، وإن كان ندامُ العظماء أجلاً وأشرف.

وخبرت عن الطبقة العالية من ندامى الخلفاء الماضين أنهم كانوا يجتمعون في منزلٍ أحدهم، فإذا مشى بعضهم في ذلك الموضع مشى مسرعاً وسئل أحدهم عن السبب في ذلك فذكر أنه إنما يفعله في كل موضع، وإن كان لا يلزمه إلا في موضع الخلافه حذراً من أن يخل بالعادة فينساها في موضعها، وهذه رياضةٌ حسنةٌ، ومما يلزمه أيضاً أن يتحفظ منه ويروض نفسه به، أن لا يصبّحه ولا يُمسيه ولا يشتمه ولا يستخيره، وإنما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب. وليس من حق ذي الرياسة والسلطان إذا تبين لنديمه منه لينُ الخلوة "و" وطاء الكتف وخلع ثوب الكبر، أن يستعمل معه من الدالة ما يُنقصه به حقّ الرئاسة ويقدمه في سلطانه.

وقالوا: ينبغي لمن خصَّ بالسلطان أن يكون آنسَ ما يكون به وأوحش ما يكون منه.

وقال عبد الله بن جعفر: من أعظم الحرق الدالة على السلطان والوثبة قبل الإمكان.

وبينما المأمون ينادم إبراهيم بن المهدي، بعد رضاه عنه، وتعمده ما كان منه، تبين منه دالة أذكرته ما تقدم من ذنبه فنهض وأمر بإقراره ومن كان معه على حالتهم، ثم صار إلى مجلس جده وتزيًا بزِّي الخليفة، واستوى على سريره وأذن للجيش في السَّوادِ والأسلحة، ومُدَّ السَّماطان وشهت السيوف، ثم أحضر إبراهيم مغتبقاً مَعسوفاً، فلما مثَّل بين يديه أطرق عنه مَلبياً، ثم رفع طرفه وإبراهيم يُرعد، فقال: يا إبراهيم، من حملك على ما كان، فقال: قد سبق "من" عهد أمير المؤمنين ما لا أخاف عليه التغيير، واعتذر بعذرٍ قبله منه، وردَّه إلى مكانه، وعاد المأمون من وقته إلى مجلس النَّدام. وكان يزيد بن معاوية ينادم الأخطل النصراني. وهجا الأخطل النصرانيُّ الأنصار كثيراً اعتدَّ به على بني أُمية في قوله:

**بني أُمية، قد ناضلتُ دونكمُ
أبناء قوم، همُّ، أووا، وهم نصرُوا**

فأجازته، وكان يُسوي بينه وبينه في أكثر المواضع من مجلسه. وحُكي عن الشريد من كرم المجالسة وحسن البرِّ والمؤانسة ما يجاوز هذا كله وهو أن الفزاري قال: دخلت عليه بالرقعة، ولم يكن معنا ثالث، فتحادثنا ملياً ثم أوماً إلى خادم له فجاء بطبق كبير مغطى بمنديل فوضعه بين يديه فاستخرج من تحت المنديل رطبةً فأكلها ثم استخرج أخرى فأوماً بها نحوي، فقمت وتناولتها وقبَّلتُ يده وأكلتها، ثم رفع المنديل ولم أرَ في الطبق شيئاً، فقال: أهدى لنا من العراق هاتانِ الرُّطبتانِ ولاتَ حينَ الرُّطب، قال: فعلمت أنه أمر بتغطيته لئلا أرى ما فيه فأمتنع من الأكل. وقد رأينا جماعة من جلةِ الرؤساءِ يتبدلون أتباعهم ويمتهنونهم من الخدمة فيما يرفعون عن مثله بعض ممالئهم، فإذا خلوا معهم للعشرة والمنادمة استوت بهم العشرة وأوسعوهم من البرِّ والتكرمة حتى إنهم ربما خدموهم أو أخدموهم فلا يقدح ذلك في رئاستهم ولا يحطُّ من منزلتهم بل يسترقُّ لهم قلوبهم وتخلص به نياتهم. قال الشاعر:

**وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً
وما فيَّ إلا تلك من شيم العبد**

وقال العطوي:

**نبيذان في مجلس واحد
لإيثار مُنرٍ على مُعسرٍ**

**قلو كنت تفعل ذا في الطعا
م لزمتم قياسك في المسكر**

وكان بعض الكرماء يأخذ نفسه بإحضار الدَّنِّ بطنينه وينصبه بحيث يراه إخوانه ومنادموه فتملاً منه الآنية بين أيديهم حتى يتبينوا أن الشراب واحد لا خلط فيه. ومن أكثر الإنصاف في هذا أن يُفرد كل ندمم بآلته

ومزاجه ويُحكمه على نفسه ويُقلده سقيها على حسب طاقته واحتماله إلا أن من كان غير متسع في الآلة والآنية، فما أعجزه وتعذر عليه منها، فإن العدل في السقي يُمكنه ولا يُعجزه، ويستحسن لأبي نواس قوله:

ولست بمستعفٍ من السكر صاحياً إذا كان يهوى أن أصير إلى السكر
ولكنني أسعى إلى السكر واثقاً بما فيه إت أخطأت من سعة الصدر

فأما طلب الحاجة على النبيذ، فقيح بالنديم أن يستميح رئيسه على سكره ويُرى ذلك منه يجري مجرى الخديعة ويدخل في باب الحيلة. وكان بعض الأجواد لا يُعطي على الشراب شيئاً حتى يصحو إشفاقاً أن يقال أن السكر جرّاه على ذلك. فأما إن عدل عن المسألة لنفسه واستماح لغيره فإن ذلك يدخل في باب حسن المحضر، وإذا رفعت الضرورة إلى المسألة فالأحسن في ذلك أن يتوخى له في الأحاديث والمعاريض ما يتدرج السؤال في أثنائه على أطف ما يمكن في ذلك وأقربه من النادرة والفكاهة، كما فعل المفضل الضبي، وقد رأيت المهدي فلم يزل يحدثه ويناشده حتى جرى ذكر حمّاد الراوية، فقال له المهدي: ما فعل عياله؟ من أين يعيشون؟ قال: من ليلةٍ مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد.

ذكر عدد الندامي وكثرتهم وقتلهم

فأما كثرة عدد الشرب وقتلهم فإنهم يسمّون الإثنين منشاراً ويكرهونهما، وكان الثلاثة أتم مجلساً، لأن الإثنين ينهض أحدهما لبعض شأنه فيبقى الآخر واحماً منفرداً، فتعرض له الفكر إذ لم يكن لجليسه من يخلفه في مؤانسته، وليس كذلك أمر الثلاثة، وعندني أن الأربعة أحسن لأن أحد الثلاثة إذا اشتغل الإثنين بحديث لم يعرف الثالث ابتداءه وسببه، احتشم، لا محالة، فمقت نفسه كما قال الشاعر:

خلانٍ لي أمرهما عجبٌ كلاهما لخله حبيبٌ
ما لي من نجواهما نصيبٌ كأنتي بينهما غريبٌ

والأربعة متكافتون وهم أركان المجلس وفيهم "قال" الراجز:

إذا عددت صاحبي ونفسي

فنحن والشربُ معاً كالنفس

وفي الأربعة يقول بعض الكتاب:

ثلاثة منحتهم صفائي

كانهم كواكب الجوزاءِ

فأراد ثلاثة هو رابعهم.

وقال آخر في الشثة:

دعاء يهود مُسْنَتِينَ عَلَى نَهْرٍ
سواء كَأَمْثَالِ الأَثَافِي مِنَ القَدْرِ

إِخَالِكَ تَدْعُونَا إِذَا مَا دَعَوْتَنَا

فَلَا خَيْرَ فِي النَّدَامَانِ إِلاَّ ثَلَاثَةٌ

ولمنصور الفقيه إلى بعض إخوانه في ذكر الخمسة:

مُتَخِيرِينَ وَلَا تَزِدْ
وَفَوَيْقَهُ سَوْقُ الأَحْدُ

ثُمَّ ادْعُ مِنَّا خَمْسَةً

فَدُؤِينَ هَذَا وَحِشَّةً

وقال آخر في وصفه الندامي من وحدٍ إلى سبعة:

من صحبه نكسٍ لئيمٍ أَرَجَسُ
وثلاثةٌ بهم يطيبُ المجلسُ
فيطيبُ مجلسُهُمُ معاً والأَنْفَسُ
في دورهم نفسٌ لمن يَتَنَفَسُ
عطشوا لِحَبْسِ الكاسِ "إِماً تُحْبَسُ"
سنحت لهم دون السعود الأَنْحَسُ
وترى حلومهم بجهلٍ تُخْلَسُ

إِن المَعَاقرِ كَأَسِه مَنفَرِداً

وإثنان يَشْتَدُ النَّدَامُ عليهما

ولقد يَلْذُ حديثُ أَرْبَعَةٍ لَهُمُ

والغاية القسوى أراها، خمسة

فإذا هم كثروا فصاروا ستَّةً

وإذا تجمع سبعة في مجلسٍ

فظللت في سوق المراء معسكراً

وكان رجل من جلة الكتاب إذا أصاب أهل بلده شدة رفع الحواري عن خوانه وأكل الكشكار، ورأى أن يساويهم في أكثر ما يقدرون عليه إذ لم يمكن أن يعمهم، وهذه مكرمة سبق إليها السابق بالخيرات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب "رض" فإنه عام الرّمادة لم يذق لحماً ولا سمناً حتى أحيا الناس، وإنما كان غذاؤه الخبز والزيت حتى وصف لونه بالأدمة من كان يصفه بالبياض. وذمّ رجل رجلاً فقال: أمّا فلان فدعواته ولائم وأقداحه محاجم.

وقال إسحق الموصلي وذكر الندماء: الواحد غمّ، والإثنان همّ، وثلاثة قوام، وأربعة تمام، وخمسة زحام، وسبعة جيش لهم.

وأنشد البريدي: وخير الندامي ستّة من ذوي الحجي فخمسة إخوانٍ وآخر مُسْمَعُ

ومبدي لأسرار الندامي مُضَيِّعُ

ويبقى لديهم جاهلٍ ومعرّبٌ

وقال دعبل، ورويت للفرزدق:

إذا ما جاوز الندماء كفي
برب البيت والساقي الأديب
فأيري في حر أم فتى دعانا
وأيري في حر أم فتى مجيب
وقال محمد بن أحمد الكاتب:

ثلاثة في مجلس طيب
وصاحب المنزل والضارب
فإن تجاوزت إلى ستة
أتاك منهم شغب شاغب
وقال ابن الطليق الثقفي:

ولا خير في الندمان إلا ثلاثة
سواء كأمثال الأثافي في القدر
فإن كان فيهم رابع كان مُسمعاً
يُسلي بأصوات له شجن الصدر

ذكر ما جاء في طي بساط النبيذ

أول من قال ذلك المأمون. قال: النبيذ بساط فإذا رُفِع طوي بما كان عليه. أخذه بعض الشعراء فقال:

إذا رفع النبيذ فليس حزماً
إعادة ما يكون على النبيذ
إعادة ما يكون من السكرى
ينغصُّ لذة العيش اللذيذ

وكان المأمون قد نقل معلمه أبا محمد اليزيدي إلى حضور مجلس الأُنس والمنادمة فقال المأمون، في بعض حديثه، سداد من عوز، فقال له اليزيدي، أخطأت، إنما ياقل: هاهنا سداد من عوز، ومنه قول العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريمة وسداد ثغر

فقال له: مقبول منك يا أبا محمد، فلما انصرف وصحا من سكره كتب إليه معذراً:

أنا المذنب الخطاء والعفو زاسع
ولو لم يكن ذنب لما عُرِف العفو
سكرت فأبدت مني "الكأس" بعض ما كرهت، وما إن يستوي السكر والصحو
ولا سيما إذ كنت عند خليفة
وفي مجلس ما إن يجوز به اللغو
فإن تعف عني ألف خطوي واسعاً
وإلا يكن عفو، فقد قصر الخطو

فوقع عليه: يا أبا محمد، النبيذ بساط يطوى بما كان عليه، ولا يُنشر، ويُنسى ما كان منه ولا يذكر، فأخذ هذا القول الناشئ فقال:

إنما مجلس الندامى بساط
للأحاديث بينهم بسطوه

فإذا ما انقضى الشراب وقاموا

لانصرافٍ من فوقه رفعوه

وشرب مع يحيى بن جعفر بعضُ ندمائه فلما سَكَرَ كَلَّمَهُ كَلَاماً جفا عليه، فلما صحا ندم، وكتب إليه:

سيدي أنت إن تعاضم ذنبي

فاعف عني فأنت للعفو أهلٌ

لا تؤاخذ بما جنته يدُ السكرِ فتى

ما له على الصحوِ عقلٌ

فوقع إليه: عذرك مبسوطٌ، واللوم عنك محطوط، وحقٌ ما جرى على النبيذ أن يغفر ويُستر وينسى فلا يذكر.

وكان الحسين بن الضحاك الخليع ينادم المعتصم، فغضب عليه في شيءٍ جرى على النبيذ أحجبه أياماً فكتب إليه:

غضب الإمام أشد من أدبه

وبه استجرتُ وعدتُ من غضبه

والذي لم يُبق لي سبباً

أرجو النجاة به سوى سببه

ما لي شفيح غير رحمته=ولكلُّ من أشفى على عطبه فلما قرئت عليه، التفت إلى الواثق فقال: إن هذا الكلام ليعطف الكرام، لقد زال ما بنفسي عليه، ورضي عنه وأمر بإحضاره.

وكان ابن جوار، كاتب العباس بن أحمد بن طولون، ينادم أبا حفص الشطرنجي، فنقل ما يجري في مجلسه إلى العباس، فكتب إليه أبو حفص: إنما مجلس النبيذ مجلس أنسٍ ومسرح لبانة وذائدهم ومرتع لهوٍ ومعهد سرورٍ وموطن لذة، فإذا انقضى طوي ما كان فيه ولم يذكر ما دعت إليه دواعيه، ثم قال:

ولقد قلت للأخلاء يوماً

قول ساعٍ بالنصح لو قبلوه

إنما مجلس النبيذ بساطٌ

للمودات بينهم وضعوه

فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا

من نعيمٍ ولذةٍ رفعوه

وشرب كوران المغني عند الشريف الموسوي فافتقد رداءه فلما أصبح قال: سُرقَ ردائي، فقال له الشريف: يا سبحان الله، ما مَعَنَا من يُتَّهَم، أو ما علمت أن النبيذ بساط يطوى بما عليه، فقال كوران: انشروا بساطكم حتى أجد ردائي، ثم اطووه إلى يوم القيامة.

وشرب الرشيد يوماً وإبراهيم الموصلي يغنه: إلى أن أخذ الشراب من إبراهيم فكلم الرشيد كلاماً أغضبه ثم استيقظ إبراهيم لذلك فغناه:

ما لعبدٍ أدلُّه مولاه

ما له شافعٍ إليه سواه

يشتكى ما به إليه وخشاه ويرجوه مثل ما يخشاه

فقال له: لِيَفْرُخَ رَوْعُكَ، يا إبراهيم فإننا لا نؤاخذ بما يجري على النبيذ من الزَّلَلِ واستعادَه فيه مراراً، وأمر له عند انصرافه بصلَّة سنِّيَّة.

باب الإكثار والإقلال من الشرب

الناس في هذا الباب مختلفون، وعلى قدر طبائِعهم متباينون، لأن التركيب والمزاج والقوة والضعف أمرٌ لا يتساوون فيه، فليس من العدل بين المتنادمين أن يُكَلَّفَ القويُّ على الشرب من ضَعْفَ عنه أن يشرب كشره بل يشرب كل امرئٍ بقدر طاقته، واحتمال مزاجه.

قال: ومما يغلط فيه أكثر المتنادمين وجمهور المتعاقرين، افتتاح الشرب بالقُدح الصغير، والترقي منه إلى الكبير، وهم "أجدر" بالابتداء بالكبير، في حال جُمَامِهِم، وحاجتهم إلى هضم طعامهم، وإحماء مجلسهم، حتى إذا ترنخوا وانتشوا كانوا بالتزول إلى الصغير أولى، وبالأبقاء على عقولهم أحرى. وربما لم يكن غناؤهم ممتعاً فيُعْفَى تعجيلهم الطرب على تقصيره، ويغطي ارتياحهم على معايبه. ولو صادفهم على غير تلك الحال للحقهم الفتور وقل نشاطهم للكبير. فأما الإكثار والإقلال فليس النديم فيهما مختاراً. وقال أبو نواس: الكرم ثلاثة عناقيد، عنقود التذاذ وعنقود سكرٍ وعنقود عربدة. قال كشاحم: قلت لبعض النبيذيين، هذا أميركم وكبيركم أبو نواس يقول:

وجبريل له عقلٌ

سألت أخي أبا عيسى

فقال: كثيرها قتلٌ

فقلت: الراح تعجبني

فقال: وقوله فَصَلُّ

فقلت له: فبيِّن لي

وجدت طبائع الإنسان أربعة هي الأصل

لكل طبيعة رطلٌ

فأربعة لأربعةٍ

يعني جبريل بن بختيشوع، فاقتد به في هذا القول، فقال: إنه لم يعترف لنا أن هذا رأيه، وإنما حكى عن الطبيب، أنه أشار عليه، وسكوته عن الجواب يدل على أنه لم يرض الابتداء، فأما الرئيس ذو الملك والأمر النافذ فلو كان السكر حلالاً لا اختلاف فيه لكان عليه حراماً لا اختلاف فيه لأن بادرت به إلى نفسه وغيره لا تستقال، وأمره لا يراجع ولأنه يقهر ولا يُقهر، فتقع منه الجناية العظيمة التي تُلحقه الندامة وتلبسه العار والمسبة. الصولي قال: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: كنا عند الحسن بن وهب وبنانٌ تغنيه، فابتدأ الحسن يسكر من أول شربه، فقلنا له ذلك، فجذب الدواة وكتب:

أحضرتها وأوضَحَ برهان
أروح في أثواب سكران
يتبعها رطل ورطلان
والراح؛ سكران عجيبان

من كان لا يزعمني عاشقاً
إني على رطلين أسقاها
وكنت لا أسكر من سبعة
فصار لي من، سكرات الهوى

قال الأعشى:

وثمان عشرة واثنتين وأربعاً

ولقد شربت ثمانياً وثمانياً

وقال الفرزدق:

وثلاثاً واثنتين

أسقني خمساً وخمساً

من عقار كدم الجوف بحر الكلبتين

واسق هذين ثلاثين يروحا فرحين

وقالت الأطباء على الجملة، لا خير في الإكثار من النبيذ لأن الإكثار منه مضرة، وكما أن الإقلال منه منفعة وكل ما كان بقدر الحاجة إليه فهو محمود.

وقال البيهقي:

فإن كلام النصح يوعى ويُسمع
وفي أربع أنس له وتمتع

ألا قل لإخوان المدام تسمعوا
ثلاثة أرتال لدى اللب مقنع

وقال أبو تمام:

فيها الشفاء وصحة الأبدان

شرب المدام على الطعام ثلاثة

وتزيل كلَّ الهم والأحزان

تمرى الطعام وتبتلى بمسرة

سرج عليك لموكب الشيطان

واحذر هُديت كثيره فكثيره

وقالت الفلاسفة: من أحب ألا يسكر سريعاً فلا ينبغي أن يمتلئ من الطعام جداً ولا يأكل الحلاوة، بل يأكل من ثريدة دسمة ومن اللحم أكلاً معتدلاً، ومما يُعين على الشراب والاستكثار منه أكل الكرنبية والقنبيطية والعدسية ويتنقل بحماض الأترج والأشياء المملوحة، ومما يعجل صحو السكران أن يسقى خللاً بماء بارد ويجرَّع من لبن رائب شديد الحموضة ويصبُّ على رأسه خل خمر ودهن ورد وشم الكافور

والصندل وماء الورد ويضع أطرافه في ماء حار وإن كانت في معدته بقية شراب فليتيقياً ويطعم لُقماً من ماء الحصرم والعدس والكرنب، وقال بعض الكتاب:

غادنا بالمُدَامِ غُرَّةَ يَوْمِ السَّبْتِ
وَأَدْرِهَا عَلَيَّ فِي الْأَحَدِ الْمُقْبِلِ
وَأَطْعَنِي فِي السُّكْرِ يَوْمَ الثَّلَاثَا
وَاقْطِعِ الْأَرْبَعَاءِ تَنْفِي "بِهَا" النَّحْسَ
وَالْخَمِيسِ الْخَمِيسُ أَنْيْسُ
وَأَصْبِحْنِي مِنَ الْمُدَامَةِ فِي الْجُمُعَةِ
إِنَّمَا الْقَادِرُ الْعَظِيمُ تَعَالَى
إِنِّي أُحِبُّ فِيهِ الْمُدَامَا
إِنِّي نَذَرْتُ ذَاكَ اغْتِنَامَا
وَاعْصِ فِيهِ امْرَأَةً عَلَى السُّكْرِ لِأَمَّا
"لِنَلَا" يَكُونُ يَوْمُكَ عَامَا
فَابْتَسِمِ بِالْمُدَامِ فِيهِ ابْتِسَامَا
تَجْمَعُ بِهَا سُرُورًا تَمَامَا
جَدَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الْعَظَامَا

وقد تقدمن أبو نواس في ذكر هذه الأيام ومواصلتها تقدماً لا يسبق فيه وقد مضت قصيدته الدالية في هذا.

ذكر ما جاء في الصبوح

لم يُرو أن أحداً من الملوك والسراة المتقدمين والجللة الأولين والآخرين حث على التغليس بالطعام ولا اللباس ولا شيء مما يلتذونه غير الشراب فإنهم رأوا الجاشرية وهي شرب السحر عنماً حاضراً والصبوح حظاً وافراً وأقروا بذلك، واستظرفوا أصحابه ونسبوا مستعمله إلى المروعة ووصفوه بالمروعة، قال شاعرهم:

وأبيض، لا وان، ولا واهنُ القوى
سقيتُ، إذا أولى العصافير غنَّتِ

وقال آخر:

قم فاسقني قبل أصوات العصافير
أما ترى الصبح ق

نادى بتنوير وقال إسحق الموصلي:

خليلي هياً، نصطبج بسواد
ونرو قلوباً هامهن صواد

وقد استقصينا كثيراً مما قيل في الصبوح عند ذكرنا الأشعار التي أوردناها على حروف المعجم في آخر هذا الكتاب.

وسأل قيصر ملك الروم قس بن ساعدة الإيادي: ما أصلح أوقات الشراب، قال: أول النهار، ألا ترى الدواء يكره به والمسافر يدبج لحاجته، لأن العقول أول النهار أذكى والفطن أصح. قال والبة بن الحباب:

قم يا نديمي ق قضيت لبانةً
وتداو من مرض الخمار بشربه
قال: الصبوح، فقلت: هعات، فقال: خذ من، فقلت: أبت تطاوعني يدي
من طول ليلك في رقادك فاقعد
تنفي الخمار وإن بدا لك فارقد
فرددت منه الروح فيه بشربة
درياقة تشفي سليم الأسود
وقال آخر:

اشرب الراح على روح السحر
واسقينا قهوة مشمولة
فنجاح الأمر يرجى في البكر
في عروس الققص تجلى في القمر
وهي عذراء ولمّا تفتزع
واغتتم فيه الهواء المرتدي
وارتضع في السحر الأكبر ما
وقال كُشاجم:

هذا الصباح فما الذي
خذ من زمانك ما صفا
بصبوح صبحك تنتظر
ودع الذي فيه الكدر
فالعمر يقصر عن معاتبة الزمان على الغير

وقال:

ألد العيش إتيان القبيح
وإصغاء إلى وتر وناي
وإلى ضحك من الزهر المليح
غداة دجنة زطفاء تبكي
وكان عبد الله بن المعتز ربما كره الصبوح فكتب إليه النميري:

قبح الله شرب كل نبيذ
إنما يشرب الملوك مع الفجر
يتوخى في وقت شرب التجار
وفي الروح قبل نصف النهار

قد تأذت بنا الشياطين والجنُّ

جميعاً وصالح العُمَار

ودعوا ربَّهم علينا وقد أمن

أيضاً غلمانُ هذي الدار

حيث يحيا ليلُ التمامِ إلى

الصبح ويهوي في ساعة الانتشار

وشربُ الصُّبوحِ سُمِّي بطلوع الصُّبح، وكل شرب في أول النهار قبل انتصافه فهو صبح، وإنما أكثر الشعراء في الصُّبوح دون غيره من أوقات الشرب وحثوا عليه ليسبقوا من يعذلم قبل أن يعدو عليهم لأن من شأن العاذل أن يعدو على من يريد عذله على ما فعل في أمسه لأن ذلك في وقت صحوه وإفاقة من سكره فيعظه عن معاودة مثله ويقرعه بزلةٍ إن كانت منه في سكره، فاستعملوا مسابقة عذالمهم بمباكرة صبحهم في الجاهلية والإسلام.

وقال طرفة بن العبد:

ولولا ثلاث هُنَّ من لذةِ الفتى

وجدك لم أحفل متى قام عُودي

فمنهن سبقي العاذلات بشريةٍ

كُميت متى ما تُعلَ بالماء تُزيد

وقال القطاميُّ:

أفرُّ أصبحتُ من كل عاذلٍ

وأُسي وقد هانت علي العواذلُ

وقال ابن الرُّقيات:

بكر العواذل في الصباح

يُلمنني وألومُهنة

ويقلن شيبٌ قد علاك

وقد كبرت فقلتُ إنَّه

إنه: بمعنى نَعَم وقال كشاجم:

إذا ما اصطبحت وعندي الكباب

وكان الطباهج في جانبي

وكانت رياحيننا غضة

وصفراء من صنعةِ الراهب

فليس الخليفة في ملكه

بأنعم مني ومن صاحبي

وقد استحسَن أكثرهم الصُّبوح على الرياض المونقة والأزهار المشرقة والصباح المعيم. قال الصنوبري:

يومٌ دجنُّ فما انتظاري ويومٌ الدَّجن

يومٌ إلى القلوب حبيبٌ

ولزهر الرياض ضحكٌ وللغيم

بكاءٌ على الثرى ونحيبٌ

فالصبوحُ، الصُّبوحُ، يا سيد النَّاس

فمستعملُ الصُّبوحِ مصيبٌ

وقال أبو عبد الرحمن العطوي:

ظهراً ما ذا أتى من خَسارِ
لأهل العقول والأبصار
وخير المسير صدرَ النهارِ
كنديم مساعدٍ وعُقارِ
ويزرى على النهارِ الوقارِ
كابتسام الرياضِ غبَّ القطارِ

قَبَّحَ اللهُ أولَ الناسِ سَنَ الشُّربِ
نكتةً في السرورِ باديةِ الشَّينِ
إن شرب المدام سيرٌ إلى اللهو
ما رأينا الكواكب الصبحِ شكلاً
وغناء يفتُّ في عضدِ الحُلمِ
وأحاديثٍ في خلالِ الأغاني

وقال عبد الله بن المعتز:

لي صاحب قد لامني وزادا
في تركي الصبوح ثم عادا
قال: ألا تشرب في النهارِ
وفي ضياء الفجر والأسحارِ
إذا وشى بالليل صبح فافتضح
وذكر الطائر شجراً فصدح
والنجم في حوض الغروب وارداً
والفجر في إثر الظلام طارداً
ونفض الليلُ على الأرض النداء
وحركت أغصانه ريح الصبأ
وقد بدت فوق الهلال كرتُهُ
كهامة الأسود شابت لحيته
فحسن الدار ببعض نوره
والليل قد رقع من ستوره
أما ترى البستان كيف نورا
ونشر المنثور بُرداً أصفرا
وضحك الورد إلى الشقائق
واغتبق القطر اغتباق وامق

في روضة كحل العروس
وخرم كهامة الطاوس
وياسمين في ذرا الأغصان
منتظماً كقطع العقيان
والسرو مثل قصب الزبرجد
قد استمد الماء من ترب ند
على رياض وثرى ثري
وجدول كالبرد المجلي
وفرخ الخشخاش جيباً وفتق
كأنه مصاحف بيض الورق
أو مثل أقداح من البلور
كأنما تجسمت من نور
وبعضه عريان من أثوابه
قد خجل البائس من أصحابه
تبصره بعد انتشار الورد
مثل الدبابيس بأيدي الجند
والسوسن الأزرق منشور الحبل
كغصن قد مسه بعض الببل
وقد بدت فيه ثمار الكنكر
كأنها جماجم من عنبر
وجلنار كاحمرار الخد
أو مثل أعراف ديوك الهند
والأقحوان كالشاي الغر
قد صقلت أنيابه بقطر

قل لي أهذا حسنٌ بالليل
ويلي مما تشتهي وعولي
بت عندنا حتى إذا الصبح سَفَر
كأنه جدول ماءٍ ينفجر

قمنا إلى زادٍ لنا مُعدَّ
وقهوةٍ صرّاعةٍ للجدِّ
كأنما حبابها المنشور
كواكب في فلكٍ تدور
ومسمعٍ يلعب بالأوتارِ
أرقّ من نائحة القماري

ذكر ما جاء في ذم الصبوح

قال عمرو بن بحر الجاحظ: سمعت أبا الفاتك قاضي الفتيان يقول: أهماكم عن الصّبوح فإنه لا يصلح إلاّ للملك مهيب قد كفاه ما وراءه، وزراؤه وأعوانه، فإذا اصطبح وأقبل على لهوه ولدته لم يلمه على ذلك لائم، ولا عذله فيه عاذل، وليكن صبوحه أيضاً: وقتٌ بعد أوقات، فإنه إن أدمنه شغله عن النظر في أمور مملكته ولم يأمن سوء عاقبته، فأما من دونه من خدمه وطائفته وبطانته فليجتنبه بالجملة، فإنه قد يعرض للملك حاجة إليه وهو على تلك الحال فربّما كان في ذلك تلف مهجته وذهاب نعمته، فأما دون هؤلاء من أوساط الناس والتجار وأشكالهم والصناع بأيديهم وأمثالهم فإنه مفسدة لأحوالهم، مشغلة عن قوام معاشهم وما يعود بمصالحهم إلا أن يكون في الفلقة والندرة، أو في يوم غيم مطبقٍ وسماءٍ تهطل وزلقٍ ولثقٍ يمنع من التصرف ويقطع عن قضاء الحاجة. وأما الصّبوح على هذا الوجه فغلط لا معنى له لما يحدث فيه من الآفات وما يجلبه من الهموم التي لا يفي بصغيرها كثير سروره، ولا يقوم محبوبه بدفع محذوره، أول ذلك تفاوت الندماء في اجتماعهم للحاجة فتعرض لأحدهم فلا يجد بداً من النظر في قضائها، فإن انتظروه بطعامهم أفسدوه، فإن أكلوا وشربوا دونه، فإذا جاء طلب ما يأكل، فربّما لم يحضر وقُدّم إليه طعام لا يوافق فلم يستوف منه ما يُذهب به عادية الشراب، ثم بادروا إلى سقيه ما فاتته حتى يلحق بهم، فإن كان مساعداً شرب ما لا يطيقه وربما ألقى منه ما أكله، وكان شره مما يحرق كبده ويطليل كمدته، وإن كان

حَرَجًا متبرماً صار إلى المحاربة، ووقع القوم في قيل وقال حتى رُبما خرج الأمر إلى العريضة، وقلَّ صبح سلم أهل من عريضة، ولا بد أن يرقد القاعد ويقوم الراقِد فإذا استيقظ النَّائم طلب معاودة الطعام فلم يتفق له، وإن وجده وانتبه آخر طلب أيضاً طعاماً فيحصل صاحب المنزل وأهله في الحركة والاضطراب، ومقاساة أليم العذاب، ومع منام من نام وبسكر من يسكر، ذهبُ النقل بسرقة الغلمان ونقل الصبيان وشربهم بالصغار والكبار، وربما ثقل الغلام يده بالجرة الملائى، أو المنتصفة، وربما مدَّ يده إلى المنديل والأشنانة والشيء الخفيف الذي يمكنه أخذه. فإن نام المولى وأراد بعضهم المسير إلى منزله منعه الغلام، وحال بينه وبين ثوبه أو خُفّه أو نعله، وقال: لا أدعك حتى ينتبه مولاي، لأني أخاف سطوته، وقوله: هلاً حبسته حتى ينتبه، فيشتم مولاه فإن غلب عليه "و" خلاه كان في خروجه الفضيحة، وقال الناس: لعن الله من أخرج من منزله على مثل هذه الحال، ولم يعرف ما يجب لضيفه عليه، ولا رعى حقه، وفي خلال ذلك التعرّي في الدار ومغازلة الخادم والتكشيف للبول حيث لا ينبغي مع قلة التحفظ من النجاسة وترك الصلوات وإضاعة المفروضات وشعث الشعور ووسخ الجلود وغير ذلك من الآفات التي يطول ذكرها.

وأما الوجه الآخر، فإن أراد ندماءؤكم الانصراف فلا تمنعوهم من ذلك ولا تحبسوهم للمبيت، واحذروا ذلك غاية الحذر، فإن آفات المبيت أعظم ضرراً مما ذكرنا ممن آفات الصبح لأنه قد يكون في القوم الخفيف المنام، السريع القيام فيفر عنه نومه، ويحتاج إلى المؤانسة فيقيم من يطيب له النوم ويشتد عليه القيام، ويمتنع منه الكلام، فإن ساعده بعضهم، احتاج إلى تجديد المجلس وطلب الطعام، ولعل ذلك يتعدّر على العيال في جوف الليل فلم يكونوا أعدوا منه عُدّة، ولو كان معداً، لقد كان في إيقاد السراج، وإيقاظ النيام، وإحضار الطعام والشراب أشدّ الإبرام. وإن كان في القوم دَبَابٌ عند إطفاء السراج ونزول الظلام. وقد بيّت على الغلام فأخطأه وأصاب المولى وبعض الندماء، فيا لك من رفسةٍ ولكمةٍ ولطمةٍ وجدع أذن بكدمةٍ، فإن احتيج إلى إشعال السراج لينظروا من الفاعل ولم يكن في الدار نار وفتح الباب وخرج الغلام ورافق ذلك مرور الحرس فقبض عليه وحبس فإن أحسوا بهيمنة العريضة، كسروا الباب ودخلوا الدار ووُلد ذلك أكثر مما كانوا فيه وكانت الفضيحة بين الجيران وثقل المعرم لأعوان السلطان، وإن سلموا من هذا كلّه وانتبهوا عند الصباح، طلبوا الرؤوس وعرفوا بالصبح، ووصلوه بالغبوق، فحلّ على صاحب المنزل يوم ودعوتان في دعوة، واتصل نصبه وطال تعب. وآفات هذا الباب كثيرة، ولو استقصيتها لكم لطال بها الخطاب. والذي أوصيكم به أن يجودوا نبيذكم ما استطعتم وإن قلّ طعامكم وتعذّر، فإن مسافة الطعام قصيرة قليلة، ومسافة الشراب كثيرة طويلة، فإنكم إذا اهتمتم للفتيان في الطعام، وأتيموهم بالحر والبارد من الجداء والحملان والسّمك والدجاج والبط والدُرّاج والحلو والحامض

ثم قدّمتم إليهم شراباً غير طيب، نَعَصْتُمْ عَلَيْهِمْ جَمِيعَ مَا أَكَلُوهُ عِنْدَكُمْ، وَلَوْ عَظُمَ إِنْفَاقُكُمْ عَلَيْهِ وَلَوْ
أَتَيْتُمُوهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ مِنَ النُّقْلِ وَالرِّيحَانِ وَالطَّيِّبِ وَالْأُدْهَانِ لَمَا أَصْلَحَ ذَلِكَ كُلَّهُ خَسَارَ شَرَابِكُمْ. فَإِنْ غَبِتَ
تَشَاكُوًا، وَإِنْ حَضَرْتَ كَانَتْ غَايَةَ أَحَدِهِمْ حَبْسَ كَأْسِهِ فِي يَدِهِ وَإِنْ غَفَلَ السَّاقِي عَنْهُ كَبِهَ فِي ذَلِكَ الرِّيحَانَ
فِيَدْعِي أَحَدَهُمْ مَغْسِئًا فِي جَوْفِهِ، وَآخِرَ صَدَاعًا بِرَأْسِهِ، وَآخِرَ يَقُولٍ فِي نَفْسِهِ لِيَتْنِي اعْتَذَرْتُ وَلَمْ أَكُنْ جِئْتُ،
وَأَنْتُمْ إِذَا قَدَّمْتُمْ الْيَسِيرَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي لَا كَلْفَةَ فِيهِ عَلَيْكُمْ وَجُودَتُمْ شَرَابِكُمْ حُمِدْتُمْ دَعْوَتَكُمْ وَلَذَّتْ
مَعَاشِرَتَكُمْ وَسَرَّتْ مَنَادَتَكُمْ وَعَرَفَ مَوْقِعَهَا، فَأَحْسِنُوا التَّدْبِيرَ فِي جُودَةِ النَّبِيذِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ مَا تَحْوِطُونَ
بِهِ أَنْفُسَكُمْ وَتَحْفَظُونَ بِهِ مَرُوءَاتِكُمْ وَفَقَّكُمْ اللَّهُ وَسَدَّدَكُمْ.
وقال ابن المعتز في ذم الصبوح:

اسْمِعْ فَإِنِّي لِلصَّبَّوحِ عَائِبٌ

عِنْدِي مِنْ أَخْبَارِهِ عَجَائِبُ

إِذَا أُرِدْتَ الشَّرْبَ عِنْدَ الْفَجْرِ

وَالنَّجْمِ فِي لَجَّةِ لَيْلٍ يَجْرِي

وَكَانَ بَرْدًا بِالنَّسِيمِ يَرْتَعِدُ

وَرَيْقُهُ عَلَى التَّنَائِيَا قَدْ جَمَدَ

وَلِلْغَلَامِ ضَجْرَةٌ وَهَمَّهُمَةُ

وَشْتَمَةٌ فِي صَدْرِهِ مُجْمَعَةٌ

يَمْشِي بِلَا رَجْلٍ مِنَ النُّعَاسِ

وَيَدْفُقُ الْكَأْسَ عَلَى الْجُلَاسِ

وَيَلْعَنُ الْمَوْلَى إِذَا دَعَاهُ

وَوَجْهَهُ، إِنْ جَاءَ، فِي قَفَاهُ

فَإِنْ أَحْسَّ مِنْ نَدِيمٍ صَوْتًا

قَالَ مَجِيبًا: طَعْنَةٌ وَمَوْتَا

أَعْجَلَ مِنْ مَسْوَاكِهِ وَزَيْنَتَهُ

وَهَيْئَةٌ تَظْهَرُ حَسْنَ صَوْرَتِهِ

وَإِنْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ سَاقٍ يُعْشَقُ

فجفنه بجفنه مُرْتَقٌ
ورأسه كمثل فروٍ قد مُطِرٌ
وصدغه كالصولجان المنكسرِ
فإن طردتَ البردَ بالسُّتورِ
وجئتَ بالكانونِ والبخورِ
فأي فضلٍ للصبحِ يعرفُ
على الغبوقِ والظلامِ مُسَدَفُ
ولو دَسَسَتْ في استِ محمومٍ لما
نجوت من قُرَادٍ إما صَمَّما
تحسب في رياحه الشمائلِ
صوارماً ترسب في المفاصلِ
وقد نسيت شررَ الكانونِ
كأنه نثارِ ياسمينِ
يرمي بها الجمرِ إلى الأحداقِ
فإن وئى قرطسَ في الآماقِ
وترك البساط بعد الخمدِ
بنقطِ سودٍ كجلدِ الفهدِ
وقطعَ المجلس في اكتتابِ
وذكرَ حرقِ النارِ للثيابِ
ولم يزل للقومِ شغلاً شاعلاً
وأصبحت ثيابهم مناخلاً
حتى إذا ما ارتفعت شمس الضحى
قيل فلان وفلانٌ قد صحا
وربما كان ثقبلاً يحتشمُ

فطوّلَ الكلامَ حيناً وجَسَمَ
ورفَعَ الرِّيحانَ والنَّبِيذَ
وزالَ عِنا عِشنا اللذِيزَ
ولستَ في طولِ النهارِ آمناً

من حادثٍ لم يكِ قبلَ كائنا
أو خبرٍ يكرَهُ أو كتابِ
يقطعُ طيبَ اللهُوِ والشرابِ
واسمعُ إلى مثالبِ الصبوحِ
في الصيفِ قبلَ الطائرِ الصدوحِ
حينَ حلا النومِ وطابِ المضجُعُ
وانكسرَ الحرُّ ولذَّ المهجَعُ
وانهزمَ البقُ وكنَ رتَعاً
على الدماءِ واراداتِ شرِّعا
من بعدَ ما قد أكلَ الأجسادا
وطيرتَ عن الورى الرقادا
فقربَ الزادِ إلى نيامِ
ألسنهم ثقيلةُ الكلامِ
من بعدَ أن دبَّ عليه النملُ
وحيةٌ، تقذفُ سُمَّاً، صلُّ
وعقرب ممدودة قتالة
وجُعَلُ، وفارةٌ، بوالة
وللمغني عارضٌ في حلقه
ونفسه قد قدحت في حذقه

وإن أردت الشرب بعد الفجر
والصبح قد سلَّ سيوفَ الحرِّ
فساعةٌ ثم تجيءُ الدامغةُ
بنارها فلا تسوغ سائغةُ
ويسخن الشراب والمزاجُ
ويكثر الخلاف والضجاجُ
من معشرٍ قد جر عوا الحميما
وطعموا من زادهم سؤوما
وغيمت أنفاسهم أقدهم
وعذبت أبدانهم أرواحهم
وأولعوا بالحكِّ والتفركِ
وعصب الأباط مثل المرتكِ
وصار ريحانهم كالقَتِّ
فكلُّهم لكلِّهم ذو مَقْتِ
وبعضهم يمشي بلا رجلينِ
ويأخذ الكأس بلا يدينِ
وبعضهم عند ارتفاع الشمسِ
يحسُّ جوعاً مؤلماً للنفسِ
فإن أسرَّ ما به تهوسا
ولم يُطق من ضعفه تنفسا
وطاف في أصداغه الصُّداغُ
ولم يكن بمثله انتفاع
وكثرت حدته وضجره
وصار كالحمى يطير شرره

وهم بالعريضة الوحية
وصرف الطاسات والتحية
وظهرت شربته في خلقه
ومات كل صاحب من فرقه
فإن دعا الشقي للطعام
خيّط جفنيه على المنام
وكلما جاءت صلاة واجبة
فسا عليها فتولت هاربة
فكدر العيش بيوم أبلق
أقطاره بلهوه لا تلتقي
ومن أدام للشقاء هذا
من عله والتذة التذاذا
لم يلف إلا دنس الأتواب
مُهوساً، مُهوساً الأصحاب
يزداد سُهداً وضنى وسقما
ولا تراه، الدهر، إلا قدماً
ذا شاربٍ وظُفرٍ طويلٍ
ينغصُ الزاد على الأكيلِ
وعينه محمرة الأماقِ
وأذنه كجفنة الدقاقِ
وجسد عليه جلدٌ من وسخ
كأنما أشربَ نَفْطاً أو لَطْخَ
تخال تحت إبطه إذا عرقُ
لحية قاضٍ قد نجا من الغرقُ

وريقه كمثل طوقٍ من أدم
وليس من ترك السؤال يحتشم
في صدره من واكفٍ وقاطرٍ
كأثر الذرق على الكنادر
هذا لنا وما تركت أكثر
فجربوا ما قلتُهُ وفكروا

ذكر ما جاء في التداعي

يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من دخل على غير دعوة دخل سارقاً، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله. وعنه "ص" أنه قال: إذا دُعِيَ أحدكم فجاء مع رسولٍ فإن ذلك له إذن. ودعا رجل عليّ بن أبي طالب "رض" إلى طعامٍ فقال: نأتيك على ألاّ تتكلف لنا ما ليس عندك، ولا تدخّر عنا ما عندك. وكان يقول: شرُّ الإخوان من تُكَلِّفَ له. وقال ابن عباس "رض": من نقل قدمه إلى فله الفضل عليّ، وكان بعضهم يقول: بليّةٌ تضني البدن؛ رسولٌ بطيء، وسراج لا يضيء، وانتظار من لا يجيء. وقال ابن عباس "رض": دعاني رجل إلى وليمة يوم الجمعة، فبكرت إلى المسجد، فلم أنصرف إلى العشيّ، فلقيني الرجل فقال: عصيتَ الله في هذا اليوم ثلاث مرات؛ قال الله عز وجل: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله، فسعيت قبل النداء، وقال: إذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض، فتركت الانتشار إلى العشي، ووعدتني فأخلفت، فلم يكن لي جواب إلاّ أن قلت: لا أعود. وكتب العدوي إلى صديق له:

كنتَ المُعزّي بفقدي
أهدي إليّ أخ لي
أرق من دمع صبّ
فاخلع عليّ سروراً
وعشتَ ما عشتَ بعدي
سئليل مسكٍ وورد
يشكو صباية وجد
بكونك اليوم عندي

وكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى صديق له:

صباح مطير، ووجه نصير
وبيني وبينك ما قد علمت
وقدرت تفور، وكأس تدور
ببيت يسر وشعر يسير

فقم نصطحب قبل فوت الزمانِ

وكتب البحثري إلى المبرّد:

يوم سبت، وعندنا ما كفى الحرّ،

ولنا مجلس على النهر فيّاح

ودوام المدام يدنيك ممّن

فأتنا يا محمد بن يزيد

تطرد الهمّ باصطباح ثلاث

إن في الراح راحةً من جوى

لا يرعك المشيب مني فإني

إبراهيم بن إسماعيل:

صباح مطير، وعيش نصير

وفينا مساعدة جمّة

فإن كان هذا كما قد وصفت

فقم نصطحب قبل فوت الزمان

فإن زمان التلاقي قصير

طعام، والوردُ منّا قريب

فسيح، ترتاح فيه القلوب

كنت تهوى، وإن جفاك الحبيب

في استنار كي لا يراك الرقيب

مترعات، تنفي بهنّ الكروب

الحب وقلبي إلى الأديب طروب

ما ثناني عن التصابي المشيب

وقدرٌ تفور، وكأس تدور

يتمُّ بها لي فيك السرور

فإنالتفرّقَ خطبٌ كبير

فإن زمان التلاقي قصير

قال إسحق: وكتب إلي العباس بن جرير: لو لم يكن في الاجتماع عندنا إلاّ طرح الحشمة، وتأکید المودّة، لكان كافياً، فكيف وفيها من مفارقة الأحران ما أنت عارف والسلام.

وقال آخر:

اليوم يوم كتاب

ويوم ناي وعود

وقال آخر:

يومنا طيب ولو شاء ربي

ليس يصفو إلاّ بقربك لي عيش،

ولعمري لو شئت زرت، ولو

وكتب ذيك الجن، إلى بعض إخوانه:

لك عندي من طيب الورد أطباق

ويوم إغلاق باب

ونرجس وشراب

زادني فيه باقترابك طيبا

ومن لي بأن تكون قريبا

زرت، لما كان ذلك منك عجيبا

ملاحٌ تدني بعيد سرورك

فوق أيدي السقاة نورا كنورك

لا يلذُّ الدنيا بغير حضورك

وشرابٌ كطيِّبٍ نشرك يلقى

فبحقي، أهدِ السرور إلى من

وكتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: عندي سكباج يرغب "فيه" المحبون، وحديث يطرب الحزون، وإخوانك الحبيون فلا تعلُ عليَّ وأتوّن. فكتب إليه أبو العيناء: اخسأوا فيها ولا تكلمون.
وكتب كُشاحم إلى بعض إخوانه في يوم شك:

هو يوم شكِّ يا عليُّ وأمره قد كان يُحذرُ

والجوُّ حُلَّتْهُ مُمسكةٌ ومُطرُفُهُ مُعْبِرُ

ولنا فضيلات تكون ليوماً قوتاً مُقدَّرُ

ومدامة صفراءَ أدرك عمرها كسرى وقيصر

فانشط بنا لنحُثَّ من كاساتنا ما كان أكبر

أو لا فإنك جاهل إن قلت إنك سوف تُعذرُ

وكتب العباس بن جرير: يومنا طاب أوله ودجا آخره، مستقبلٌ ذو سماءٍ قد أقشعت بعد أن أروت، وأنت تُكثِّرُ القليل، ونشفي الغليل، فلا توحشنا بتخلفك عنا، ولا تستوحش بتفردك منا فإنك إن تأتتنا نشكرُ وإن تخلفت عنا لا نعذر.

الفضل بن جعفر: يومنا يوم رقيق الحواشي، لئِن النواحي وأنت موضع السُرور، ونظام العيش والحبور، فأقبل إلينا وكن جواب رقعتنا، نَسعد بك وتسعد بنا.

وكتب آخر: يومنا قد أشرق نوره، وكمل سروره، ذو سماءٍ قد هطلت، وجادت بوبلها وأسبلت، وبك تمام كل لذة، فأجمع شملنا بقربك.

وكتب آخر: رؤيتك أحسن من العافية وأزين من المال والولد، وقد اشتقت إلى نِعَمِكَ العذاب، فبحف العشرة وعظيم حق الخدمة، إلا مننت برد الجواب فكنته.

وكتب آخر: أنا ظمآنٌ إلى رؤيتك، صادٍ إلى تكرار الطرف في غُرَّتِكَ، فإن رأيت أن تبرِّد غليل أخيك، وتبهج وجهه بماءٍ وجهك، وتؤنس وحشته بقربك، وتؤثره على كل شغلك، وتدفع همومه بمحاضرتك. سعيد بن حميد: قد جعلك الله للشمل نظاماً، وللسرور تماماً، وجعل مشاهد الأنس إذا حلت منك رثة المنظر، وجعلها بك محمودة الأثر، فرأيتك في إيجاب المنة على أخيك، الزيارة موفقاً.

علي بن عبده: الإبطاء ينتج القطيعة، وإدمان العهد ينمي المودة، وعلى حسب تشاكل الأخلاق يدوم

التواصل، والحديث يبهج القلوب ويزيد في الأنس، كما أن المنظر المونق متترة الأبصار.
الصنوبري:

تعال، عندي مجلسٌ مونقٌ
يزيد أضعافاً على المونقِ
ونرجسٌ أبلقٌ والنفس لا
تملُّ قرب النرجس الأبلق
وكلنا من نمطٍ واحدٍ
في الرأي والمذهب والمنطق
وكتب كشاحم:

عندي معتقة كودك صافية
ونديمك الدّمث الرقيق الحاشية
وإذا طربت إلى السماع ترنمت
بيضاء زاهية تسمى زاهية
وتجيبها سوداء تعملُ نايها
فتريك كافوراً يقاوم غالية

3 فاحضّر فقد حضر السرور ولا تدع=يوماً يفوتك، فهي دنيا فانية وقد آثر الظرفاء في إسقاط التصنع في هذا الباب ما هو أليق بالمؤانسة وأنفى للانقباض والحشمة، ولو لم يكن في الاحتفال من النقيصة، و"في" الاقتضاب من الفضيلة إلا أن المحتفل قد ضيق على نفسه العذر في تقصير كان منه، والمقتضب مغتفر له ذلك، وكفى ذلك.

وكتب محمد بن الحسين إلى صديق له:

قم بنا نقتضب صبوحةً مليحاً
لم أبيت له اعتزماً من الليل
فهو طيباً وموقعاً كحبيبٍ
جاءني زائراً على غير وعدٍ
يُسعدُ الله فيه لي بك جدّي
ولا قلت كُنْ فديتك عندي

وكان محمد بن نصر بن بسّام يقول: قَبِحَ اللهُ علياً- يعني ابنه- فما أخوفنا من هجائه، وأنشد قوله:

خبیصةٌ تُعقد من سُكرة
وليس ذا في كل أيامه
وبرمة تطبخ من قبرة
لكنه في الدعوة المنكرة

فأما الأول فإنه يدل على ظرف الطبخ، وظرف يده لأنه من مدحه أن يوصف بأنه يطبخ من الطائر ألواناً، وأما الدعوة المنكرة فإنه جعلني متصنعاً محتفلاً، ولعلّ نعمتي وهمتي تشهدان بغير ذلك. وكان آخر لا يسرع في شيء من الدعوة حتى يحضر إخوانه ويأمن تخلفهم فحينئذ يأمر بإصلاح ما يقدره لمن حصل منهم، فلا يلحق طعامهم حتى يتصرم يومهم وتضطرم نار الجوع في أحشائهم. وقال فيه بعضهم:

خاف الضياع على شيءٍ يعجله

فليس تعلقوا على الكانون برُمته

قال: حدثني من أثق به عن بعض البخلاء أنه دعا قوماً فابتاع لهم جدياً وأشفق أن يذبحه ولا يحضره كهيئة المسموط وإن تأخروا استحياه وكفله ورباه، وانتهى إليهم الخبر من جهة لطيفة فدعوه إلى منزل بعضهم واحتالوا عليه حتى ظفروا بالجدي فجاءوه به مُنوراً، فأخجلوه، وفضحوه، وقال بعضهم فيه:

ومستظهر مفرط الاحتياط

دعا مرةً بعض إخوانه

فجاء بجدي كبعض الجداء

فقال لغلمانه نوروه

فإن جاء من نتقي أن يجيء

وإلا أمانة على جدينا

وليس هؤلاء بإفراطهم في الاستظهار القبيح والنظر الدقيق بأذم ممن يدعى فيحيب، ويوثق منه بالوفاء ثم يتناقل عن الداعي الملهوف حتى يجيعه ويجمع إخوانه وينغص عليهم يومهم ويبرد طعامهم، ويرد غلامه، ويطيل التشوف إليه، ويوغر بذلك الصدور عليه فجزاء هذا عندي بعد الاستظهار بالحجة، وإعادة الغلام إليه بالرسالة، أن يستأثر إخوانه بالمؤاكلة متعمدين بذلك الاستخفاف به ليؤدبوه بذلك إن كانت به مسكة، وينبهوه إن كانت له فطنة.

وكان بدمشق شاعران يتشاعران فكان أحدهما يكثر "الجلوس" عند الآخر، ولا يدعو ذلك إلى منزله، فكتب إليه:

أبدأً تحصلُ عندي

إن تناصفنا وإلا

فبلغ بعض الأدباء فقال:

أرى الدعوات قد صارت قروصاً

وحالي ربما نهضت وحيناً

وأكره أن أجيب فتىً دعاني

وقال العطوي:

وأمرأ في البرية مستقيضاً

تضيق فلا أرى فيها نهوضاً

ولا أدعوه، أن ألقى بغيضاً

قدِرانِ عِندي ما لِلْمسكِ طَعْمَهما

وَنشوةٌ لهما مِنْ طَبخِ بِيضاءِ

وَدَرمِ بَيْنَ رِيحانٍ وَمَنْتَقِلٍ

جَهْدُ المَقْلِ، وَلا كَفْرُ بِنِعماءِ

وَكُتِبَ بَعْضُهُم:

أنا في البيت وحيد

واشتياقك شديد

ولدينا الراح والريحان والعيش الحميد

فأت من ييدا بذكراك اشتياقاً ويعيد

وكتب كشاحم إلى آخر وقد دعاه فتناقل عليه:

جُعِلتِ فدائكِ ما ذا الجفاء

قل لي متى كنت عني صبورا

رددت الرسول بذل الحجاب

فحجبت عن مرسلية السُرورا

وقد حضروا كلهم كالنجوم

ولو قد رأوك لصاروا بدورا

وقد أحكم الطبخَ طبّاخنا

وأعجله واستتم القدورا

وفاحت بمثل ثناء العفاة

غداة انتحوا لنداك الغزيرا

وبُلّ لنا الخَيْشُ في قَبّةِ

تعيد الشتاء وتنفى الحرورا

وحبلٌ تساقطَ قطرُ المياه

عنه إلى الأرضِ دراً نثيرا

فلو أنها نُصبت في الجحيم

لغادرها بردُها زمهريرا

وعندي تَلَجٌ توهُمته

ببياض أياذٍ أصابت شكورا

يريك بياض ثغور القيان

رأين برأسٍ محبٍ قتيرا

ويعدل عن شارببيه المزاج

ويعدل صفراءهم أن تثورا

وساقٍ أغنّ ومشمولةٌ

غدا المسكُ من ريحها مستعيرا

ومسمعةٌ تطرب السامعين

برنات طفل يشوق الكبيراً

وتُهدِي إلى القلبِ زور السرور

إذا حركت منه مثنىً وزيرا

فلا تُخَلِّنا منك يا سيدي

وكنُ بالمسيرِ إلينا جديرا

ذَكَرَ ما جاءَ في الثَّقَلاءِ

قيل لبعض الحكماء: لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل؟ قال: لأن الحمل الثقيل يشارك البدن الروح في حمله، والرجل الثقيل تنفرد الروح وحدها بحمله.
وقال بعض الأطباء لبعض الملوك: لا تكثرن شرب الدواء فإن أثر الدواء في البدن كأثر الصابون في الثوب ينفقه ويخلقه، فإن كنت لا بدّ فاعلاً، فاجتنب رؤية الثقلاء إذا شربته، فإن مشاهدة الثقيل حمى الروح، قال الشاعر:

شخصك في مقلة النديم
يا رجلاً ظلّه علينا
أنقل من رعية النجوم
إنّي لأرجو بما ألقى
أنقل من منة اللئيم
منك خلاصاً من الجحيم

وقيل: ثلاثة تشتدّ مئونتهم: النديم المعربد، والجلس الثقيل، والمغني البارد.
وقال إبراهيم النظام: إذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل وكان يقال: من خاف أن يثقل لم يثقل.
وقال الحسن البصري: ذكر الله الثقلاء في كتابه فقال: وإذا طمعتم فانتشروا، الآية؛ وكان أبو هريرة إذا استثقل أحداً قال: اللهم اغفر له وأرحنا منه. وكان الأعمش قد نقش على خاتمه، وكان حرجاً ضيق الأخلاق: أبرمت فقم، فكان إذا جلس إليه ثقيل ناو له إياه، وقال بعضهم:

ونديم جليسه في سياق
ليته مثل ما أراه يراني
ساعةً منه مثل يوم الفراق
ليلاقي من الأذى ما ألقى

ودخل أبو الهندي بيت خمّار، فوجد فيه الأخطل وقد سكر فلما رأى أبا الهندي استثقله ولم يعرفه، فقال:

ألا فاسقياني وانفيا عنكما القذى
ولكن قذاها زائرٌ لا تريده
فليس القذى بالعود يسقط الخمر
رمتنا به الأقدار من حيث لا ندري

فقال أبو الهندي:

إن كنت ندماني أبا مالك
من قهوة صهباء كرخية
فاسقٍ أبا الهندي بالكندره
تسكب من زق لنا مسند
تأخذ بالرأس وبالحنجرة
كأنما أكرعُهُ، إذ بدت،
أسحم رشاشٍ له قرقرة
أيدي لصوصٍ، قُطعت، مُنكرة

فقام إليه الأخطل فاعتقه ورحب به، وأقاما متنادمين أياماً كثيرة.

وقال أبو المستهل:

إليه طوعاً لحظةً الوامق

أثقل من واشٍ على عاشقٍ

مشتمل بالبغض لا تنتهي

يظلُّ في مجلسنا مُبغضاً

وقال آخر:

إلى الرحمن من ثقله

أيا من ضجَّت الأرض

ويا غضب الله على آدم من أجله

سوى أنك من نسله

وما كان له ذنبٌ

وجلس إلى أبي عبد الرحمن العُتبي رجل ثقيل فلم يحدث العتي حديثاً إلا عارضه بجهلٍ وقلة معرفة، فلما أبرمه أنشده:

وأنزل فرقاناً وأوحى إلى النحل

أما والذي نادى من الطور عبده

عليّ أفاسيها، وتقللاً من الثقل

لقد ولدت حواءُ فيك بليّةً

وكان رجلٌ من التجار له ولدٌ ثقيل يتقعر في كلامه، فجفاه أبوه استثقلاً له وتبرماً به، فاعتلَّ الأبُ علّةً شديدة أشفى منها على الموت، فاجتمع إليه ولده وقالوا: ندعو بفلانٍ أحياناً، فقال: والله هو يقتلني بكلامه، قالوا: ضدَّ ضمناً ألا يتكلم بشيءٍ تكرهه، فأذن لهم، فلما دخل عليه قال: السلامُ عليك يا أبتِ، قل لا إله إلا الله وإن شئتَ قلتَ لا إله إلا الله، فقد قال الفراء: كلاهما جائز، والأول أحبُّ إليّ، لأنه أخفهما، والله يا أبتِ ما شغلني عنك غير أبي عليّ، فإنه دعاني بالأمس فأهرس وأعدسَ وسبدجَ وسكيجَ وزرنج وطبهج وأمصل وأمضر وأفرخ ودجج ولوزج وأفلودج فصاح العليل: السلاحَ اسلاحَ، غمّضوني فقد سبق ابنُ الزانية ملكَ الموت إلى قبض روعي.

وقال أحمد بن الحسين الكوفي: علامة الثقل أنه يطيل الجلوس ويصدّع الرؤوس ويوجس النفوس.

وقال أبو العيناء: رب وحشةٍ أمتع من جليس، ووحدةٍ أنفع من أنيس.

وقال الأعمش: النظر إلى الثقل يميّث القلب ويذهل العقل ويسقم البدن.

وجلس ثقيل إلى بشار فأطال فضرط بشار، فقال الثقيل لبشار: ما هذا؟ قال: وما هو، أرايت أم سمعت؟

قال: بل سمعتُ صوتاً منكراً، قال: فلا تصدق حتى ترى.

وقال ابن وكيع:

وبغيض كتب البغض إليه من علامه

لست أسطيع من المقت له ردّاً سلامه

ما له عاجله الله سريعاً بحمامه

وقال الأعمش: من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلين، وكان إذا حضر مجلسه ثقیل قال:

فما الفیل تحمله میناً بأثقل من بعض جلاسنا

وأتى أبو حنيفة الأعمش عائداً في مرضه فقال: لولا أن أثقل عليك أبا محمد لعدتكَ في كل يوم، فقال له الأعمش: والله إنك لتثقل عليّ وأنت في بيتك فكيف لو جئتني في كل يوم.
وقال بشار:

ربّما يتقل الجليس وإن كان خفيفاً في كفة الميزان

ولقد قلت حين وتدّ في البيت ثقيل يُربي على ثهلان

كيف لا تحمل الأمانة أرض حملت فوقها أبا سفيان

وقال حبيب بن أوس الطائي:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته كما تبرمت الأجفان بالرمد

يمشي على الأرض مختالاً فأحسبه من ثقل طلعه يمشي على كبدي

لو أن في الخلق جزءاً من سماجته لم يقدم الموت إشفاقاً على أحد

وقال أيضاً:

وصاحب لي مللتُ صحبته أفقدني الله شخصه عجلاً

سرقت سكينه وخاتمته ليقطعا بيننا فما فعلاً

وقال الصنوبر:

أثقل من حمى إذا ما بدت ترعدُ بالنافض والصالب

لو مرّ من ميل توهمتّه قد مرّ بين العين والحاجب

ولو مشى في جانب الأرض من ثقلِ إذن مالت إلى جانب

باب في أخبار الوحدة

هذا باب لا يختاره إلا من فقد نديماً مساعداً وخليلاً موافقاً وتبرّم من معاشرة ثقيل ممن قدمنا ذكره في الباب الذي قبل هذا، فلزم الوحدة ضرورةً، إذ كانت أدعى إلى السلامة من مخالطة الإنسان غير شكله ونظيره ممن يُخشى بوائقه، ألا ترى قول أبي نواس، وهو أمير هذا الشأن وفارسه، يقول:

أخذ منها وأعطيتها

خلوت بالراح أناجيبها

أرضاه أن يشركني فيها

نادمتها إذ لم أجد مسعداً

فهذا مما يدل على فضل النبيذ، وأنه لم ينفرد بالنبيذ مختاراً، وإنما توجد بشره ضرورة إذ كانت أدعى إلى السلامة من مخالطة الإنسان غير شكله، ولقوله: إذ لم أجد مسعداً، أو ليس هو القائل:

إلا بطيب خلّاق الجلاس

والراح طيبة وليس تمامها

وقال آخر:

جعلت زقي رفيقي

لما عدمت رفيقاً

بريقه بل ريقي

فتى إذا جف ريقي

فقلت: زقي صديقي

قالوا: اتخذت صديقاً

وقال كُشاحم:

وراح في أثواب تيه وصلّف

إذا بدا لي من أخي ودّ جنّف

فكان لي فيهنّ لهو وطرف

خلوت وحدي بمناجاة الصّحف

وكن لي من كلّ ما شئت خلف

وله:

عن كل من في ندامه سُخْفُ

إذا وجدت المدام فاغنّ بها

وليس فيه من شربها خلف

فيها لنا من ندلمه خلف

مشارك، كل شركة أسف

فلا يُشارك في السرور بها

وقال آخر:

لم أجد فيما تصرفت على الكأس كريما

فشربت الكأس وحدي ثم أقصيت الندىما

وقال آخر:

أقصر فقد لهجت بعدل

أيها اللائم الذي لام في الوحدة

روحه عند كل جدّ وهزل

كيف لي بامرئٍ توافق روعي

وقال أبو الهندي:

يدي لا تعاف الكأس أنساً بشربها ولكن تعاف الكأس مع دنسٍ وغد

على مثلها مثلي يكون منادمي فإن لم أجد مثلي خلوت بها وحدي

وكان أبو نواس مع استهتاره بالنيبذ ومحبه للأخوان والمنادمة كثيراً ما يستعمل الخلوة ويغيب الغيبة المنقطعة منفرداً.

حكى يوسف بن الداية قال: غاب أبو نواس عن إخوانه فلم يعرفوا له خبراً، ولا وقعوا منه على أثر حتى مضت له سنة فظنوا أنه قد قتل، وبلغ ذلك الرشيد فقال والله لئن صحَّ عندي أنه قتل لأقتلن قاتله ولو كان محمداً، انظروا كلَّ من كان هجا من الناس فاكتبوا اسمه وارفعوه إليّ، فارتجت بذلك بغداد، فلما كان على رأس الحول إذا نحن به قد وافى فقلنا يا أبا عليّ، غبت هذه الغيبة، فغممتنا، وظننا بأمرك الظنون. قال: كنتُ في موضع أرتضيه وأشتهيه، قلنا: ألم تسمع بافتقادنا لك وقول الرشيد فيك، ولم يبق أحدٌ من إخوانه إلاَّ عدَّلهُ وعَنَّفه، فأشأ يقول:

إني لفي شغلٍ عن العاذلين بالراح والريحان والياسمين

عند غلامٍ حسنٍ وجهه قلبي حبيسٌ في هواه رهين

قولي إذا صرتُ على ظهره كقول قومٍ رحلوا ظاعنين

سبحان من سخرَ هذا لنا منه وما كنا له مُقرنين

فلما أنشدنا قال: بحياتي من يساعدي منكم حتى أريه إياه فيعذرني أو فيحسدني، فمضى بنا إلى الموضع فإذا بغلامٍ من أحسن الناس وجهاً، فقال له: بحياتي غنٌّ، فإذا هو أحسن الناس غناءً، فقال: من يلومني أن أنقطع عن أهل الدنيا وأعتكف على هذا الوجه، وقد جُمع لي فيه كل شيءٍ أشتهيه.

ولو لم تسحبَّ الوحدة على النيبذ إلاَّ لما امتحن الإنسان به من مثل ما قدمناه من ذكر الجليس الثقيل "الكفى"، بل تركُ النيبذ بالجملة أنسٌ من منادمته، والصبرُ على الوحشة أخفُّ من مؤانسته، فقال أبو

نواس:

لنا نديم لا أُسميه لكنني أكني وأعنيه

إذا انتشى خاصم في الدين إن صادف إنساً يماريه

ويدعي الشرب بلا غاية والقوح الواحد يكفيه

يحبس كأسَ القوم في كفه حتى إذا قالوا "له" إيه

أفضل ثلثَ الكأسِ في قعرها ومجَّ ثلثَ الكأسِ من فيه

وقال آخر:

ظهروا فكانوا للعيون مدامعاً
وخبفوا فكانوا للنفوس هموماً
فذلك أثرتُ التفرد والنوى
وغدوت للراح المدام نديماً
الأمير تميم بن المعز:
اشرب فما لؤم الزمان وإنما
أبناؤه مسخوا المكارم لوماً
قومٌ تناهى الجهل فيهم، وانتهى
بهم، وعوجَّ منهم التقويماً

ذكر ما جاء في استهداء النبيذ

قال مياديس الحكيم: الخمرة لا عارَ على طالبها ولا منقصةً في استهدائها ولا يجري ذلك في شيءٍ من المآكل، ولا حشمةً في طلب الخمرة ولا حياءً، فإنك لترى الفقير يطلبها من الغني والغني يطلبها من الفقير بلا أنفةٍ لأنها صديقة روحه ومخالطة جسمه، بما ابتهاجه ولذته، ومنها ارتياحه ومسرته. وكان لإسحق بن إبراهيم الموصلِي غلامٌ قد رباه وعلمه فصار من أحذق الناس بنجز له النبيذ يوماً فكتب إلى إبراهيم بن المهدي:

جعلت فداءً الأمير، حضرتي بيتٌ فصنعت فيه لحناً ورويته بُديحاً ووجهته إلى أمير وأمرته بإنشاده إياه، قال: فسار بديح إلى إبراهيم فغناه الصوت وهو:

نديمي قد خفَّ الشراب ولم أجد
له سورة في عظم رجلٍ ولا يد
فضمَّ إليه إبراهيم هذا البيت:

فدونك هذا الرِّيِّ فاشرب مسلماً
فلا خير في الشرب القليل المصردِ
وبعث إليه ثلاثة أبغل عليها ألوان الشراب مجللة بأثواب ديباج وثلاثة غلمان روم وأجاز بديحاً بجائزة سنِيَّة حسنة.

وكتب محمد بن علي بن بسَّام يستهدي نبيداً:

قد سقتنا من ماءٍ مُزِنٍ
ولأعني على الزمان فإني
فاسقنا من سُلَّاف صفو الدنانِ
بك أرجو دفاع صرف الزمان

وكتب إسحق بن إبراهيم الموصلِي رقعةً إلى أحمد بن معاوية يستهديه نبيداً فبعث إليه بدنٌ فلما توسط الغلام الجسر رجمه بعض المارة فكسره، فلما صار إلى إسحق وأخبره أعاده إليه برقعةً فيها:

يا أحمد بن معاوية
إني رميت بدهية

أشكو إليك وأشتكي

كسر الغلام الخابية

يا ليتها سلمت وكان فداءها ابن الزانيو

فبعث إليه بدنين.

وقال الصنوبري:

ما شفاني إلا النبيذ فما رأيك في أن تجود لي بشفائي

وليكن صافياً إذا لحظته العين فازت منه بحسن الصفاء

فهو مثل الهواء في رقة الصنعة بل لا يجوز حدّ الهواء

مُلبسٌ لوئنه الإناء شُعاغاً=هو من ظاهر الإناء بإناء

مثل ريق العذراء في اللون والتوريد في صحن وجنة العذراء

وكشمّ المعشوق يشتمه العاشق في غفلة من الرقباء

وكتب أبو البصير الشاعر إلى صديق له: كتبت إليك في آخر يوم من أيام الدنيا بخروج شعبان وأول يوم من أيام الآخرة بدخول رمضان، ولا نبذ عندي فابعث إليّ من نبذك ما أكون به ضيفك في بيتي والسلام.

واستهدى أبو شراعة من سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم الباهلي نبذاً، وكان على أبي شراعة يمين ألا يصحو من أيام الأسبوع يوماً واحداً. وكتب إليه: أستنسى الله في أجلك، وأستعينه من المحذور فيك، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة بك، الكرم منك سحياً مطبوعة، وعن غير كلاله ورثته، موسى أبوك، وسعيد جدك، ففي أيّ درجات المجد يطمع قرينك على أن يستولي على الأمر دونك. فبعث إليه شراباً كثيراً، وكتب إليه: وصلت إليّ ذات الحسب العتيق والمنظر الأنيق فسرت القلب وطردت الغم، ولأمت الروح، ونفت الهم، لها نفحة المسك والكافور، وتضوع العنبر والعبير، تدب خلال ضلوع الفتى، ديب رياً الروضة المنعش، إذا فتحت عبقت ريحها برياً البنفسج والمردقش.

وأهدى عبد الله بن الحسين بن سعيد إلى البحري شراباً أصفر في زجاج أزرق، فكتب إليه:

من خير ما تبرّعت تُهدي

طرقتنا تلك الهدية والصهباء

ذهباً يستتير في اللآزورد

لبست زرقه الزجاج فجاءت

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له:

والشرب مجتمع والورد منتثر

عندي غناء وأوان من الزهر

وليس يصلحنا إلا النبيذ وما
فنحن مثل رحي الطحان أحضرها
في ظرفنا منه إلا الريح والأثر
حباً لتطحنه والقطب منكسر

وقال آخر:

إني لأظهر للربيع محبةً
ما للمدام تأخرت عن فتية
إذ كنت أعتد الربيع أخاكا
ما كان صوب المزن يطمع قلبها
عزموا الصبوح وأملوا جدواكا
تجلو برونقها العيون إذا أتت
في أن يجيء نداءه قبل نداكا
عفواً ونشربها على جدواكا
يغني النديم عن الغناء حديثنا
بمحاسن لك لم تكن لسواكا

قال محمد بن يزيد، وكتب أبو تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذاً:

جعلت فداك عبد الله عندي
له لمة من الكتاب بيض
بعقب الهجر منه والبعاد
واحسب يومهم إن لم تجدهم
قضوا حق الزيارة والوداد
فكم يوم من الصهباء سار
مصادف دعوة منهم جماد
وآخر منك بالمعروف غاد

وقال ابن المعتز:

أما ترى اليوم في سحائبه
وليس في الدن غير قوت فتى
قد ضحك البرق في جوانبه
فامنن علينا من المدام بما
يعجز بعض عن قوت صاحبه
نقضي به اليوم حق واجبه

باب أدب السقاة

يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ساقى القوم آخرهم شرباً. وأتى عليه الصلاة والسلام بإناء من لبن فشرب منه، وكان على يمينه غلامٌ حديث السن، وعن يساره أبو بكر "رض" ودفعه إلى الغلام، وقال: الأيمن فالأيمن. ومما دل على مذهب الجاهلية في إدارة الكأس على اليمين قول عمرو بن كلثوم:

صددت الكأس عنا أم عمرو
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا
بصاحبك الذي لا تصبحينا

قالوا: ولا ينبغي أن يكون الساقى إلا مليح الوجه نظيف الثوب طيب الرائحة أديباً ظريفاً إن سكر أحد من الشراب فأشار إليه بالإعفاء من النيذ، فعل، ولم يُكره أحداً على الشراب، وأدار الكأس عن يمينه، فإن الأدب فيه موافقة سنة الإسلام لمذهب الجاهلية.
قال عبد الله بن المعتز بالله:

قد حنّني بالكأس أبل فجره
وكان حمرة خده من لونها
حتى إذا صب المزاج تبسمت
ساق علامة دينه في خصره
وكان طيب نسيمها من نشره
عن ثغرها فحسبتها من ثغره

وقال أبو نواس:

لا نستخف بساقينا لغرته
ولا يرُدُّ عليه حكمه أحد
وقال أبو نواس أيضاً:

عوجا بنا نصطح معنقة
يخبر عن طيبه مجالسه
قال له الله كن على قدر
حتى إذا ما الجمال تم له
ما تنظر العين منه ناحية
من كف ظبي يسقيها، فطن
مكتحل المقلتين بالفتن
فكان بين الهزال والسمن
والظرف، قال له كذا فكن
إلا أقامت به على حسن

وقال ابن المعتز:

يطوف بالراح بيننا رش
أفرغ نورا في قشر لؤلؤة
يكاد لحظ العيون حين بدا
مُحكّم في القوب والمقل
فحل عن قيمة وعن مثل
يسفك من خده دم الخجل

وحضر قوم من أهل الأدب عند علي بن محمد العلوي فأبرز غلاماً له نفيساً في قراطقه فجعل يسقيهم ويستحثهم فأخذت عيونهم منه مأخذها، فلما رأى ذلك مولاه أمره بالانصراف وتولى هو سقيهم وخدمتهم وأنشأ يقول:

كأنما يسعى، لوجدي به،
أغار من وقفته كلما
حتى لقد أمسوا، وهم إخوتي
من بينهم في ثني أحشائي
قال لحاسي الكأس مولائي
من شدة الغيرة أعدائي

واصطبح أبو تمام يوماً عند الحسن بن وهب، وكان مع أبي تمام غلامٌ له رومي يجبه حباً شديداً، وعلى رأس الحسن غلام آخر كأنه الشمس، فطفق الحسن يلحُّ بالنظر إلى الرومي، فلما أدمن ذلك؛ دعا أبو تمام بدواة وقرطاس وكتب فيها:

سبحان من سبّحته كلُّ جارحةٍ ما فيك من طمح العينين والنظرِ
إن أنت لم تدع السير الحثيث إلى جآذر الرُّوم أعنقنا إلى الخزر
فاستحيا الحسن بن وهب، ووهب له الغلام.
وقال أبو نواس:

غادِ المدام بكفِّ ظبيِّ أهيفِ يسقيكها صرفاً وغير مُصرِّفِ
وشت العُقار بوجنتيه فأبدتِ للناس وردَ حديقةٍ لم تُقطفِ
فالق الحرام، إذ لقيت، بمثله وامزج سلافة ريقه بالقرقفِ
وقال أيضاً:

لا تبكِ ربعاً أقوى ولا طللاً ولا تصفِ ناقةً ولا جملاً
وعاطني قهوةً إذا مُزجت أرتك منها في نفسها شُغلاً
بكف ساقٍ يُزهي على غصنِ البانِ إذا ما انثنى وما اعتدلاً
إذا سقاني العُقار جمشهُ طرفي فيحمر خدُّه خجلاً
وقال أيضاً:

طاف في قرطقي وقد عقد الزنار من فوق خصره تسعينا
بعقار تنفي الهموم وتستخرج شوقاً من الفؤاد دفيناً
طاف سعياً بها فخلت طلوع الشمس ليلاً والبدرمما يلينا

ولقد راع ذاك قوماً على بعدِ فصاحوا: الصلاة يا غافلينا
وقال أيضاً:

وقائل لي: أفق يوماً، فقلت له من سكرة الحب أو من سكرة الكاسِ
لا أشرب الراح إلا من يديّ رشياً مهفهف كقضيب البان مياسِ
قل للذي لام فيه هل ترى كلفاً بأملح الناس إلا أملح الناسِ

ومن الناس من يختار سقي الوصائف المقرطقات المنصّقات المتشبهات بالغلّمان رشاقةً وخفةً.
قال أبو نواس:

من كف ذات حرّ، في زيّ ذي ذكرٍ
لها محبّان لوطيٌّ وزنّاءُ
قامت بإبريقها والليل معتكّر
فلاح من وجهها في البيت لألاءُ
فأفرغت من فم الإبريق صافيةً
كأنما أخذها بالعقل إغفاءُ
رقت عن الماء حتى يمازجها
لطافةً، وجفا عن شكلها الماءُ

وقال ابن المعتز:

لا شرب إلا بكفّ ساقيةً
ذات دلالٍ في طرفها مرّض
كأن في الكأس حين تمزجها
نجوم درّ، تعلق وتنخفض

وقال الصنوبري:

عاتق في الدنان بكرٌ أدارتها علينا عواتقٌ أبحارُ
كل مجدولةٍ يجول الوشاحان على خصرها ويشجى السوار
يُقطف الياسمينُ من جسمها الرطب ويُجنى من خدّها الجُنارُ

وقال ابن المعتز:

قد سقتني خمراً وريقاً كخمرٍ
بنت عشرٍ في كفّها بنت عشرٍ
ذرف في وجهها الملاحه ذرّاً
خالقٌ هزّ غصنها تحت بدرٍ

وقال آخر:

وساقٍ صبيحٍ دعوته
فقام وفي أجفانه سنة الغمضِ
يطوف بكاساتٍ علينا كأنجمٍ
فمن بين منقضٍ وغير منقضٍ
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً
على الجواد دُكنا وهي خضرٌ على الأرض
يطرّرها قوسُ السماءِ بحمرةٍ
على أخضرٍ في أصفرٍ وسط مبيضٍ
كأذيالِ خودٍ أقبلتني لائلٍ
مصبّغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضٍ

وقال ابن المعتز:

لبسنا إلى الخمار والنجم غائرٌ
غلالة ليلٍ طرّزت بصباح

فظلت تدير الكأس أيدي جآذرٍ

عتاق دنانير الوجوه ملاح

وقال:

درى كيف يطرد أوجاله

فروى من الخمر أوصاله

وبادرها قهوةً مرقتقرب للمرءِ أماله

أوفى به السعدُ إكماله

بكفٌ هضيم الحشا كالهلل

ولولا مخافة ربِّي لقلتُ= لم يخلق الله أمثاله وقال:

تدور علينا الكأ من كفٌ شادين

له لحظ عين يشتكى السقم مُدنفُ

كأن سلاف الخمر من ماء خدّه

ز عنقودها من شعرها الجعد يُقطف

وقال البحترى:

ألا ربَّ كأسٍ قد سقاني سلافها

رهيفُ التثنِّ، واضح الثغر أشنبُ

إذا اختضبت أطرافه من شعاعها

رأيتُ لجيناً بالمدامة يُذهب

وقال أبو نواس:

ومهفهف يجري الوشاح بخصره

ويضيق عنه دملجٌ وسوارُ

نازعه صهباء تحسب أنّها

برقٌ تألّق ضوءه أو نار

وقال الصنوبري:

وهضيم الحشى يجول وشاحاه

ويشجى الردفين منه الإزار

ثغره لؤلؤٌ، وريقته خمر

شمولٌ وخدّه جُلنار

هو كالبدر بل إن نورَ البدر

من نور وجهه يستعارُ

صرعتني عقار عينيه سُكراً

قبل تسطو براحتيه العقار

وقال ابن المعتز:

ونداماي في شبابٍ وعيشٍ

أتلفت ما لهم نفوسٌ كرامُ

بين أقداحهم حديثٌ قصيرٌ

وهو سحرٌ وما عداه كلام

وكان السقاة بين الندامى

ألفاتٌ على السطور قيام

باب ما جاء في السكر

يقال: إشرَب من النبيذ ما لم يشرب عقلك. وقيل للرّياشي: ما حدُّ السكر؟ قال: أن تعزّب عنه الهموم ويظهر سرُّه المكتوم، والناس في السكر على ضروب؛ منهم من تراه يشرب وهو يتحدث لا تنكر منه شيئاً حتى يغلب عليه السكر ضربةً واحدةً، ومنهم من تراه يأخذ منه النبيذ الأول فالأول. وتراه كيف تنقل حركته، ويغلظ حسُّه ويُمتحق عقله حتى يطمس عليه السكر، ويطبّق عليه النوم، ومنهم من يأخذه السُّكر بالعبث لا يعدوه، ومنهم من لا يرضى ما دون السيف، ولا بأن لا يضرب أمه ويطلق امرأته، ومنهم من يعتريه البكاء والضحك، ومنهم من يعتريه الملق والتفدية والتسليم على المجالس والتقبيل لرؤوس الناس، ومنهم من يشبُّ ويرقص ويعرض له ذلك لضربين، أحدهما من فضل الأثر والآخر من تحريك المرار، ثم اختلافهم على قدر اختلاف طبائعهم وبلداتهم وأزمانهم وأسنانهم وأخلاقهم، ومن الناس من لا يسكر البتة، كان منهم محمد بن الجهم. وقالوا: العقل كالمرآة يرى صاحبه فيه مساوئه، فلا يزال في صحوه مهموماً حتى يشرب النبيذ فيصداً عقله بمقدار ما يشرب فإذا كثر، غشيهُ الصداً كله، فلم تظهر فيه صورة تلك المساوئ له، ففرح ومرح، والجهل كالمرآة الصدئة أبداً، فلا يرى صاحبه إلاً فرحاً، شرب أم لم يشرب.

وسأل قيصر ملك الروم قُسن بن ساعدة الإيادي عن السُّكر قال: زعموا أن القلب يُصعد سورة الشراب إلى الرأس بالقوة التي جعلت فيه، فإذا احتوت على الدِّماغ حجبت العقل عن منافذه فاحتجب البصرُ بغير عمى ولا نوم، والسمعُ بغير صم واللسان بغير خرس، فلا يزال بذلك حتى تفكّه الطبيعة من إसार السكر قال: فتقول، إن السكر يذهب بشيءٍ من عقله، قال: ما أنكر ذلك لأنه يدخل على العقل داخل ليس كالنوم الذي جعل فيه صلاح البدن، فيقهره ويأخذ منه فيوهنه، وكل مأخوذ منه مستفيض، وكل مقهور ضعيف، قال: فتشربه أنت؟ قا: نعم، ولا أشرب منه ما يغير عقلي. قال رجل: رأيت يونس بن عُبيد فضحك، فقلت: ما يضحكك؟ قال: مرَّ بنا سكران فسلم علينا، فلم نرد عليه، فقعد يبول في وسطنا فقلنا: ويحك، ما تصنع؟ قال: ما ظننت أن هاهنا أحداً. لقي سكران أبا حنيفة، فقال له: يا أبا حنيفة لقد أحسنت إلينا في تحليلك النبيذ، فقال: ما أحسنتُ حين يشربه مثلك، وقال الشاعر:

رهبان دير سقوني الخمر صافيةً
مشوا إلى الراح مشي الرُّخ وانصرفوا
مثل الطواويس في دور السلاطين
والراح تمشي بهم مشي الفرازين
غدوا إليها كأمثال السهام مضت
عن القسيِّ وراحوا كالعراجين

وكان شربهم في بدء مجلسهم

شرب الملوك وباتوا كالمساكين

وقال ابن شبرمة: مررت برجل سكران وقد ألقى عنه ثيابه وهو يبكي بكاءً شديداً، ويقول: وا أسفني عليهم، ليت الأرض أخرجتني إليهم، فقلت: من هؤلاء الذين تتقلب عليهم بهذا الغيظ، قال: إخوة يوسف، ألقوه في البئر حتى أكله الذئب، قلت له: إن الله خلصه من الجُبِّ، ولم يأكله الذئب، ولا الأسد، فقال: بشرك الله خير وأحسن جزاءك، وأغمد خنجره ولبس ثيابه وانصرف.

وقال بعض الأدباء: كنت مستشفراً على سطح لي بالبصرة، فجاء سكران، عى فوقف في ظل الجدار، والليل مقمر، فأوهمه السكر أن ضوء القمر نهر، فنادى: يا ملاح، قرب السُّمارية، قرب ويحك السُّمارية، مراراً، فلما لم يجبه أحد، وطال ذلك عليه، نزع ثيابه ورمى بنفسه على الأرض كما يرمي السابح نفسه في الماء، فتهشم وجهه وتكسر أنفه، وجعل يضرب يديه ورجليه كأنه يسبح.

ونظر رجل إلى صديق له سكران، وقد حمل في كساء على رأس حمال، وأخرج رأسه من الكساء، فقال له: فلان ما هذا؟ قال: بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة.

قال أبو عثمان الجاحظ: وممن لا يسكر أبو عبد الله العمي، وإن بني عبد الملك الزيات دعوني مرة ليعجبوني منه ولا يبهوني على هذه الخاصية التي فيه، لأكون الذي ينبه عليه، فدخلت على رجل قدم ضخم، غليظ اللسان، عليه من الكلام مئونة شديدة حتى تظن أن كلامه كلام مهموم أو مجنون، فشرب القوم شرب الهيم، وكنت كأني من النظارة، فما زال العمي يشرب رطلاً بعد رطل، ولسانه تنحل عُقده وذهنه يصفو وكدره يذهب، فأقبلت على القوم أعجبهم منه، فقالوا لولا مكان هذا العجب ما عنيك اليوم وعرعوني أنه كثير المنازعة عند القضاة، ولكن بعد أن يشرب عشرة أرطال، فإذا فعل ذلك قطع الخضم اللحن بحجته واستمال رأي القاضي القطوب المنعقد.

قال الشاعر:

وجدت أقل الناس عقلاً إذا انتشى

أقلهم عقلاً إذا كان صاحياً

يزيد حسا الكأس السفية سفاهةً

ويترك أخلاق الكرام كما هيا

وقد رأينا أسفه الناس صاحياً أحل الناس سكران، ورأينا أحسن الناس خلقاً وأرزهم حلماً، حتى إذا دخل رأسه رطل نبيذ صار أخف حلماً من فراشه، وأكثر نزقاً من جرادة، وإن المثل بهما يضرب. وكان محمد بن سليمان، إذا كان على البصرة، سقى سائر الحيوان الشراب ليختبر سكرها، فوجدها في اختلاف

أحوالها كاختلاف الناس في أحوالهم، فزعم أنه لم يجد في جميع الحيوان شيئاً أملك سكرًا من الظبي، وقال ابن ميادة:

حمراء مثل سخينة الأوداج

ولقد سبقت العاذلات بقهوة

ملكٌ يُعصَّبُ رأسه بالتاج

تدع الغوي كأنه، في نفسه،

تحت العراق يُشدُّ بالأحداج

ويظل يحسب كل شيء حوله

وسكر رجل فجعل يكي بكاءً شديداً فقيل له: ما يبيكيك؟ قال: لأن طالوت قتل جالوت ظلماً ولم أحضر لنصرتة.

ومررت يوماً بحسن المصري وقد انصرف من عند أحمد بن الدهان الكاتب، فلما كان ببعض الطريق غلب عليه السكر فسقط ونام فتقياً وملاً لحيته وثيابه، فجاء كلب فجعل يلحس فمه، ففتح عينيه وقال له: خدمك بنوك وبنو بنيك، فلما فرغ منه رفع رجله وبال عليه، وأمرت من يحمله إلى داره. وقال بعض العلماء حرم الله عز وجل السكر الذي يزول معه العقل، وكذلك هو في كل شريعة لأن كثيراً من الناس يأتي في سكره من السخف والقبائح والأحوال الدنيئة ما لا يرضى به لنفسه عاقل، كزوال العقل، وبطلان الفهم، وهما أشرف ما في الإنسان مع استرخاء الجوارح، وخدر الأعضاء، حتى إن السكران أن لا يملك دفعاً لمكروه عن نفسه، ومن ضيغ أشرف ما فيه وأبطله وأصار نفسه إلى هذه الحال فقد عرض نفسه للتلف إذ كان لو أراد أحدٌ بكيد ما قدر على دفعه، ولو قصده بكل مكروه ما أمكنه أن يمنع نفسه منه، ثم هو مع ذلك يضيع فرائضه وما أخذ الله عليه أن يفعله، وقد ألزمه الله تلك الفرائض ونهاه أن يدخل على نفسه ما يقطعها عما أمره به فقال عز وجل: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون. يعني: لا تشربوا ما يكون السكر منه وزوال عقولكم ولا يمكنكم أن تصلوا وتقيموا قراءتكم وسائر فرائض الصلاة الواجبة عليكم تأدياً منه لعباده وإرادة للمحافظة على الصلاة والقيام بما أوجبه الله علينا منها.

والسكران عند العرب هو الذي أزال الشراب عقله، ومنه سكرت النهر أي سددت مجراه. ركب المأمون يوماً فإذا بثمامة بن أشرس سكران، فتواري ثمامة عنه، فقصده المأمون حتى وقف عليه، وقال

ثمامة؟ قال: إي والله، قال: سكران؟ قال: لا والله، قال: أفتعرفني؟ قال: إي والله، قال: فمن أنا. قال: لا أدري والله، قال: عليك لعنة الله، قال: ترى إن شاء الله، فضحك ثم أمر بتشيعه إلى منزله. وقال الرقاشي: حدُّ السكر أن يُعزبَ عنك الهموم ويظهر منك المكتوم.

قال البلاذري: كان ابن هرمة، مغرباً بالنيبيذ، فمرَّ يوماً على جيرانه، وهو شديد السكر حتى دخل منزله، فلما كان من الغد، دخلوا عليه فعاتبوه على الحالة التي رأوه عليها، فقال: أما علمتم أي في طلب مثلها منذ دهرٍ، فما قدرت عليها، أما سمعتم قولي:

أسأل الله سكرة قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران

قال: فنفضوا ثيابهم وخرجوا وقالوا: ليس يفلح هذا أبداً.

قال سهل بن هرون: ثلاثة من المجانين: الغضبان والسكران والغيران، فقال رجل: والمنعظ، فضحك وقال:

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

وقال المنخل يشكري:

ولقد شربت من المدامة بالصغير واللكبير

ولقد شربت الخمر بالخيال الإناث

وبالذكور

رب الخورنق والسدير

فإذا سكرت فإنني

رب الشويهة والبعير

وإذا صحت فإنني

يا رب يوم، للمنخل قد لَهَى فيه، قصير

وفي السكر يقول الآخر:

ولقد شربت الخمر حتى خلنتي لما خرجتُ أجرُ فضل المنزِر

قابوس أو عمرو بن هند قاعداً بحاليه ما دون دارة قيصر وقال الفلاسفة: ينبغي لشارب النبيذ ألا يتجاوز فيه مقدار طاقته، وأن يتفقد نفسه تفقداً شديداً فمتى أنكر رأيه وفكره وحركات بدنه وقوته أمسك عن شربه ولم يمعن فيه حتى يختلط لأن السكر إنما يكون مع بخارات غليظة نية غير نضيحة ترتفع إلى الدماغ فتستره كما يستر السحاب الشمس فيحول ذلك البخار بين العقل وبين ما يشرق عليه من قوة النفس والطبيعة فتسترخي لذلك الأعضاء والأعصاب كلها، وتضعف الحواس ويفسد الفكر ويغشى النعاس.

وروي الواقدي أن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا وأخي عبد الرحمن وعقبة بن الحارث غزاة، ونحن نريد الإسكندرية، فلما قدمنا مصر، شرب أخي وعقبة فسكرا فلما أصبحنا انطلقنا إلى عمرو بن العاص وهو يليها لعمر فقالا له: طهرنا، فإنا قد سكرنا من شراب شربناه؛ فجلدهما الحد في صحن داره، وبلغ ذلك عمر فكتب إلى عمرو بن العاص: أن أبعث إلي عبد الرحمن بن عوف، وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم

عليه الحدُّ، وما لك أن نقيمه عليه ثانية، فلم يلتفت عمر إلى قوله وجعل عبد الرحمن يصيح: إني مريض، وأنت قاتلي، فضربه الحد ثانية، فما زال مريضاً حتى مات، وقال له في مرضه هذا: يا أبتِ، قتلتني، فقال له: يا بني، إذا لقيت ربك فقال لك: فيمَ قتلك أبوك، فقل: أي ربّ فيك.

قال بعض الحكماء: لا فضيلة في السكر سوى فقدان الهموم وذلك عندنا لا يفني بفقدان العقول. وقالت الفلاسفة: في السكر الشديد أنواع من العلل أقلها أنه يورث الارتعاش في اليدين حتى لا يُمسك بهما شيئاً، وقد أكثروا ذلك في أشعارهم، وربما أورث السكتة والفالج واللقوة، وقد حمد قوم السكر من الشراب، وقالوا: إنما اللذة كلها فيه لأنه يستطيب من السماع ما لم يكن يستطيه صاحياً، ويستحسن حديث ندمائه ويخفون على قلبه ويهون عليه ما أنفقه وإن كان جليلاً وتسخو نفسه عنه وإن كان بخيلاً وتبسط آماله وتذهب غمومه وهمومه وتكثر أفراحه وسروره، وذلك كله قبل الاختلاط وعدم الحسِّ. وكان السُّرادقُ الدهلي مولعاً بالشراب فمرَّ بمجلسٍ من مجلس الأزد وهو سكران ورجلاه تضطربان من السكر فتغامزوا عليه، وقال شاب منهم: سكران، سكران، فأقبل عليه السُّرادق وقال:

معاذ إلهي، لست سكران يا فتى

وما اختلفت رجلاي إلا من الكبر

ومن يك نهباً لليالي ومُرْها

تدعه قليل القلب والسمع والبصر

وكان الأقيشر الأسدي مولعاً بالشراب، فأخذه الأهوان بالكوفة وقالوا: سكران شارب خمر، فأنشأ يقول:

يقولون لي أن قد شربت مدامة

فقلت لهم: لا بل أكلتُ سفَرجلا

وسأل بعض الملوك حكيماً عن السكر وما يُحدثه، فقال: أيها الملك، مسكن العقل في الدماغ، وهو للإنسان كالمرآة يريه محاسنه ومساويه، فإذا شرب الرجل الخمر صعِد من بخارها إلى الدماغ ما يحول بينه وبين عقله كما تحول الغمامة بين العيون وبين الشمس المضيئة فيكون مقدار ما يغشى مرآة العقل من الصداً بقدر إكثاره من الشراب وإقلاله منه، فإذا نام على ذلك ذهب الصداً شيئاً فشيئاً حتى يصحو، قال: فهل يعود العقل بكماله، قال: وما أنكر نقصانه، لأننا ما رأينا شيئاً ذهب جملةً فعاد جملةً. ولم يصف أحدُ السكران كما وصف الأخطل فإنه قال:

صريع مدام يرفع الشرب رأسه

لِيُحْنِي وقد ماتت عظامٌ ومفصلُ

تهاديه أحياناً، وحيناً تجرُّه

وما كان إلا بالحشاشة يعقلُ

إذا رفعوا عظماً، تحامل صدره

وآخر مما نال منها مُخبَّلُ

وأخذ الوالي في الليل رجلاً سكران، فقال له: من أنت؟ قال:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره

وإن نزلت يوماً فسوف تعود

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره

فمنهم قيام تارة وقعود

فقال: قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: تجاوزوا عن ذوي الهنات، خلّوا سبيله، فلما أُطلق قال له أصحابه إنه ابن باقلاني، فقال: إن لم يترك لنسبه ترك لأدبه.

وكان بالبصرة خياط أحذب مولع بالشراب، فشرّب ليلةً فوق سطح فمشى وهو سكران فوق على حديثه فذهبت وصارت به أدرة عظيمة، فدخل إليه جيرانه يهتئونه، فقال لهم: جئتموني للتهنئة، ولم تعلموا أن الذي جاء شرٌّ من الذي ذهب.

وقال رجل لسعيد العامري: لقد حظيت بكثرة المال، قال: فإني بعثت مالي كله بحبة من عقل عفان الموسوس، قال: وأي شيء رأيت من عقله؟ قال: رأيت يوماً وقد وقف عليه رجلان أحدهما سكران، فجعل السكران يفتري عليه وهو يفتري على الصاحي، فقلت له: ألا تشتم الذي يشتمك؟ قال: لا، لأن معه شيطاناً لا أقوى عليه، فالتفت إليّ السكران وقال: يا ابن الزانية، تحرضه على شتمي، ورفع حجراً من الأرض فشجني به، ومرّ يعدو، فقال عفان: من هذا فررت.

وزار عبادياً رجلاً من إخوانه فأجلسه على مصلى نظيف وغداه وسقاه، فسكر الضيف وسلح على المصلى، فأخذ العبادي بيده وأدخله الكنيف فنام فيه، فقال: فديتك يا سيدي، أنت تخري حيث ينام الناس، وتنام حيث يخرون.

وحكي عن ابن أحمد البصري أنه دخل على قوم يشربون فرأى فيهم رجلاً سكران، فأقبل يكبر ويهلل، فقيل له: ما بالك؟ قال: لم أر سكران قبل هذا، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: كنت أسكر قبل الناس فلا أراهم إذا سكروا.

وذكر حمدون النديم أن إبراهيم بن المهدي دعا جماعة من أصحابه بحيث يصبطحون عنده، فجاء مخارق سكران لا فضل فيه، فعاتبه إبراهيم، فقال: لا والله أيها الأمير، ما كانت آفتي إلا أن سليم بن سلام مرّ بي فغنى صوتاً له، صنعه قريباً فشربت عليه إلى السحر، قال: وما هو، أنشده وغناه:

إذا كنت ندماني فباكر مداماً

معتقة زُفت إلى خير خاطب

تردّت رداء الحسن في غير ناظرٍ

ومدّها لها عمر فطابت لشارب

قال المدائني: لقي طائف من أهل خراسان سكران بالكوفة فأخذه، وقال: أنت سكران، فأنكر ذلك، فقال: إقرأ حتى أسمع، قال: نعم ثم قال:

بعدما شاببت وشابا

ذكر القلب الربابا

لا نرى فيه ارتيابا

إن دين الحب فرضٌ

فخلاه، وقال: قاتلكم الله ما أقرأكم للقرآن سُكارى وصُحاة.

وقال محمد بن زياد الثقفي: مررت ذات ليلة بباب الشام، والقمر يزهو، فإذا شيخ سكران، متوشح في إزارٍ أحمر وبين يديه قنينة، وهو يخاطبها ويقول:

إلا كَألفِ فتىٍ مقادمةٍ بطل

عشرون ألف فتىٍ، ما بينهم رجلٌ

ففرَّغوها وأوكوها على الإبل

كانت عيائبهم مملوءةً ذهباً

فقلت له: أحسنت لله أنت، أبو من؟ أعزك الله، قال: أبو عيشونة الخياط، قلت: ومن هؤلاء الصعاليك الذين وصفت في شعرك، قال: فتیان الوغى وفرسان الهيجاء، شهدت بهم حروب الأيمن وصليت معهم نيران فتنة المستعين ولولا "ما" خامر قلبي من الجوى وأخرس لساني عن الشكوى لحدثك عن حروبنا يوماً فيوماً وساعةً فساعة، فقد حاربت صعاليك الفتیان وسابقتهم إلى غاية كل ميدان، واعترف إليّ كل فاتكٍ وأذعن لي كل شاطرٍ، ونزلتُ هذه الدار ثلاثين سنة، وأشار إلى السجن ببغداد، ثم تنفس الصعداء، فقلت: ومن عشيقك هذا الذي همت به حتى أذهل لَبَّك وخامر هواه قلبك، قال: حبيب لي بالبصرة، علَّقتَه وهو ابن سبع عشرة سنة، ثم غبت ثلاثاً وأربعين سنة، فلما عيل به صبري، خرجت إلى البصرة فطفت في أزقتها وشوارعها حتى رأيتَه وقد خضب الشيبُ عارضه، فما كدت أعرفه إلا بسحر عينيه ورفيف ثنبيه وأنا الذي أقول فيه:

وجفون لا تنامُ

لي فؤاد مستهامُ

ودموع مثل صوب القطر في خدي سجامُ

وحبيب كلما خاطبته قال: سلامُ

قال لي: ذاك حرامُ

فإذا ما قلتُ صلني

وكان فراغ قنينته بفراغه من إنشاد هذه الأبيات، ثم نام فانصرفت متعجباً منه.

وأبي علي بن أبي طالب "رض" بالنجاشي وهو سكران في شهر رمضان فجلده ثمانين لشربه، وجلده عشرين بعدها، فقال: ما هذه العلاوة يا أبا الحسن، قال: لإفطارك في شهر رمضان وولدانا صيام.

وإذا أكثر الإنسان من الشراب وأفرط فيه سدَّ مجاري الروح المنحدرة من الدماغ إلى سائر البدن، فامتنتع الروح من النفوذ إلى الأعضاء فعدمت عند ذلك الحركة بالحس والنبض والتنفس، وإذا كان كذلك بطل الحيوان لأن الحيوان مشتقُّ من الحياة بالحركة، وإذا لم تكن حركة صار في عداد الميتة والحجارة والتراب.

مثال ذلك؛ إن الماء الكثير يميت النبات ويذهب به، وكان القصد منه حياته وكل مفرط قاتل، وكذلك الدهن إذا كثر حتى يغمر السراج أطفأه، وقد رأينا الإكثار من الشراب يؤلِّد السكنة والفالج وموت الفجأة والأمراض الحادة مثل البرسام والذبحة وآفات كثيرة وبلبات عظيمة؛ زونجد الذي يشرب الشراب بهدوء وقرار وسكون وبمقدار معتدل، ويكون إلى النقصان عن الحد أقرب منه إلى الزيادة، كيف يزهر وجهه ويظهر فرحه وسروره مع قلة كلام بل بعقل ورزانة من غير تخليط ولا عيب ولا سوء خلق وشيمة، فكأنه ملك، والذين معه ممن تجاوزوا الحدَّ شياطين، فهو يعجب من أفعالهم ويحسبها عليهم لأهم خرجوا من حدِّ الإنسانية وصاروا في حدِّ القروود فيكثر الواحد منهم حتى يذهب عقله، ويرمي بنفسه كالميت، هذا إن لم يصارع ويؤايب ويقاوم وربما خرج إلى الطرقات وتعرَّض للآفات؛ فأى علة مستعجلة لا تحل بهذا وأي خلط لا يجتمع في بدنه، أم أي مرض لا يحدث به، فإذا انتبه من سكرته، وأفارق من علته، رأيته منكسر اليدين مخموراً مصدِّع الرأس، فإن دخل الحمام على ذلك الامتلاء فأى شيء "مانع" للسكنة أن تناله، والآفات أن تحل به، ثم إنه يعود بعد ساعة إلى شر مما كان فيه، ويوقل: ما دواء الخمار إلا الخمر، فيشرب ولا يقتصد، وقد ضعفت القوى، وكلت الأعضاء فتتحدَّر إليها المواد لسرعتها إلى العضو الضعيف، فليس نعجب لمن كان هذه حالته أن تكثر أمراضه وتعظم أوصابه، ويقبل عمره، وتنصرم ليلته.

وسئل بعض حكمائهم عن السكر فقال: مجلبة للبلايا والآفات وسائر الأسقام والعاهات، ومفرِّق بين الأرواح والأبدان، وكل ذلك من الامتلاء والكثرة، وأنشد أبو عباد النمرى قول ابن ميادة:

قوراء بين جوازلٍ ودجاج

حُبِسَتْ ثلاثةٌ أحرسٍ في دارةٍ

ملك يُعصَّبُ رأسه بالتاج

تدع الغويَّ كأنه في نفسه

تحت العراق يُشَدُّ بالأحداج

ويظل يحسب كل شيءٍ حوله

فحين سمع أبو عباد البيت قال: لو وجدت حمراء ياقوتية ذهبية أصفى من عين الغراب وعين الديك وماء المفصل ولعاب الجندب، وأحسن حمرة من النار ومن نجيع غزالٍ وقوة الصباغ لما استطببتها حتى أعلم أنها من عصير الأرجل وأنها من نبات القرى وأن العنكبوت قد نسج عليها وفي قرية سوادية وحولها دجاج

وفرايح وإن لم تكن رقطاع ولم تتم كما أريد، وأعجب من هذا أني لا أنتفع بشرها حتى يكون صاحبها على غير الإسلام ويكون شيخاً لا يفصح بالعربية، ويكون قميصه منقعاً بالقار، فإن كان مجوسياً كان اسمه شهريار، ومازيار، وما أشبه ذلك، وإن كان يهودياً فاسمه مانشا وشكوما، وإن كان نصرانياً فاسمه يوشع وشمويل وما أشبه ذلك. وقال عطار الففزاري:

شربنا شربة من بيت راس
وأخرى بالمروق ثم رحنا
وحتى خلتُ ديكَ أبي نُميرٍ
كأن دجاجهم في الدار قُطا
بأطراف الزجاج من العصير
نرى العصفور أعظم من بغير
أمير المؤمنين على السرير
بنات الروم ترقص في الحرير
يقلن أنامل الرجل القصير
وأمسحُ جبهة القمر المنير
أدفعهن بالكفين عني

وقيل لبعضهم: لم تركت النبيذ؟ قال: رأيت صاحبه لا يروي منه، ورأيت بعضه يدعو إلى بعض، فتركت قليله لكثيره، قال الشاعر:

من عاقر الراح يرجو أن يغالبها
حتى تراه صريعاً لا حراك به
ثنته عنها بحدٍّ غير مفلول
لا يعرف الحد بين لعرض والطول

وقال آخر:

أسقني بالكبير يا سعد حتى
أحسب الناس كلهم لي عبدا

وتراني إذا انتشيت كأني
لو رأى الناس في المدامة رأبي
أمر الأرض خيفةً أن تميدا
لم يبيعوا بدرهم عنقودا

وقال أعراي:

كأن أباريق المدام عليهم
وقد شربوا حتى كأن رقابهم
ظباءً بأعلى الرقمتين قيام
من اللين لم يُخلق لهنَّ عظام

وقال آخر:

بكروا عليَّ بسُحرة فصبحتهم
يتبطحون على الكئيب كأنهم
من عاتقِ كدم الذبيح مُشعشع
يبيكون حل جنازة لم تُرفع

وأنشد لأعرابي:

لما خرجت أجر فضل المنزر
بحياله، ما دون دارة قيصر

ولقد شربت الخمر حتى خلنتني
قابوس أو عمرو بن هند مائلاً

وأنشد لحسان:

إذا ما كان مغث أو لحاء
وأُسدًا ما ينهنهنا اللقاء

نوليها الملامة إن المنا
ونشربها فنتركنا ملوكاً

وأنشد للعباس بن الأحنف:

هوايَ إليها في خفاءٍ وفي ستر
وإن غضبت منه أحلت على السكر

أراني سأبدي عند أول سكرة
فإن رضيت كان الرضى سبب الهوى

وأنشد لآخر:

شرباً لونه كالأرجوان
علاه التاج يومَ المهرجان

شربت على تذكر آل كسرى
ورحت كأنبي كسرى إذا ما

وقال الصنوبري:

على تلك الميادين
على نوح الشنانين
إلى شرب المجانين
إلى شرب المجانين
وطوراً بالأجاجين
بنا مشيَ الفزازين
تلوي الثعابين
قمن فوق الدكاكين
من الخلق والطين

شربنا في بغادين
على ضحك الهزارات
شربنا فتعال أنظر
إلى شرب العفاريت
فطوراً بالهواوين
فلما أن مشى السكر
وملنا فتلوينا
تدافعنا إلى البرك
فرحنا في الخلقين

أبو نواس:

فكلامه بالوحي والإيماء

ومُترَفِّ عقد الشراب لسانه

حركته بيدي وقلت له انتبه
فأجابني والسكر يخفض صوتهُ
إني لأفهم ما تقول وإنما
وأنشد إسحق بن إبراهيم الموصلي:

وصافية تغشى العيون رقيقة
أدرنا بها الكأس الروية موهناً
من الليل حتى إنجاب كل ظلام
فما ذرّ قرن الشمس حتى رأيتنا

ذكر من حرم الخمر في الجاهلية

كان ممن حرّم الخمر في الجاهلية عبد المطلب بن هاشم، وعتبة ابن ربيعة ربيعة بن عبد شمس، وعثمان بن عفان وورقة بن نوفل والوليد ابن المغيرة، وضرب في شربها هشام أخاه، وصفوان بن أمية، والعباس بن مرداس السلمي، وقال: لا أشرب شراباً أصبح سيّد قومي وأمسي سفيهم، ومن شرب الخمر صرفاً حتى مات من سادة العرب، عمرو بن كلثوم التغلبي، وكانت الملوك تبعث إليه بجبائه وهو بمثزله من غير أن يفد إليها. فلما ساد ابنه الأسود ابن عمرو، بعث الملوك إليه بجبائه كما بعثت إلى أبيه، فغضب عمرو، وقال: سأوافي بولي وحلف ألا يذوق دسماً حتى يموت، وجعل يشرب الخمر صرفاً حتى مات. وقد قيل: كان سبب فعله هذا أنه أغار على بني حنيفة باليمامة فأسرّه يزيد بن عمرو الحنفي، وقال له: ألسنت القائل:

متى تعقد قرينتنا بحبل
نجدّ الحبل أو نعصي القرينا

لأقرننك بناقتي هذه ثم لأطردنكما جميعاً، فنادى بالبيعة فاجتمعت إليه بنو لجيم وئته فانتهى وقبل منه الفداء، فلما صار إلى قومه أنف مما جرى عليه فشرّب الخمر صرفاً حتى مات.

ومنهم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر، ملاعب الأسنّة، عمّ لبيد بن ربيعة، وكان سأل رسول الله "ص" أن يبعث معه قوماً يعرضون على بني جعفر الإسلام ويفقهوهم في الدين؛ فبعث إليهم قوماً من أصحابه فعرض لهم عامر بن الطفيل يوم بئر معونة فقتلهم أجمعين. فاغتم أبو براء غمّاً شديداً لإخفار عامر بن الطفيل ذمته، ودعا بني عامر إلى الوثوب به فلم يجيبوه، فشرّب الخمر صرفاً حتى مات. ومنهم زهير بن جناب الكلبي رأس قضاة، وكان قد كبر وأسّ فنازعه الرئاسة ابن أخيه عبد الله، فقال زهير يوماً: ليظعن الحيّ، فقال ابن أخيه: إن الحيّ مقيم، فأعادها مراراً وأعادها ابن أخيه مراراً، فقال: من

هذا يردُّ عليّ؟ فقالوا: ابن أخيك. فقال: وما أحدٌ ينهاه؟ قالوا: لا، قال: شرَّ الناس للرجل ابنُ أخيه، فشرَّب الخمرَ صرفاً حتى مات.

وربما بلغت جنابة الكأس إلى زوال النعمة وسقوط المروءة وتلف النفس، وأكبر عيوب النبيذ السُّكر، حتى أن الملل كلها مجتمعة على تحريمه غير مختلفة فيه.

ولقد حرَّم الخمر في الجاهلية جماعة من كبراء العرب وأفاضلهم لما نالهم من معرَّة السُّكر، ومنهم قيس بن عاصم المنقريّ، وذلك أن خمّاراً استجار به فأنزله وأكرمه فسقاه الخمار حتى سكر فأخذ رجمه وشقَّ زقاق الخمر فوافته أخته فساورها وأرادها على نفسها فشقَّ ثوبها وخمَّش وجهها، فلما صحا وخرج، نظر إلى الخمر جارية وجاره الخمار يدعو بالويل والثبور، فرجع إلى أخته، فقال: من فعل هذا بجاري الخمار؟ قالت: الذي راود أخته وفعل بوجهها وثوبها ما ترى، فاستحيا من ذلك وحرَّم الخمر حتى مات. وقال في ذلك:

لعمرك إن الخمر ما دمت شارباً

لسالبة مالي ومذهبة عقلي

وتاركتي بين الضعاف قواهم

ومورثتي حرب الصديق بلا تبلى

قال أبو عبيدة: شرب البرج بن مسهر الطائي الخمر فسكر، فسمع أخته تبول، فقال: إني لأسمع شخّة لا بد أن أزجها زجّة، ووثب على أخته فناها، فلما صحا أخبر بذلك، فمضى هارباً إلى الشام ثم تنصّر بها وشرب الخمر صرفاً حتى مات ندامة على ما كان منه.

وحرَّم صفوان بن أمية الخمر في الجاهلية، وقال:

رأيت الخمر سالحة وفيها

مناقب تفسد الرجل الكريما

فلا والله أشربها حياتي

ولا أنسفي بها أبداً سقيما

إذا دبّت حمياها تبيدّت

ظوالع تفضح الرجل الحليما

ولا أعطي بها ثمناً حياتي

ولا أدعو لها أبداً نديما

وحرَّم الخمر في الجاهلية عفيف بن معدي كرب عم الأشعث ابن قيس وقال:

وقالت لي هلم إلى التصابي

فقلت عفت عما تعلمينا

وودعت الفداح وقد أراني

بها "قي" الدهر مشغولاً رهينا

وحرمت الخمر عليّ حتى

أكون بقعر ملحود دفيينا

وكان اسمه شرحبيل، وإنما سمي عفيفاً بالبيت الأول، وقال أيضاً:

فلا والله لا أُلْفَى وشرباً
أُنزِعُهُم شِراباً ما حَبِيتُ
أبي لي ذاك آباء كرامٌ
وَإِخْوَانٌ بَعَزَهُمُ رَبِيتُ

قال: وحرّم الخمر في الجاهلية سُويد بن عطاء الطائي، وأدرك الإسلام، وقال:

تركتُ الشَّعْرَ واستبدلت منه
إذا داعي منادي الصبح قاما
وودعتُ الخُمورَ وقد أراني
بها سَدِكاً وإن كانت حراما

وشرب مِقْسِيس بن صُبابَةَ السَّهْمِي الخمرَ في الجاهلية فسكّر سكرًا شديدًا قبيحًا حتى مرّ ينادي قومه ويخطُّ ببوله ويقول: أصنع لكم نعامًا أو بعيرًا، فلما صحا، خُبِرَ بما صنع فحرّمها على نفسه، وقال:

تركتُ الرِّاحَ إذا أبصرت رُشدي
فلست بعائدٌ أبداً لراح
أشربُ شِربَةً تزرّي بعرضي
وأصبح ضحكةً لذوي الصِّلاح
معاذ الله لا يُودى بعقلي
ولا أشري الخسارة بالربّاح
سأترك شربها وأكف نفسي
وأهيتها بألبان اللقاح

وقال حاجب بن زُرارة لبنيه يوصيهم: إياكم والخمر فإنها مُفسدة العقول، ذهابة بالطارف والتلديد. وقال بعض الكُتّاب، إن إبليس لقي يحيى بن زكريا عليه السلام فقال له: ألا أعلمك أربع خصال تَتَعَطُّ بِهِنَّ؟ قال: بلى. قال: إياك والحسد فبه سخط الله عليّ وأُخرجت من الملائكة، وإياك والطَّمع فبه سخط الله على أبيك آدم وأُخرج من الجنة، وإياك والنساء فإنهنّ مصايد، وما خلا رجل بإمرأة إلا كنت ثالثهما، وإياك والخمر فإنها حَبلي، ومن جعلت حَبلي في عنقه قُدته حيث شئت. وقيل لأعرابي: اشرب النبيذ، قال: لا أشرب ما يفني تالدي ويشغل عن معادي ويذهب عقلي ويكثر حَبلي.

وقال مقيس بن صبابَةَ حين حرّمها في الجاهلية:

رأيتُ الخمرَ طيبةً وفيها
خصالٌ كلها دنسٌ ذميم
فلا والله أشربها حياتي
طوال الدهر ما طلع النجوم

وكان عبد الله بن جدعان قد سكر فجعل يساور القمر فلما أصبح وأخبر بذلك حرّمها وقال:

شربت الخمر حتى قال قومي
ألست عن السفاه بمستفيقٍ
وحتى ما أوسدُ في منامٍ
أنام به سوى التراب السحيق

وحتى أغلق الحانوت رهني

وأنكرت العدو من الصديق

وأنشد أبو بكر الأنباري:

تركت النبيذ لأهل النبيذ

وأقبلت أشرب ماءً نقاخا

رأيت النبيذ يُذِلُّ العزيز

ويكسو النقيَّ النقيَّ اتساخا

فهبي عذرت الصبي جاهلاً

فما العذر فيه إذا المرء شاخا

قال الهيثم بن عدي: كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له، وهي لأيمن بن خريم:

وحمرأ جرجانية لم يطف بها

حنيف ولم تنغر بها ساعة قدرُ

أتاني بها يحيى وقد نمت نومة

وقد مالت الجوزاء أو جنح النسر

فقلت اغتبقها أو لغيري فاسقها

فمالي بعد الشيب، وييك والخمرُ

تعففت عنها في العصور التي خلت

فكيف التصابي بعدما كالأُ العمر

إذا المرءُ وفَى الأربعين ولم يكن

له دون ما يأتي حياءً ولا سترُ

فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى

وإن جرَّ أسباب الحياة له الدهرُ

ذكر ما جاء في الخمار

رأيت أكثر الناس اختدعوا بالمثل الذي يضرب وهو: الخمر دواء قلل الخمار، فأتبعوا السكر فعرضت لهم أمراض صعبة، فإن فعل ذلك قومٌ وسلموا من الأمراض لقوة أبدانهم وصحة أعصابهم، فإن ذلك غير مخرجهم من الخطأ في فعلهم.

قال بعضهم:

داوِ الخمار بخمرة الكأس المشعشعة العُقارِ

لو خامرت عقل العزير لزلَّ عن ظهر الحمارِ

وشرب رجلٌ عند خَمَارِ نصراني أياماً فأصبح ميتاً فاجتمع عليه الناس وقالوا: قتلته، قال: لا والله، ما قتله إلا قوله: وداوِ بالخمر الخُمَارا، واستعماله قول الشاعر:

وكأس شربت على لذةٍ

وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤٌ

أتيت الفتوة من بابها

وقال الفرسي: بالخمير تُدفعُ الخمرُ، وشبَّهتْ المكثّر منها بدود الخلّ لا يجيا إلا فيه ولا ينتفع إلا به. قال أبو نواس:

وانفِ بالخمير الخمارا

اشرب الخمرَ العُقارا

تدع الليل نهارا

واسقنيها من سُلّافٍ

قال الرازي: أعظم علاج الخمار النوم والحمام، فمن أصابه عليه غثيان وتقلب، شرب اسكنجيين بالماء الفاتر، واستعمل القيء مراراً، فإن أصابه صداع صبّ على رأسه ماء ورد بكافور وشرب الجلاب وأكل الرُمان الحامض. ومن أصابه على الخمار بمتة وبلادة استعمل التَّعب ثم دخل الحمام ليعرق، ومن أصابه طيشٌ وهذيان شرب شراباً كثير المزاج وغرّق رأسه بدهن البنفسج وغسّل أطرافه بالماء الفاتر وطلب النوم. ودواء الخمار العسر البطيء الطويل شربُ اليسير من الشراب الكثير المزاج. وبالجملة إن الشراب صرفاً في الشتاء أنفع من المزوج، وكذلك المزوج في الصيف أنفع من الصّرف، غير أنه لا ينبغي أن يتعرض له من به صداع أو ضعفٌ في الدماغ والعصب والعين أو حدة في الكبد، ومن تسرع إليه الحميات؛ قال أبو نواس:

فأورث في أنامله ارتعادا

وندمانٍ ترادفه خمارٌ

تكن يسراه لليمنى عمادا

فليس بمستقلّ الكأس مالم

وقال:

فأضحى وما منه اللسان ولا القلبُ

وندمانٍ صدقٍ باكرَ الراح سُحرةً

وأُتبعته أخرى فتأب له لبُّ

فناولته كأساً جلت من خماره

وقال الصنوبري:

لعليلٍ يُدعى قنتيلَ الخمارِ

ما دواء العقار "غير" العُقارِ

أن خير الهوى هوى الأبقارِ

فاشرب البكر من يد البكر واعلم

خيريّ ووردٍ ونرجسٍ وبهارِ

واصطبجها على ميادين

أسٍ وحمرة الجنارِ

جمعت زرقة البنفسج مع خضرة

وقال عبد الله بن المعتز:

في طول ليلك من رقادك فاقعدِ

قُم يا نديمي قد قضيت لبانةً

تنفي الهمومَ وإن بدا لك فازددِ

فتداو من داء الخمار بشربةٍ

قلت: الصبوح، فقال: هات، "فقلت"ها=خذها، فقال: أبت تطاوعني يدي وقال آخر:

وَصْرَعَةٌ مَخْمُورٍ دَفَعْتُ بِقَرْقَفٍ وَقَدْ صَرَعْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ قَرْقَفٌ
فَقَامَ يَدَاوِي صَرَعَتِي مَتَعَطِّفًا وَكُنْتُ عَلَيْهِ قَبْلَهَا أَتَعَطِّفُ
نَمُوتُ وَنَحْيَا تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ وَتَخْلَفُنَا لِأَيْدِي السَّقَاةِ وَتَتَلَفُ

وقال ابن أبي فنن:

لَمَّا بَدَأَ مِنْ أَوَاخِرِ الْغَلَسِ أَقْبَلَ صُبْحَ كَخْرَةِ الْفَرَسِ
نَبِهْتُ نَدْمَانِي إِلَى مَسْعِدٍ زَيْنُ بَكَاسٍ كَشَعْلَةِ الْقَبَسِ
فَقُلْتُ خُذْ مِنْ أَخِيكَ صَافِيَةً أَطِيبُ مِنْ نَيْلِ قَبْلَةِ الْخَلَسِ
فَقَامَ مِنْ شِدَّةِ الْخَمَارِ لَهُ كَفَ فَرُوقٍ وَقَلْبِ مَقْتَرَسِ

وقال بعضهم:

إِذَا أَنَا مِيزَتِ الْخَمَارَ وَجَدْتَهُ يَكْدُرُ مَا فِي الْخَمْرِ مِنْ لَذَّةِ الْخَمْرِ
فَأَحْجَمُ عَنْ شَرَبِ النَّبِيذِ مَخَافَةً عَلَى جَسَدِي مِنْ أَنْ يَثُولَ إِلَى الضَّرِّ
وَإِنْ أَمْرًا يَبْتَاعُ لَهَا بَصْحَةً لَهُ سَكْرَةٌ تُغْنِيهِ عَنْ طَلَبِ السُّكْرِ

ذَكَرَ مَا جَاءَ فِي الْعَرِيدَةِ

شرب الحسين بن الضحاك الخليع يوماً عند إبراهيم بن المهدي فحرت بينهما ملاحاة في الدين والمذهب، فدعا إبراهيم بالنطع والسيف وقد أخذ منه الشراب، فانصرف الحسين غضبان، فكتب إليه إبراهيم يعتذر من ذلك وسأله أن يجيبه فكتب إليه الحسين:

نَدِيمِي لَيْسَ مَنْسُوبًا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَيْفِ
سَقَانِي مِثْلَ مَا يَشْرَبُ فِعْلَ الضَّيْفِ بِالضَّيْفِ دَعَا بِالنَّطْعِ وَالسَّيْفِ
فَلَمَّا دَارَتِ الْكَأْسُ

كَذَا مِنْ يَشْرَبُ الرَّاحَ مَعَ التَّنِينِ فِي الصَّيْفِ

ولم يعد إلى منادمته ثم أن إبراهيم تحمّل عليه ووصله فعاد إلى منادمته".

وكان إبراهيم بن المهدي يلقب بهذا البيت أو لقب به من قبل.

ويقال أن عمر بن هبيرة الفزاري كان إذا سكر عربد على ندمائه وكان قصيراً، فقال يوماً لنديم له يقال

له غيداق وكان طويلاً: أينما أطول، أنا أم أنت؟ فقلت: وقعت والله في شرٍّ، إن قلت أنت قال تهزأ بي، وإن قلت أنا، قال تحقرني، فقلت: أيها الأمير أنا أقصر منك ظهراً وأنت أطول مني ساقاً وفخذاً، فقال لي: ما أحسن ما خلصت منها.

وقال محمد بن خالد الأصفهاني:

لعمرى بالنبذ وشاربيه
وحيًا بعضهم بعضاً عليه
فإياك النبذ أحال بعدي
أرى الندماء قد رذلوا فليسوا
إذا شربوه زادهم سكونا
ولم يُلَفُوا عليه مُعربدينا
فأورث من يعاقره جنونا
كما كان الندام الأولونا

ومرَّ إبراهيم الموصلِي بصبيبة تُسلي الناس على الجسر اسمها "نُظْم" فسمع لها صوتاً عجيباً أطربه فأمر بحملها إلى منزله وتزوجها وعلمها الغناء فبرعت فيه، وطرب الرشيد ذات ليلة وقد أخذ منه النبيذ، فركب حماراً وسار إلى دار إبراهيم متنكراً، فأخرج إليه إبراهيم جواريه خلف ستارة، وفيهن نظم، فغنت أحلى صوت وأنغمه وأملحه، فقال لإبراهيم: من هذه الجارية؟ فقال: صبيبة اشتريتها، فأفردتها وأمرها فغنت مفردة غناءً أطربه، فوثب إلى الستارة فهتكها، فإذا صبيبة ملفوفة، فضحك وقال لإبراهيم: ويحك ما هذه، فأخبره بقصتها، فشرب على غنائها حتى سكر ومكثت في دار إبراهيم إلى خلافة المعتصم، وكانت لها نوبة في داره، وكانت شديدة العريضة، فكلمت المعتصم ذات ليلة بكلام غليظ، قالت له في بعضه: إني أمُّ من أمهاتك تعرَّض لها الرشيد وقد وطئها؛ فأمر المعتصم بنفيها إلى السند فنُفيت إلى السند. وكان عمر بن موسى البرمكي يلي السند، فعربدت عليه ليلةً فقتلها. قال الشاعر:

ونديم معربد
مفسد كلِّ مقعد

إن تعاتبه باللسان يعاتبك باليد

وقال آخر:

لا تشربن ومعربداً في مجلسٍ
إلا وعندك من دمِّ الأخوين

ريحانهُ بدم الشجاع مخضَّبٌ
وتحيَّة الندمان لطم العين

وقال آخر:

رأيت القلب كاد يطير لماً
رأيت معربداً يهوي إلينا

فقلت وقد سمعت له نخيراً

حوالينا الصدود ولا علينا

وقالت الحكماء: استعد بالله من جليس السوء فإن الشر منه لا يكاد يخطئك.
وحكى عمرو بن بحر الجاحظ عن الأصمعي قال: عربد بعض المجان على القمر فقال له: والله إنك لتغيّر الألوان، وتصفّر الأسنان وتحدّر الأبدان وتفضح السكران وتظهر الكتمان وتبيض الأرجوان وتلحس الزعفران وتمزل الحيتان وتمحق الأدمغة في النقصان. وقالوا: إن سبب العريضة لا يكون ممن بلغ به السكر ولا ممن لم يشرب، ولكن يكون ممن توسط هاتين الحالتين لأن من بلغ منه السكر لم تكن له حركة صحيحة ولا إرادة تامة. وأما من لم يشرب فإن عقله ثابت وحكمه، فيما يحكم به، على الصواب، وأما المتوسط، فليس في حدّ من عقله ثابت وتمييزه صحيح، ولا في حدّ من بلغ في سكره مبلغ من قد بطلت معرفته. فعند ذلك يكثر فكره ويسوء ظنّه ويتخيل أشياء على غير ما هي عليه في الحقيقة، فيستخف بعض أصحابه أن بعضهم قد استخف به فيعربد حيثئذ من غير أصل. فما وجدت لمن كانت هذه حاله واخترت في مثلها أفعاله إلا كما قال بعضهم:

لذتي في اثنتين لي

من بديع التمرّد

صفع من تاه بالغناء وضرب المعربد

ولذلك اختار بعضهم التفرد على صاحب السوء والخذين المعربد للمثل السابق في قولهم: الوحدة خير من خدين السوء.
وكان بالبصرة مجنون يقال "له" عباس، فدعا أصحاباً من المجانين وأطعمهم وسقاهم نبيذاً، فعربد أحدهم، فأخذ بيده وأخرجه وأغلق بابه دونه ثم دخل وهو يقول:

ومعربدٍ أخرجته

لما تعرّض للندامى

أغلقت بابي دونه

وتركته يرعى الخزامى

يرنو بمقلةٍ مغضبٍ

نظر الوصيِّ إلى اليتامى

وعربد فتى من بني هاشم على قوم فأراد عمّه أن يعاقبه فقال: يا عمّ إني أسأت وليس معي عقلي فلا تسيء بي ومعك عقلك.

وحضر مغن مع قوم فعربدوا، فقام ليصلح بينهم فأخذوا بحلقه فجعل يصيح: معيشتي يا قوم، الله الله في معيشتي، يريد أن معاشه من حلقه. وحكى المدائني قال: شرب رجل من بني ثعلبة يقال له المعدل، ورجل من بني عجل، وكانا يتنادمان ويدمنان الشرب، فقال العجلي يوماً وقد سكر:

ألا فاسقياي على لذةٍ

بفضل لجيمٍ على ثعلبةٍ

فقال المعدل:

ومخزية قالها فاسق

لثيم القفا معرق الأرنبة

وضرب العجلي فقتله وهرب فاستجار بنهش بن ربيعة العتكي فأجاره وطلبه بنو عجل فمنعته العتيك
وحملوا عند الدية. فقال المعدل:

جزى الله فتیان العتيك وإن نأت

بي الدار عنهم، خير ما كان جازيا

خلطوني بالنفوس وأحسنوا

الثواية، لما حُمَّ ما كان آتيا

كأن دنائيراً على قسماتهم

إذا الموت في الأبطال كان تحاسيا

وقال عبد الصمّد المعدل يهجو المبرّد:

يا رب إن كنت ترى المبرّدا

إن قاس في النحو قياساً أفسدا

ويكسر الشعر إذا ما أنشدا

وإن تحسّى الكأس يوماً عربدا

فاقدد له حيّة قفّ أسودا

أنيابه عوج كأمثال المدى

لو نكز الفيل العظيم الأربدا

بنابه جرّعه كأس الردى

قال: فقلت له: أمهجوني؟ فقال: ما هجوتك، إنما قلت: إن قاس في النحو قياساً أفسدا. وأنت لا تفسد
القياس. وقلت: يكسر الشعر، وأنت لا تكسره، وقلت: وإن تحسّى الكأس يوماً عربدا، وأنت لا تعربد،
فما الذي يلزمك من هجائي؟ قال المبرّد: فعزمت أن أعربد عليه، فاجتمعنا يوماً، فقام ليبول، فقلت: إلى
أين؟ قال: أبول، فقلت منتهراً: وكأنك فضلت البول علينا، فقَبِلَ رأسي وقال: أنا أعربد منذ ثلاثين سنة
ما أحسنت قطّ مثل هذا.

ويروى أن سبب تحريم الخمر في أوّل الإسلام كان من حمزة بن عبد المطلب وعقره بعيري عليّ "رض"
وقد تقدمت هذه الحكاية مشروحة في صدر هذا الكتاب.

وكان النعمان بن المنذر شديد العريضة قتالاً للندامي، وكان له نديم يقال له عمرو بن عمار الطائي، من أعلم الناس وآدبهم، فنهاه أبو قردودة عن منادمته فلم ينته حتى عريد عليه ليلةً فقتله، فقال يرثيه:

إني نهيتُ ابنَ عمارٍ وقلتُ له
لا تأمننَ أحمرَ العينينَ والشعره

إن الملوك متى تنزل بساحتهم
تطر بثوبك من نيرانهم شرره

يا جفنة بإزاء الحوض قد هدموا
ومنطقاً مثل وشي اليمنة الحيرة

وقد تقدم خبر جذيمة الوضاح وعربدته على نديميه، ملك وعقيل، حتى قتلهما بعد أن نادماه أربعين سنة ما أعادا عليه فيها حديثاً، وقد تقدم فيما مضى في بدء الكتاب.

وقالوا: كان بالبصرة رجل شديد العريضة، وكان له إخوان ظراف صابرون عليه، وهو لا يدع العريضة على حال، فقالوا يوماً: تعالوا نحتز منه ما استطعنا، ولا نجعل له طريقاً إلى العريضة، قال: فأخذوا في تجنبيه ومسارعتة فساعدوه على كل ما أحب فضاق صدره، ولم يجد ما يتوسل به، إذ سمع صائحاً في الدار يقول: يا أبا روح، فنخر وقال: أبو "روح" كنية فرج، وفرج إذا صُحِّف فهو فرخ، وفرخ هو ولد زنا، وأنا والله المراد بذلك، ثم أخذ في أخلاقه من العريضة وكسر الماعون وضرب القوم، فعلموا أنه لا يملك الصبر عن أخلاقه فانقطعوا عن عشرته.

وكان للنعمان بن المنذر نديم يقال له سعد، فقال له بعض الندماء يا سعد لقد خضمتك الهمام بشرايه حتى لقد كدت تنقد شحماً وتقطر دماً، قال: ذاك لأني أخذ ولا أعطي، ولا ألام ولا أخطي، وأنا الدهر جدل مسرور، وفرخ مجبور، فسمعه النعمان من حيث لا يعلم، فجرد السيف ودخل عليه، فقال: أنت القائلك أخطي ولا ألام، فخبطه حتى مات.

وكان المتوكل قد دعا أبا يوسف يعقوب بن السكيت إلى منادمته، فشاور بعض إخوانه من العلماء، فكل حذره وأشار عليه ببعده السلطان في تلك الحال، فغلبه هواه، ونادمه أياماً، فسكر المتوكل يوماً ونظر إلى المنتصر والمعتز ولديه قائمين على رأسه، فالتفت إلى ابن السكيت فقال: أيهما أفضل، هذان أم الحسين والحسن ابنا فاطمة، فقال: بل قنبر عبدهما أفضل من هذين ومن أمهما، فقال: خذوا برجل ابن الفاعلة، فجرَّ برجله من بين يديه وكان آخر العهد به. وأنشد لأبي نواس:

وإذا رام نديمي عريضة
فاقر عن بالكأس من كبده

كرّر الخمر عليه بحتة
كي تقيم الخمر منه أوده

ثم وسده، إذا ما غلبت
سورة الكأس عليه، عضده

حيثما كان، الخنا والعريضة
أحدثوا الفتنك، غواة مرده
ليلة ذات رياح حردة

خصلتا سوء تشينان الفتى
وشياطين من الأنس هم
قد سقيت الخمر حتى ثملوا

وقال آخر:

ونديم إن أنت نادمته مت بالندم
حجر المنجنيق ليس يبالي بمن صدم

وقال آخر:

إلا وترس في شمالك واق
عضب يقط جماجم الأعناق

لا تقعدن ومعربدأ في مجلس
وبكفك اليمنى حسام صارم

هذا اجتناب مجالس الفساق

فبذاك تنجو إن نجوت وخير من

ذكر ما جاء من الاختلاف في الأشربة

أما تحريم الخمر فمجمع عليه، لا اختلاف فيه بين اثنين من الأئمة والعلماء وتحريم النبيذ مختلف فيه بين الأكابر من أصحاب رسول الله "ص" والتابعين بإحسان حتى لقد اضطر محمد بن سيرين مع علمه وورعه، أن يسأل عبيدة السلماني عن النبيذ، فقال له عبيدة: اختلف علينا في النبيذ. وكان عبيدة ممن أدرك أبا بكر وعمر، فما ظنك بشيء اختلف فيه الناس وأصحاب النبي "ص" متوافرون، فمن بين مطلق وكاره، وكل يقيم الحجة لمذهبه والشاهد على قوله، والنبيذ كل ما نبذ في الدباء والمزفت فاشتد حتى يسكر كثيره، وما لم يشتد فليس يسمى نبيذاً، كما أنه ما لم يغل من عصير العنب فليس يسمى خمراً. قال الشاعر:

تقطر أو خرّ الذبابُ وقيذاً

نبيذ إذا مرّ الذباب بدنه

وقيل لسفيان الثوري، وقد دعا بنبيذ فشرب منه، ووضع بين يديه: أبا عبد الله، لو غطيته لثلا يقع فيه الذباب فقال: فبحه الله، إذا لم يذب عن نفسه.
قال حفص بن غياث: كنت عند الأعمش، وبين يديه نبيذ، فاستأذن عليه قوم من طلبة الحديث فسترته فقال: لم سترته؟ فكرهت أن أقول لثلا يراه من يدخل، فقلت: كرهت أن يقع فيه الذباب، فقال لي: هيهات هو أمتع من ذلك جانباً، ولو كان النبيذ هو الخمر التي حرّمها الله في الكتاب ما اختلف في تحريمه

أثنان.

قال محمد بن وضاح: سألت سحنوناً فقلت له: ما تقول فيمن حلف بطلاق امرأته، إن المطبوخ من عصير العنب هو الخمر التي حرّمها الله عز وجلّ في كتابه، قال: بانث منه زوجته.

قال أبو محمد بن قتيبة: أما الذين ذهبوا إلى تحريمه كله ولم يفرقوا بين الخمر وبين نبيذ التمر وبين ما طبخ وبين ما نُقِعَ وبين ما اشتد وما سَهَلُ، فإنهم غَلَوُا في القول واشتدوا في الحذر ونحلوا قوماً من البدرين ومن خيار التابعين وأئمة السلف المقتدى بهم في الدين شُرِبَ الخمر، وزَيَّفُوا ذلك بأن قالوا: شربوها على التأويل، فاتهموا القوم ولم يتهموا نظرهم، ونحلوهم الخطأ وبرّؤوا منه أنفسهم.

وقد كان قوم من الصحابة يرون المتعة بالنساء جائزة ويفتون بها، منهم ابن مسعود وابن عباس، وجماعة غيرهما، ومن التابعين عطاء وطاووس وسعيد بن جبير وهي عند غيرهم زنى، فهل يجوز أن يقال: هؤلاء زَنَوْا، وأفتوا به على التأويل. وأما الآخرون الذين ذهبوا إلى تحليل ما دون السكر منه، فإنهم أفرطوا في الإطلاق كما أفرط الأولون في الحظر، ولو كان ما احتجوا به في حديث ابن مسعود، في نسخ تحريم المسكر بتحليله، وأنه حضر من التحليل ما غاب القوم عنه، صحيحاً لما عدلنا عن القول به إلى غيره ولرأيناها شبيهاً بالمتعة لأن الله جلّ ثناؤه رخص فيها فقال: لا جناح عليكم فيما استمتعتم به منهنّ، فأذن رسول الله "ص" بها فاستمتع المسلمون، ثم حرّمها رسول الله "ص" إلى يوم القيامة، ولم يحضر التحريم إلا ال من الصحابة، وقُبِضَ رسول الله "ص" فأقام كثير منهم على الفتيا بها، فاتبعهم على ذلك قوم من التابعين، وشبيهاً بالظروف التي كان نهى عن الانتباز فيها ثم أذن في ذلك فقال: انتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكراً، وفي حديث آخر: ولا تسكروا. وكما نهى عن زيارة القبور ثم رخص في ذلك فقال: زوروها ولا تقولوا هجرأً. وكما نهى عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث، وأطلق ذلك، فقال: كلوا وادخروا ما بدا لكم. ولكننا لم نرَ أهل الأثر يشبثونه عندهم، وهم عندنا القدوة في معرفة صحيح الأخبار وسقيمها، وإذا كان ذلك لا يصح فكيف يجوز لنا أن نُحِلَّ المسكر وقد حرّمه رسول الله "ص" بالأخبار الصحاح "و" الطرق الممتنعة عن حيل الناس، فإن قال قائل: إن السكر هو الشربة المسكرة والقدح المنيم أكذبه النظر، لأن القدح الآخر إنما أسكر بالأول وكذلك اللقمة الأخرى، إنما أشبعت باللقمة الأولى، والجرعة الأخرى إنما أروت بالجرعة الأولى، وتلك الشربة التي أسكرت المعافر عندهم لو جعلت "أول" شربة لآخره لم تسكره. وقوى الحبل إذا اجتمعت وأمرت ثم اتخذ منها مرس يوثق به البعير لم تكن قوة منها أولى بجس البعير وضبطه من الأخرى، فكيف يعرف القدح المسكر "من شرب" فيجتنبه إلا بالظن الذي قد يخطئُ ويصيب.

وأما من قال إن الحديث: كل مسكرٍ حرام، وفي بعضها، كل مسكرٍ خمر، فهل يجوز أن يكون كل مسكرٍ خمرًا، وإنما كان له أن يُعارض هذه الأخبار، بهذا التأويل لو وجد له أصلاً في الروايات الصحاح فيجعله شاهداً، لما قال وتوهم على الناقلين لما خالف مذهبه الغلط، ومن قال أن السكر حرامٌ فإنما ذلك مجاز من القول، والحقيقة، ما يكون منه السكر حرام، ومثل ذلك التخمّة، حرام، وإنما يريد أن أكلك ما تكون منه التخمّة حرام.

وأما الفرقة التي أحلت بالنار، فإنما أيضاً غلت في القول فشربت الشديد والعتيق الذي يسكر بعضه وحرّموا الفقاع لأن النار لم تمسه، وهذا الذي أحلوه أشدُّ إسكاراً من الخمر وأصعب خماراً وأبطأ تحللاً، وأما الذين حرّموا بالظروف وأحلوا بما فرأوا الحلّ والنقيع في الجر حراماً، و"الصلب الشديد في السقاء حلالاً والظروف لا تحل ولا تُحرّم، وإن ما ذكره رسول الله "ص"، الظروف المزفة والختم، لأن النبيذ يشد فيهما ويتصلب فهي عنها، ثم أذن فيها فقال: اشربوا في كل ظرف ولا تسكروا. قال ابن قتيبة: وأما ما نذهب إليه ونراه عدلاً من القول خارجاً عن الإفراط "والتقصير"، فتحريم الخمر بالكتاب وتحريم المسكر بالسنة، والمحرم ما حرّمه الله تعالى نصاً في القرآن نحو، الميتة والدم ولحم الخنزير، فهذا فرض على المسلمين أن يجتنبوه، فمن طعم شيئاً منه عامداً غير مستغفر منه ولا نادم عليه كانت النار مشواه إلا أن تلحقه رحمة الله التي وسعت كل شيء وعفوه الذي لا يبأس منه إلا الكافرون؛ وترك الفرائض، نحو الصلوات الخمس وزكاة المال وصوم شهر رمضان، فمن ترك شيئاً من هذا ثم لقي الله غير مستغفر منه ولا نادم عليه فهو بحال الأول.

ومحرّم آخر حرّمه رسول الله "ص"، كسباع الطير والوحش ولحوم الحمر الأهلية، وكتحريمه الحرير والديباج، وهذا واجب على المسلمين أن يجرّموه، وليس كوجوب الأول، ولا التغليظ فيه على من خالف كالتغليظ في الأول، وقد أتت الرخصة في بعضه كالقليل من الديباج يكون في الثوب والقليل من الحرير. واستأذن عبد الرحمن بن عوف رسول الله "ص" في لبس الحرير لعله كانت به فأذن له. ولا بأس إذا خالطه في نسجه القطن إذا لم يكن بحتاً، وكان كالتفريط في صلاة الوتر وركعتي الفجر، فلا نقول إن تاركها كتارك الفرائض من الظهر والعصر.

وروي أن البراء بن عازب تحتم بالذهب، وأصيب أنف عرفجة بن سعد يوم الكلاب في الجاهلية فاتخذ أنفاً من ورق فأتته فأمره النبي "ص" أن يتخذ أنفاً من ذهب.

وكان شريح يقضي بين الناس على جلد أسد، وقد أجمع الناس على أن من أكل لحم ثعلب ليس كمن أكل لحم ميتة، ومن لبس جلد سمور ليس كمن لبس جلد خنزير، ومما يدل على هذا أيضاً حديث رفعه إلى مدرك بن عمّار قال: دخل النبي "ص" حائط رجل من الأنصار فرأى رجلاً معه نبيذ في نقيع فقال:

أهرقه، فقال: أو تأذن لي فأشربه ثم لا أعود فقال "ع" فأشربه ثم لا تعد.

وروي في حديث يرفعه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني رجل مسقام فأذن لي في جرة أنتبذ فيها فأذن له. وكان ذلك قبل أن يأذن في الظروف. وهذا يدل على أن ما يحرمه النبي "ص" قد يجوز أن يرخّص فيه لمن شاء وعلى حسب العلة والعذر، ولا يجوز له "الترخص" فيما حظر الله له إلا في الموضع الذي أطلقه. ونهى رسول الله "ص" عن شيء، وأمر بشيء، على جهة التأديب، فالعمل به فضيلة ومثوبة وليس على تاركه عقوبة كنهيه عن لحوم الجلالة وعن كسب الحجام، وليس هذا مما حرّم الله ولا مما حرّم رسول. والأشربة بهذا السبيل وأحدها الخمر وهي محرمة بكتاب الله عزّ وجلّ كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير لا يحل منها قليل ولا كثير حتى يفسد ويفارقها العرض الذي حرّمها.

والخمر نوعان، أحدهما مجمعٌ عليه، والآخر مختلف فيه، فأما المجمع عليه فهو ما غُلي من عصير العنب من غير أن تمسه النار، وأجمع المسلمون جميعاً أن هذه الخمر لا يحل منها قليل ولا كثير ولا يستعمل في طعام ولا شراب ولا دواء حتى ينقلب فيصير حلاً.

والجنس الآخر المختلف فيه، نقيع الزبيب والتمر، إذا اشتد وصلب، ونبذ التمر هو المسكر. وقال آخرون هو خمر، وهذا القول هو الأولى، لأن تحريم الخمر نزل وخمور الناس مختلفة وكلها يقع عليه هذا الاسم في ذلك لبوقت.

قال أبو موسى الأشعري: خمر أهل المدينة من البُسْر والتمر وخمر أهل فارس من العنب، وخمر أهل اليمن البتع وخمر الحبشة السُّكركة وهو من الذرة والمزر من الخنطة والشعير.

وقال عمر "رض" الخمر من خمسة أشياء: البُرّ والشعير والتمر والزبيب والعسل، والخمر كل ما خامر العقل، فأما ما شربه النبي "ص" وأصحابه من نبذ السقاية وهو نقيع فإن نبذ السقاية يتخذ قبل يوم التروية بيوم أو يومين فيشربه الناس حلواً وربما دخله شيء من عَرَضِ النبيذ كالرائحة من حرارة البلد وسرعة تغير الأطعمة والأشربة فيه، فليس يكون في شيء من هاتين الحالتين حراماً، وإنما يُحرم إذا دخله عرض الخمر واعتدته النشوة وصلب. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُنقع له التمر والزبيب فيشربه ثلاثاً، فإذا جاوز ذلك أمر فسُكّب أو سقاه الخدم لأنه بعد ثلاث يتغير شيئاً فيتتزه عنه لا لأنه حرام، ولو كان حراماً ما سقاه أحداً. وهذا كتركه أكل الثوم تزهأً عنه وصوناً للوحي وإذنه للمسلمين في أكله إذا طبخ. والثاني من الأشربة، المسكر وهو محرّم بسنة رسول الله "ص" كما حرمت لحوم السباع ولحوم الحمر الأهلية ولحوم ذوات المخالب من الطير وليس التغليظ في الخمر وإن كانت حراماً ولا يكون من شرب نبذ زبيب أو نبذ تمر، وإن أسكر كثيرهما، كمن شرب خمرًا، كما أن أكل لحم الحمار الأهلي

ليس كأكل لحم الخنزير، على ما مثلت لك "من" تشبيهه المحرم في كتاب الله عز وجل بالفروض وتشبيهه المحرم بسنة رسول الله "ص" بالسنن.

والمسكر من الشراب كل ما صُلِبَ واشتد وازداد على مرَّ الأيام جودة من نبيذ الزبيب المطبوخ ونبيذ التمر المطبوخ مفردين وخليطين، والطلاء غير ذلك، وإنما سُمِّي مسكراً لأنه مدخل في السكر "والسكر" ذهاب العقل.

وقد ذكرنا اختلاف الفقهاء فيه، في باب السكر من هذا الكتاب، وأما قول رسول الله "ص": "كل مسكر حمر، فعلى مجاز اللغة، يريد أنه بمتزلة الخمر لأنه حرّمه بالسنة، كما حرم الله الخمر بالكتاب، كما قال ابن شبرمة:

وأبو جعدة الطلاء الممريب

يا أخلايَ إنما الخمر ذيب

فهو للخمر والطلاء نسيب

ونبيذ الزبيب ما اشتد منه

أخذه من قول عبيد الأبرص:

كما الذيب يكنى أبا جعدة

هي الخمر يكنونها بالطلاء

وسئل أبو الأسود عن نبيذ الزبيب فقال:

أخوها غذته أمّه بلبانها

فإلا يكنها أو تكنه فإنه

أما قولهم أن خياراً من الصحابة شربوا الصُّلب، وشربوا النبيذ فتوهموا أنهم شربوا المسكر ووجدوا محبة من النفوس لذلك يتبعها الهوى، فإذا الصلب الذي شربوا ما زيلته الحلاوة فصار صلباً لمفارقة الحلاوة وعذوبتها، وهو في نفسه رقيق ضعيف لا يكون منه إذا شرب الرجل ما في وسعه أن يشرب مثله، إطباق على العقل وإنما يكون في الإكثار منه خدرٌ وفتور. وخيرٌ لك، إن كنت تخاف أن يدعوك ما رخص الله فيه إلى ما حرّم عليك، أن تدعه كله، كما قالوا: دع ما يريك إلى ما لا يريك.

وقال آخرون: قليل النبيذ الذي يسكر كثيره حلالٌ وكثيره حرام، والشربة المسكرة هي الحرمة ومثل الأربعة الأقداح التي يُسكر منها الرابع مثلُ أربعة رجال اجتمعوا على رجل فشجّه أحدهم "شجة" موضحّة ثم شجّه الآخر منقلّة ثم شجّه الثالث مأمومة، ثم أقبل الرابع فأجهز عليه، فلا نقول إن الأول قاتله، ولا امتنع الثاني ولا الثالث، وإنما قتله الرابع الذي أجهز عليه، "وعليه" القود. وقال آخرون من أهل النظر إن الخمر إنما حرمت لإسكاهها وجرائمها على شاربيها فالعلة التي حرّمت لها الخمر من الإسكار والصداع والصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة قائمة بعينها في النبيذ كله فسيبيله سبيل الخمر لا فرق بينهما في للدليل الواضح والقياس الصحيح.

وقالوا لمن أجاز قليل ما أسكر كثيره، إنه ليس بين شارب امسكر ومواقعة السكر حدٌ ينتهي إليه ولا يقف عنده، ولا يعلم متى يسكر حتى يسكر، كما لا علم للناعس متى يرقد حتى يرقد.

من الشراب المسكر أقداحاً كثيرة ولا يسكر، وقد يشرب منه غير القليل فيسكر، وقال المجلون لكل ما أسكر كثيره من النيذ، إنما حرمت الخمر بعينها، خمر العنب خاصة، بالكتاب، وهي معقولة مفهومة لا يمتري فيها أحد من المسلمين، وإنما حرّمها الله تعبدًا لا لعله الإسكار كما ذكرتم، ولا لأنها رجس ولو كان ذلك كذلك، لما أحلها الله للأنبياء والمتقدمين والأمم السالفين، ولا شرها أصحاب النبي "ص" في صدر الإسلام.

وأما قولكم إنها رجس فقد صدقتم في اللفظ، وغلطتم في المعنى إن كنتم إنما أردتم أنها تنس لأن الخمر ليست بمننتة ولا قدرة، ولا وصفها أح بذلك، وإنما جعلها الله رجسًا بالتحريم، وكذلك سمي الله تعالى المحرمات كلها خبائث، وسمي المحللات كلها طيبات، وقد ذكر الله الخمر فيما امتن به على عباده قبل تحريمها فقال: ومنشمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سُكرًا ورزقًا حسنًا. ولو أنها رجس على ما تأولتم، ما جعلها الله في جنته وسمّاها: لذة للشاربين، فإن قلت إن خمر الجنة ليست كخمر الدنيا وإن الله نفى عنها عيوب خمر الدنيا، فقال: لا يُصدعون عنها ولا يُتزون. وكذلك قوله في فاكهة الجنة: لا مقطوعة ولا ممنوعة، فنفي عنها عيوب فواكه الدنيا لأنها تأتي في وقت، وتنقطع في وقت. وما سمعنا أحدًا وصف الخمر إلا بضدّ ما ذكرتم، من طيب النسيم وذكاء الرائحة، قال الأخطل:

كأنما المسك نهياً بين أرجلنا **إذا توضع من ناجودها الجاري**

وقال الحسن:

فتنفست في البيت إذ مُزجت **كتنفس الريحان في الأنف**

وقال:

نحن نخفيها ويأبى **طيب عَرَفٍ فتفوح**

وإنما قوله: رجس، كقوله: فأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم. أي كفرًا إلى كفرهم. وأما منافعها التي ذكرها الله عز وجل في قوله: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما، فإنها كثيرة لا تحصى، قدّمنا منها في صدر كتابنا ما فيه كفاية. واحتجوا في قول رسول الله "ص": كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق منه، وهو ستة عشر رطلاً، فملاء الكف منه حرام.

مما رواه مالك بن أنس عن أبي سعيد الخدري أنه قدم من سفرٍ فقدم إليه لحم من لحوم الأضاحي، فقال: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ناهكم عن هذا بعد ثلاثة أيام، فقالوا: قد كان بعدك من رسول الله "ص" فيها أمر، فخرج إلى الناس، فسألهم، فأخبروه، أن رسول الله "ص" قال "كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام، فكلوا وادخروا وتصدقوا، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها ولا تقولوا هُجراً".

والحديثان صحيحان رواهما مالك وأثبتهما في موطنه، وإنما هما ناسخ ومنسوخ "وإنما" ههنا عن النبيذ الشديد وأن نشربه حتى نسكر، ولو كان ما يسكر كثيره يسمى قليله مسكراً أما أباح لنا منه شيئاً. وقد شرب رسول الله "ص" من سقاية العباس فوجده شديداً فقطب بين عينيه، ودعا بذنوب من ماء زمزم فصب عليه، وقال: إذا كان هكذا فاكسروه بالماء. ولو كان حراماً لأراقه وما صب عليه من ماء ثم شربه، فقد نسخ بشربه الصلْب في حجة الوداع ما كان قبله. والدليل على ذلك أنه كان نهى وفد عبد القيس عن شرب المسكر، ثم وفدوا عليه بعد ذلك فرأهم مصفرةً ألوانهم، سيئة حالهم، فسألهم عن قصتهم، فأعلموه: أنهم كان لهم شراب فيه قوام أبدانهم فمنعهم منه، فأذن لهم في شربه. وأن ابن مسعود قال: شهدنا التحريم وشهدتم، وشهدنا التحليل وغبتم، وأنه كان يشرب الصلْب من نبيذ الجر، حتى كثرت الروايات به عنه وشُهرت وأذيعت واتبعه عليها التابعون من الكوفيين وجعلوه أعظم حججهم: قال في ذلك شاعرهم:

في جوف خابية ماء العناقيد

من ذا يُحرّم ماء المزن خالطه

فيها ويعجبني قولُ ابن مسعود

إني لأكره تشديد الرواة لنا

وإنما أراد أنهم كانوا يعمدون إلى الرب الذي قد ذهب ثلثاه فيزيدون عليه من الماء قدر ما ذهب منه يتركونه حتى يغلي ويسكن جأشه ثم يشربونه.

وكان عمر يشرب على طعامه الصلْب ويقول: يقطع هذا اللحم في بطوننا. وقال الشعبي: شرب أعرابي من إداوة خمرٍ فحدّه عمر للسكر لا للشرب. ودخل عمر على قوم يشربون فقال: نهيتكم عن معاورة الشراب فعاقرتهم وهم بتأديبهم، فقالوا: مهلاً يا أمير المؤمنين، هناك الله عن التجسس فتجسست، وهناك عن الدخول بغير إذن فدخلت، فانصرف وهو يقول: كل الناس أفاقه منك يا عمر. وإنما ناهم عن المعاورة، وإدمان الشراب حتى يسكروا ولم ينههم عن الشرب. وأصل المعاورة من عقر الحوض وهو مقام الشاربة، ولو كان عنده، ما شربوا، خمرًا، لخدمهم.

وقيل لسعيد بن سالم: أتشرب النبيذ؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: أترك كثيره لله وقليله للناس. وكان سفيان الثوري يشرب النبيذ الصُّلب الذي تحمر منه وجنتاه. واحتجوا من جهة النظر أن الأشياء كلها حلال إلا ما حرم الله، قالوا: فلا نزيل يقين الحلال باختلاف ولو كان المختلفون أكثر الناس. وأهل الكوفة فقد أجمعوا على التحليل لا يختلفون فيه، وتلوا قول الله عز وجل: أفرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً، قل الله أذن لكم أم على الله تفترون. قال عبد الله بن مُصعب لشريك بن عبد الله: يا أبا عبد الله، أتشرب النبيذ، قال: نعم. فقال: سبحان الله، وكيف تشربه وقد جاء في الحديث: ما أسكر كثيره فقليله حرام، قال شريك: اختلف الناس فيه، فشرينا ما اختلفوا فيه، فليتك تدع ما أجمعوا على تحريمه.

واحتجوا في تحليل قليله بحديث علي بن أبي طالب "رض": أن القوم يجلسون على الشراب وهو حلال فلا يزالون حتى يكون عليهم حراماً. وقال بعض أهل النظر، قال الله عز وجل: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. فنصَّ على الخمر ولم يذكر غيرها مع كثرته وشهرته، فعلم أنه قد تركه على إباحته، ولو كان أراد تحريمه لذكره ونصَّ عليه، فوجب أن القليل من هذه الأشربة الذي لا يكون منه سكرٌ، حلالٌ، للإجماع على تحريم السكر.

ويروى عن ابن مسعود أنه قال: رأيت رسول الله "ص" يطوف بالبيت فاستسقى فأُتي بقدر من نبيذ فشمَّه، وقطب، ثم دعا بماءٍ من زمزم فصبَّه فيه وشرب ثم قال: إذا اشتد عليكم نبيذكم فاكسروه بالماء. وما تقدّم من قول ابن قتيبة أقرب إلى الصواب في التأويل. وقد قال القوم من أهل النظر: إن السكر حرام، وما كان دون السكر أو بعيداً منه فلا بأس به. واحتجوا أن عصير العنب، ما دام حلواً، فهو حلال مطلق، وكذلك إذا استحال وصار خلاً، وإنما يُحرم منه ما أسكر بالسبب المتوسط بين الحالين. وقال بعض أهل النظر: إذا انقلبت العين بطبخٍ أو مزج ماءٍ أو غيره فقد زال التحريم على القياس. وروى عن ابن عباس أنه قال: إذا كان الإنسان منتهى سكره من هذا النبيذ عشرة أقداح فشرب ثمانية أقداح أو تسعة فلم يسكر فهو رخصة في ذلك لقول رسول الله "ص" كل مسكر حرام وفي رواية أخرى: كل مسكر حرام.

وروي عن عثمان بن أبي العاص أن عمر "رض" لما فطر قال: أعندكم من شرابكم شيء، قالوا: نعم، فأتوه به فشمه فسطع في خياشيمه فكسره بالماء وشربه.

وعن أبي هريرة أن عمر شرب في جفنةٍ لناسٍ من أهل الطائف، فلما ذاقه قطب وقال: إذا اشتد منته فاكسروه بالماء، ثم قال: إن نبيذ الطائف له عرامٌ، ثم شربه.

وعن حسان بن مخارق أن رجلاً كان صائماً فأهوى، حين أفطر إلى قريةٍ فشرب منها فسكر، فأُتي به

عمر رحمه الله، فقال الرجل: إنما شربتُ من قربتك، فقال عمر: إنما أجلك لسكرك لا لشربك وقال: من رابه ريبٌ فليسبحه بالماء. وروى عن عمرو ابن ميمون أن عمر قال: إنا لنشرب من النبيذ الشديد ليقطع لحوم الإبل في بطوننا، قال: وشربت مما عمِل له فكان نبيذاً شديداً. وعنه قال: شهدت عمر حين طعن فجاءه الطبيب فقال: أيُّ الشراب أحبُّ إليك؟ قال: النبيذ، فأتي بالنبيذ فشربه فخرج من إحدى طعنتيه. وروى الأعمش عن النخعي عن علقمة قال: شربت عند ابن مسعود نبيذاً صلباً آخره يسكر. وعن ربيعي بن حراش أن عمر "رض" أتى قوماً فأخرجوا إليه نبيذاً حلواً، فقال: أ عندكم ما هو أشد من هذا؟ قالوا: نعم ولكن كرهنا أن نأتيك به، فأتوه به فكسره بالماء وشرب حتى روي، ثم أعطاه الذي عن يمينه.

وكتب يعلى بن أمية إلى عمر "رض" إنا نؤتى بقوم شربوا الشراب، فكتب إليه: من أتيت به فاستقرئه أم الكتاب وألقِ رداءه وأردية "أخرى" فإن لم يعرف رداءه فأقم عليه الحد. وروى نافع بن الحارث: أن عمر قال: اشربوا هذا النبيذ فإنه يقيم الصلْب ويهضم ما في البطن وإنه لن يغلبكم ما وجدتم الماء.

وروى الأعمش أن موسى بن طريف عن أبيه، أن علياً "رض" كان يشرب النبيذ في الحرِّ الأخضر. وسأل رجلٌ علياً قال: أفتني في النبيذ، قال: إشرِب ولا تسكر. وروى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: تعشيت عند علي "رض" فسقاني طلاءً فلما قمت لأخرج، كان الطريق يمنةً فأخذت يسرة، فدعاني عليٌّ فقال: لعل شرابنا أخذ برأسك. يا جارية، خذي معه قبساً.

وروي أن رجلاً شرب من إداوة عليٍّ فسكر فجلده عليٌّ وقال: حدُّ النبيذ إذا أسكر ثمانون كجلد الخمر. وروي عن الحسين بن عليٍّ أن رجلاً سأله عن النبيذ قال: اشربه فإن خفت أن تسكر فدعه. وعن العمش عن المنذر قال: رأيت محمد بن الحنفية يشرب من نبيذ الدنِّ وكان يشرب الطلاءض الشديد. وروي عن أبي جعفر أن علي بن الحسين كان رجلاً مموّداً وكان يوافقه انبيذ الصلب فيشر به. وقال عاصم: أدركت أقواماً يتخذون هذا الليل جملاً كانوا يلبسون المعصفر، ويشربون نبيذ الجر، لا يرون به بأساً، منهم، زر بن حبيش وأبو وائل شقيق بن سلمة، وكانا يشربان نبيذ الخواي.

وكان شريح يشرب الطلاء الشديد. وروى الأعمش عن أبي إسحق قال: عرّست فدعا أبي أصحاب عليٍّ وعبد الله بن مسعود، فشربوا نبيذ الخواي وهم يرونها يسقي منها بالزواريق. والأحاديث عن هذه الطبقة من أصحاب علي "رض" كثيرة جداً. وعن غيلان ابن زيد قال: رأيت أبا عبيدة بن عبد الله يشرب النبيذ في جرٍّ أخضر ويقول: إن محرم ما أحل الله كمستحل ما حرّم الله عز وجل، وكان يشرب الطلاء حتى

تحمّر عيناه.

وقال مكحول: إذا شرب الرجل النبيذ فطابت نفسه وطرب فليحرم بقيته عليه فإنه ليس بعد الطرب إلا السكر. وكان إبراهيم النخعي وعامر الشعبي يشربان المسكر من النبيذ، وكان يقول لا خير في النبيذ إلا الشديد منه. وقال: أفسد الناس النبيذ بميم زادوها في الحديث، قالوا: كل مسكر حرام، وإنما هو كل سكر حرام. وقال: الشربة التي تسكر من النبيذ حرام، ولم يكن يرى بنقيع الزبيب بأساً، ولم يكن يرى على سكران النبيذ حداً، ويقول اكتموه عن أصحاب النبيذ. وعن إسماعيل بن عبد الله قال: رأيت سعيد بن جبير يشرب نبيذ الخواصي. وحضر الحسن البصري وليمةً ومعه عشرة من أصحابه فأتوا بطعامٍ فأكل ثم أتى الحسنُ نبيذاً شديداً فشرّب منه ثم ناول القوم فشرّبوا فقال أحدهم: الماء أحبُّ إليّ، فقال الحسن: إن ذلك عليك لبين. وسئل مطرف بن عبد الله بن الشخّير عن النبيذ فقال: اشرب ما لا يهلك فيه مالك أو يذهب منه عقلك. وعن أنسٍ قال: كانت أم سليم تنبذ نبيذاً لها في جرٍّ أخضر، فكان رسول الله "ص" يجيء فيشرب منه. وسئل الضحّاك بن مزاحم عن نبيذ الجرّ فقال: لا بأس به. وسئل أبو بكر الهذلي عن النبيذ فقال: تمادى فيه السفهاء حتى كرهه العلماء. وقال أبو بكر بن عباس المتوفى: أجمع الفقهاء على أن المسكر والخمر حرام وإذا اشتد النبيذ كُسِرَ بالماء وهذا لا بأس به، والله لو كان النبيذ حراماً ما اختلف فيه اثنان. وكانوا يرون ما اشتد من الأشربة التي قد طبخت على النار، حلالاً، إلا ما كان من عصير العنب فإنهم تجرّجوا منه إلا ما ذهب ثلثاه وبقي عسلاً لا يشتد فإنهم أجازوا ثلثه. وكان أبو حنيفة يرى أن شرب النبيذ من السنة. وقال ابن المبارك: أما النبيذ الذي كثيره "حرام" فلو أن رجلاً شدد فيه لم أنكر عليه ولو أن رجلاً رخص فيه لم أنكر عليه.

قال ابن المبارك: روي عن ثقات أهل الكوفة عن عمر "رض" تحليله، وروي عن ثقات أهل المدينة تحريمه، فمثله عندي كمثلي رجلين تنازعا في سلعةٍ في يد أحدهما، كل واحد يقول: هي لي، وليس لواحد منهما بينة، فأقضي بينهما، فلا أقول حلالاً ولا حراماً. وقد فرقت العرب بين الخمر وبين سائر الأشربة، قال الفرزدق:

مالي وكنت بها قديماً مولعاً

إن الأخامرة الثلاثة أهلكت

والزعفران به أروح من وعاء

الخمر واللحم السمين أحبُّه

وقال حسّان:

فهنّ لطيب الراح الفداء

إذا ما الأشربات ذُكرن يوماً

وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

ونشر بها فنتركنا ملوكاً

وقال القلمس:

فقلت دع التقييد في الشرب للخمر
سوى شربها صهباء طيبة النشر
بسورتها يهذي مراراً ولا يدري
ولا أشتهي شرب النبيذ من التمر

نهاني امرؤ عن لذتي أن أنالها
تقضت لذاتي فلم تبق لذة
إذا ما حساها المرء ظلّ مرناً
أروي بها نفسي فتحيا بشربها

ففرق بينها وبين النبيذ.

وقال سوادة بن الصامت:

والموت عندي شرب صفو النقيع
نادى المنادي بصلاة الجميع

الكأس همي والندى همّتي
والعيش صفو الراح صرفاً إذا

ففرق بينها وبين النقيع ولم يعدّه خمراً.

وقد جاء أبو الأسود الدؤلي بأوضح من هذا فقال:

رأيت أخواها مغنياً بمكانها
أخوها، غذته أمه بلبانها

دع الخمر يشربها الغواة فإنني
فإلاً يكنها، أو تكنه، فإنه

فهؤلاء فصحاء العرب، فرّقوا بين عصير العنب وغيره فسمّوه خمراً دون سائر الأشربة، وهكذا صفتها بكل لسان وعند كل أمة. وقد أجمعوا أن قليل الخمر وكثيره حرام. وأكثرهم يشرب ما دون السكر من سائر الأشربة لأنها لا تُعرف عندهم بخمر، ولو كانت خمراً لكان القليل منها حراماً. وقد رووا عن ابن عباس، عن النبي "ص" أنه قال: حرّمت الخمر بعينها والسكر من كل شراب. فلو أن الأشربة الشديدة كلها محرمة لما كان لقوله: حرّمت الخمر بعينها، معنى، لأن ذلك إنما يقال لما حرّم وحده، فإن قال قائل: قد روينا عن جماعة من أصحاب رسول الله "ص" منهم عمر "رض" أنهم قالوا: إن الخمر من الزبيب والتمر والعسل والخنطة والشعير والذرة، وأن الخمر ما خامر العقل. وما روي عن أنس أنه كان يسقي عمومته من الأنصار، حتى دخل عليهم داخل فقال: إن الخمر قد حرّمت فأمره بإراقته ولم يكن خمرهم يومئذ إلا الفضيخ. وما شابه ذلك من الأخبار. قيل له إن هذه أخبار آحاد لا يثبت بها أن يطبقوا على تحريم سائر الأشربة الشديدة لوجود اسم الخمر لها عندهم، فلما لم تُجمع المسلمون على هذه التسمية ولا اشتهرت عن العرب وجب بطلان ما ادعاه من سمّي هذه الأشربة خمراً إذ كانت الأسماء لا تؤخذ بالقياس. وقد صحّ بالأخبار المتواترة أن نبيذ التمر كان فاشياً بالمدينة يشربه أهلها غنيهم وفقيرهم ويجري عندهم مجرى أقاتهم، فلولا أنه أراد إطلاق الأشربة لهم لنصّ عليه كما نص على الخمر لأن النص عليه

أولى لشهرته وكثرة متناوليه ولقلة الخمر، فإنها لا تكاد توجد عندهم. العلماء في هذه الأشربة طبقتان: طبقة تحلها وطبقة تحرمها، وتذهب في تحريمها إلى القياس على الخمر وإلى أخبار آحاد جاءت بتحريمها، نحو الخبر: بأن كل مسكرٍ حرام، والخبر الآخر: ما أسكر كثيره فقليله حرام. ولم يذهب أحد في تحريمها إلى أن اسمها خمر، وقد اضطرت الرواية في هذا المعنى واختلفت اختلافاً يدل على فسادها. وهو أن بعضهم روى أن الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنب. وروى آخر أنه، عليه السلام، قال: كل مسكرٍ خمرًا، فقد صارت الخمر من مائة شيءٍ مثلاً، ومن قال أنها من شيئين كان قوله فاسداً، وكذلك من قال أنها من خمسة أشياء. ووجه آخر يوجب بطلان قول من حمل هذه الأحاديث على ظاهرها وهو أن كل مسكرٍ حرام، منها أن اللبن الرائب يسكر كثيره كقول بشر بن أبي حازم:

فأما تميم، تميم بن مرٍّ **فألفاهم القوم روبي نياماً**

قال: شربوا الرائب حتى سكروا، وليس أحد من المسلمين يُسمي اللبن خمرًا. والبنج يسكر، والنوم يسكر، وإذا جاز أن تخرج هذه الأشياء من جملة قوله: كل مسكرٍ خمر، جاز أن تخرج سائر الأشربة الشديدة التي من عصير العنب، من جملة الخمر.

ومنها ما جاء بأن الخمر ما خامر العقل، وقد يخامر العقل النوم، والبنج، والإغراق في الفكر، والغشي، وما أشبه هذا مما يعرض للدماغ، فظاهر الخبر يوجب أنه خمر. وقد روى ابن عباس قوله "ع": حُرِّمَت الخمر بعينها والسكر من كل شراب، فقد أباح بقوله هذا القليل مما لا يسكر كثيره، وأوجب أنها لا تكون خمرًا، إذ قليل الخمر وكثيرها حرام بالإجماع.

وروا عن عليٍّ "رض" أنه قال: ما أبالي أخمرًا شربت أم مسكرًا، ففرق بين الخمر والمسكر، ولو كان الخمر عنده ما أسكر، لما كان لقوله هذا معنى لأنه قال: ما أبالي شربت خمرًا أو شربت مسكرًا، وهذا من قول عليٍّ، مع سائر الأخبار المروية في تحليل النبيذ الشديد، يدل على أن هذه الأشربة لم تكن خمرًا عند أحد، ولو كانت خمرًا في الحقيقة، ما أقدموا على شرب قليلها وإنما أراد القائل منهم، حُرِّمَت، وهي من خمسة أشياء، إلى ما يقيمونه مقامها من خمسة أشياء، وما يتناولونه عَرَضاً منها، من خمسة أشياء تفعل فعلها كقول القائل: فلان يأكل الخبيص، وما خبيصنا إلا التمر، وكذا قول عائشة "رض" وقد ذكرت الطيب فقالت: وما كان طيبهم إلا الماء. وكذلك قوله "ص": كل مسكرٍ حرام، أي يقوم مقام الخمر ويكون فيه من الصد عن ذكر الله، وفساد العقل ما يكون في الخمر، وكذلك قوله: ما خمرته فهو خمر،

أي هو في معنى الخمر لشدته، ومعنى قول النبي "ص": لا تشربوا مسكراً، يعني القدح الذي يوجب شربكم له السكر، وذلك هو الآخر مما يشرب إذا كان الأول لم يوجب ذلك، ولا كان الإنسان عند شربه إياه سكران. وأما قوله: ما أسكر كثيره فقليله حرام، فإنما أريد به قليل ما قصد إلى السكر بكثيره، لأن من قصد ذلك فشربه لأول قدح يشربه، عليه حرام، لأنه قصد أن يدوم فيه إلى السكر. وسئل ابن عباس عن قول النبي "ص": كل مسكر حرام، فقال: إن شرب أحدكم تسعة أقداح فلم يسكر فهو حلال، وإن شرب العاشر فسكر فهو حرام، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: شهدت تحريم النبيذ كما شهدت ثم شهدت تحليله فحفظت ونسيتم، وأما شراب ملوك الروم فإنه شراب يطبخ من عصير العنب وتطرح فيه الأفاويه فتعقب روائحها وطعومها وتزداد حرارة وطيب نكهة، وأهل الشام يسمونه الرساطون، والإسفنط لتطيبه، النفس وروى شريك عن عمرو بن حُرث، قال: سقاني ابن مسعود نبيذاً شديداً من جرٍّ أخضر. وروى ابن قتيبة يرفعه إلى أنس بن مالك، أنه كان يشرب النبيذ الصلب الذي يكون في الخواوي. وقد أجمع الناس جميعاً على تحريم الخمر بكتاب الله عزَّ وجل إلا قوماً من بَنان أصحاب الكلام فإنهم قالوا ليست الخمر محرمة، وإنما نهى الله عن شرها تأديباً كما أنه أمر في الكتاب بأشياء ونهى عن أشياء على جهة التأديب وليس فيها فرض، كقوله في العبيد والإماء، فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً، وكقوله في النساء: واهجروهن في المضاجع واضربوهن، وكقوله: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط، وقالوا: لو أراد تحريم الخمر لقال: "حرمت عليكم الخمر كما قال" حرمت عليكم الميتة والدم، وليس قول هؤلاء حجة على ما أوردناه من الإجماع على تحريمها. وكان عبد الله بن داوود يقول: ما هو عندي وماء البركة إلا سواء. وقال لا بأس أن يشربه الرجل على أثر الطعام كما يشرب الماء، وأكره إدارة القدح. وقال: من أدار القدح لم تجز شهادته وشهد "رجل" عند سؤار القاضي، فلم يُجز شهادته، فقال:

ولا شهادة لي ما عاش سوار

أما النبيذ فإنني لست تاركه

وكان كثير من الحجازيين يترخص فيه حتى غلط فيه مالك. وما حرم الله شيئاً إلا عوض ما هو خير منه، ما يطيب النفس ويصفي اللون ويهضم الطعام، فلا يبلغ منه إلى ما يذهب العقل ويصدع الرأس وإن كان يشرك الخمر في جناياتهما وجميع آفاتهما.

قالوا وأما قولكم إن الخمر ما حُمِّر والنبيذ كله يُحَمَّر فهو خمر، فإن الأشياء قد تتشاكل في بعض المعاني فيسمى بعضها بعلة فيه، ولا يطلق ذلك على الاسم الآخر، ألا ترى أن اللبن قد يحمر بروبة تُلقى فيه ولا يسمى خمراً، وأن نقيع التمر يسمى سُكراً ولا يُسمى غيره من النبيذ سكرًا، وإن كان يسكر، وهذا في

كلام العرب أكثر من أن يحاط به، ورأيت اللبن قد يسكر إسكاراً النبيذ، يقال قوم ملبنون، وقوم روبي إذا شربوا الرائب فسكروا منه. قال بشر بن أبي خازم

فَأَمَّا تَمِيمٌ، تَمِيمٌ بِنُ مَرٍّ فَأَلْفَاهُمْ الْقَوْمُ رَوْبِي نِيَامَا

وأما قولكم للرجل: مغمورٌ وبه خمار، إذا أصابه صداع من الخمر وأنه يقال مثل ذلك لمن أصابه صداع من النبيذ، فيقال: به خمار، ولا يقال به بُبَادُ، فإن حجتنا فيه أن الخمار إنما يعرض مما أسكر من النبيذ، وذلك حرام لا فرق بينه وبين الخمر عندنا، فيقال فيه ما ياقل في الخمر، وإنما كان شربة النبيذ من أسلافنا يشربون منه اليسير على الغداء والعشاء وما لا يعرضُ منه خمار. وحدث إسحق بن راهويه قال: سمعت وكيعاً يقول: النبيذ أحلُّ من الماء. وعابه الناس بذلك فقالوا: كيف يكون أحلُّ من الماء، إذا كان حلالاً. وليس على وكيع في هذا عيب، ولا يُرجع عليه فيه بكذب، لأن كلمته خرجت مخرج كلام العرب في مبالغتهم، كما يقولون: هو أشهر من الصبح، وأسرع من البرق، وأبعد من النجم، وأحلى من العسل، وأحرُّ من النار، ولم يكن أحد من الكوفيين يحرم النبيذ غير عبد الله بن إدريس وكان بذلك معيباً.

وقيل "لابن" إدريس: من خيار أهل الكوفة؟ فقال: هؤلاء الذين يشربون النبيذ. قيل وكيف، وهم يشربون ما يُحرّم عندك، قال: ذلك مبلغهم من العلم. وكان ابن المبارك يكره شرب النبيذ ويخالف رأي المشايخ، وقال له أبو بكر بن عياش: من أين جئت بهذا القول في كراهيتك للنبيذ ومخالفتك أهل بلدك، قال: هو شيء اخترته لنفسى، قلت له: فتعيب من يشربه، قال: لا، قلت: فأنت وما اخترت لنفسك.

وعن أبي سلمة يحيى بن دينار قال: بينا زيد بن عليّ في بعض أزقة الكوفة إذ بصر برجلٍ من الشيعة فدعاها إلى منزله وأحضر له طعاماً، فتسامعت به الشيعة فدخلوا عليه حتى غصّ المجلس بهم فعاكلوا معه ثم استسقى، فقيل له: أي الشراب نسقيك يا ابن رسول الله؟ قال: أصلبه وأشدّه، فأتوه بعُسٍّ من نبيذ فشربه، وأدار العُسَّ عليهم فشربوا، ثم قالوا: يا ابن رسول الله، لو حدثنا في هذا النبيذ بحديث رويته عن أبيك عن جدك، فإن العلماء يختلفون فيه، فقال: حدثني أبي عن جدي أن النبي "ص" قال "لتركبن أمّتي" طبيعة بني إسرائيل حذو القُدّة بالقُدّة والنعل بالنعل حتى لو أن رجلاً من بني إسرائيل نكحت نساءها بالأسواق لكان فيكم من يفعل ذلك، ألا وإن الله ابتلى بنهر طالوت أحلّ منه الغرفة والغرفتين وحرّم

الري، وابتلاككم بهذا النبيذ، أحلّ منه القليل وحرّم عليكم الكثير. وكان أهل الكوفة يسمون النبيذ نهر طالوت، قال فيه الشاعر:

اشرب على طرب من نهر طالوت
من كف ساحرة العينين شاطرة
حمراء صافية في لون ياقوت
تربي على سحر هاروت وماروت

وحضر ابن أبي الحواري بالشام، وكان معروفاً بالرقائق والزهد مع فقهاء البلد، فبعث إليه صالح العباسي بقدر من نبيذ فشربه، ثم بعث إليه بثمان فامتنع من شرهه، فأخذته الناس بألسنتهم وقالوا: شربت المسكر لهؤلاء فصرت لهم حجة، فقال: أحسبتم أن أكون ممن قال الله فيه "يستخون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم" فكيف كنت أدعه لكم وأشربه لغير الله.

وقال بعض القضاة لرجل كان يعدله ويعتب عليه بقوله: بلغني أنك تشرب المسكر، فقال: ما أشرب المسكر ولكني أشرب النبيذ الصلب ولا أسكر منه.

وعن هُشيم بن بشير قال: ربما شربت من هذا النبيذ ثم أركب ناقتي ما أبصر أذنيها.

وقال علقمة: سألت الشعبي عن النبيذ فقال: ما اشتد فهو أحب إليّ. وعن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: النبيذ حلالٌ والمسكر حرامٌ.

وشرب النبيذ جلةٌ من قضاة أهل القيروان وفقائهم.

ذكر عن ابن البرغوث المقرئ قال قال لي عبد الرحمن بن أبي حسان وجّه إليّ الأمير زيادة الله بن إبراهيم، فدخلت عليه فوجدت عنده أبا محرز وأسد بن الفرات فقال لي يا ابن أبي حسان ما تقول في النبيذ الشديد؟ فقلت أيها الأمير أنت تحله وتشرهه، وهذان قاضيان يُحلاتنه ويشربانه فما عسيت أن أقول؟ قال لا بدّ، قلت شرب الكثير منه حتى يزيل العقل محرّم عند جميع الناس، وقد أحلوا منه القليل الذي لا يسكر؛ فكانت عند زيادة الله مآدبة جمع لها وجوه أهل القيروان وأهل العلم والفقهاء فجلس على مائدة جمع لها وجوه أهل القيروان وأهل العلم والفقهاء فجلس على مائدة بين يديه سحنون بن سعيد وابن أبي حسان ومعمار بن منصور الفقيه وعمران بن أبي محرز، فاستسقى معمر ماءً فقال له الأمير إن عندنا شراباً كثيراً؛ عندنا الماء، وشراب الورد وشراب الجلاب وما أشبههما، ومطبوخ العنب، ومطبوخ الزبيب، ونبيذ العسل، ونقيع الزبيب، فاختر أيها شئت "فطلب نبيذاً" فأمر أن يؤتى به، فسقاه أحد الغلمان ثلاثة أقذاح، فالتفت إليّ فقال ما تقول في النبيذ؟ فقلت أنت تراني أيها الأمير أشربه وتسالني عنه رويانا عن عبد الله بن عباس قال حرّمت الخمر بعينها والسكر من كل شراب، وأتى بأحاديث كثيرة يحتج بها في تحليله، فقال

لسحنون رحمه الله وأنت ما تقول؟ قال اختلف الناس فيه، وأنا أقول بتحريمه، فقال لعمران بن أبي محرز فأنت؟ قال كان أبي وأخي يشربانه وكنت أشربه ثم تركت شربه، قال ولم؟ والله إن أباك وأخاك خير منك، قال إن ذلك لعله وهو لا يوافقها.

وكان معمر لا يستأثر في شرب النبيذ، وكان لسحنون بن سعيد حلاً وصديقاً لا يغير ذلك ما بينهما وكان يفتقده كثيراً ويزوره. فيقال أنه دخل يوماً إليه وكأس كبير ملآن بالنبيذ مكشوف بالقرب منه، فقال: ألا تخاف عليه من الذباب؟ قال: هو أمتع جانباً من ذلك. ودخل معمر يوماً على زيادة الله بن إبراهيم فقال له: يا معمر إني أحب النبيذ، وما تراني أصبر عنه، فما ترى لي أن أشرب منه؟ فقال: أرى أن تشرب قدحاً واحداً، قال: لا يقوم بي، قال: قدحين، قال: لا يقومان بي، قال: فثلاثة، قال: لا تكفيني، قال: وثلاثمائة ما لم تسكر.

وأناه رجل فقال: أصلحك الله ما تقول في نبيذ هذا الزبيب الطرقوني، المنقع المضروب بالعسل، فقال له معمر: بختك أشقى من أن يكون هذا في بيتك.

قال معمر بن زرزور: سمعت معمرًا، وأناه رجل يسأله عن النبيذ النقيع الذي يعمل من الزبيب، يقول: يا شحيح، يا بخيل، أهد لنا منه جرة.

ولمعمر في تحليل النبيذ كتاب حسن يدل على حذقه ومعرفته، وكان أخذ تحليله من عبد الله بن فروخ، وكان عبد الله على زهده وورعه وصيافته يحلل النبيذ ويرى شربه غير مستتر فيه. وروي أنه حضر يوماً عرساً بالقيروان لبعض إخوانه فلما أتي بالطعام جلس إلى جانب ابن فروخ رجل متصوف ممن يرى تحريم النبيذ، فنظر إليه ابن فروخ، وقد أخذ دجاجة من على المائدة فلفها في منديله وجعلها تحت المائدة، ثم أتي بالنبيذ فدفع إلى ابن فروخ قدح كبير فشربه، ثم ملئ فدفع إلى ذلك الرجل الذي كان إلى جانبه فامتنع من شربه وامتنع وغضب وأظهر كراهة شديدة، وقال: أنا أشرب النبيذ؟ فالتفت إليه ابن فروخ كأنه يساره وقال: اشرب يا سارق الدجاجة، لأنه أخذها من غير إذن صاحبها.

وعن علقمة بن قيس قال: أكلت مع عبد الله بن مسعود خبزاً ولحماً وأتي بنبيذ شديد فشرب من وسقاني. وعن علقمة قال: سألت عبد الله بن مسعود عن حديث رسول الله "ص" في المسكر فقال: الشربة الآخرة منه حرام. وقال: دُعي أبو موسى الأشعري إلى وليمة فأتي بطعام فأكل ثم أتي بعس فشرب منه وناول رجلاً عن يمينه، قال: فشربت فإذا طلاءً شديد.

وكان عمر بن الخطاب يتزود الراوية من نبيذ الزبيب، وعن مجاهد قال: قلت لابن عباس: فسّر لي قوله "ص" كل مسكر حرام، قال: تشرب الشراب وهو لك حلال، فإذا سكرت منه فهو حرام. وسئل أيضاً عن مثل ذلك فقال: الشربة التي تسكر منها "حرام". وسئلت عائشة عن النبيذ فقالت: اشربوا ولا

تسكروا. وعن قتادة بن دعامة قال: سألت أنس بن مالك عن النبيذ فقال: ما سمعت عن النبي "ص" فيه شيئاً.

وقال العبر بن حريث: سقاني أنس "رض" طلاءً من زقٍ مُقْمِر. وعن الشعبي قال: شهد عندي عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه شرب نبيذاً شديداً في جرٍّ أخضر عند البدرية من أصحاب محمد "ص" وعن عوف بن أبي ححيفة قال: زوجني أبي وأعرس عليّ وأولم فأهدي لي عشرون دناً من طلاء قد طبخ على النصف فسقى الناس من ذلك الطلاء. وروي عن أبي حازم الثوري قال: بعثني الربيع ابن خثيم ابتاع له طلاءً فأتيته به وفيه بعض الحلاوة فقال: ردّه واشتر لي ما هو أشد منه.

ذكر ما جاء في تحريم الخمر وشدة النهي عنها

قال الله عز وجل: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق. وقال: وذروا ظاهر الإثم وباطنه، إن الذين يكسون الإثم سيُجزون بما كانوا يفترون. ثم قال في موضع آخر: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع. فدخلت الخمر في إثم ما حرّمه القرآن، لأنه أخطر بتحريم الإثم وجعله في الخمر كبيراً.

فأما شدة النهي فقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم متتهون. فقالوا انتهينا، فصّح في العقل أن كلّ ما خُمّر من عنب وزبيب وتمرٍ وعسلٍ وحنطة وغير ذلك، فاذهب العقل، وأوقع العداوة والبغضاء، وصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وثبتت فيه هذه المعاني فهو خمرٌ محرّمٌ.

ويروى عن أنس بن مالك أنه قال: كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة وأبيّ لن كعب شرباً من تمر فضيخ، فأتاهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حرّمت، فقال أبو طلحة: قم يا أنس إلى هذه الجرار فاكسرها، فقمت إلى مهراسٍ لنا فضربته بأسفله حتى تكسر. وروي عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله "ص" قال: ليشرين ناسٌ من أمّتي الخمر يسمونها بغير اسمها، ويضرب على رؤوسهم بالمعازف، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردهً وخنازير. رواه سحنون قال: لأنهم يسمونها نبيذاً واستحلوها فأخبر الله بذلك نبيّه أنه سيكون في أمته فحذرهم منه.

ولم يروى من قال بإحلال النبيذ الشديد عن رسول الله "ص" حديثاً واحداً مكشوف المعنى مشروحاً يُثبت مثله أهل المعرفة بالحديث. وروا في ذلك أحاديث لا تقوم بها حجة. ومن الناس من يشرب المسكر ويعلم

أنه حرام فإذا عوقبوا على ذلك قالوا: نشربه، ونعلم أنه ذنب، ونستغفر الله منه، أحب إلينا من أن نشربه مستحلين له غير مستغفرين منه ويحتجون بقول المأمون:

سأشربها وأزعمها حراماً
ويشربها ويزعمها حلالاً
وأرجو عفو ربّ ذي امتنانا
وتلك على الشقيّ خطيئتان

وهذه جرأة على الله وطمع في المغفرة، وأنى لهم المغفرة وهم مصرون، لا ينصرم عنهم يوم إلا عقدوا النية على شربه في الغد وبعد الغد وإنما يغفر الله بالاستغفار للمقلعين.

وماذا يقولون في رجل زنى وهو لا يعلم أن الله حرم الزنى وآخر زنى وهو يعلم أن الزنى من الكبائر التي تسخط الله وتوجب النار، أيهما أقرب إلى السلامة وأولى من الله بالعفو؟ الذي لا يعلم، لا حدّ عليه ولا رجم، وعلى الآخر حدّ البكر أو الرجم إن كان مُحصناً.

وروي عن أبي هريرة أنه قال: صنعت لرسول الله "ص" نبيذاً في الدُّبَاء وكان صاعاً فجئت به عند إفطاره، فقال: أدنه، فأدنيته منه فإذا هو ينشُّ، فقال: اضرب به الحائط فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر. وقال صلى الله عليه وسلم: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. وقال الله تعالى فاجتنبوا الرجسَ من الأوثان واجتنبوا قول الزور، فجعل الأوثان رجساً وجعل الخمر رجساً.

وروى مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله "ص" كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، مع أحاديث كثيرة، هذا أشدّها إفصاحاً وأبعدها من حيلة التناول. والشاهد على ذلك من النظر، أن الخمر إنما حرمت لإسكارها وجرائرها على شاربيها، وسائر هذه الأنبيذة تفعل كما تفعل. ويوروى عن رسول الله "ص" أنه قال: أكبر الكبائر قتل النفس التي حرّم الله، وشرب الخمر وعقوق الوالدين وقذف المحصنات، والرار من الزحف، وترك الصلاة متعمداً، فمن فعل منها شيئاً فهو بريء من الإيمان. وعن أبي موسى الأشعري أنه قال: والله ما كنت أبالي شربت قدح خمر أو عبدت هذه السارية من دون الله، سمعت رسول الله "ص" يقول: لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يشرب خمرًا أو يهرق دمًا. وعن عائشة رضي الله عنها: سئل عن البتّع، وهو نبيذ العسل فقا: كل شراب أسكر فهو حرام، "و" قال: ما أسكر كثيره فقليله حرام. وقال "ص" من شرب شراباً حتى يذهب بعقله الذي أعطاه الله فقد أتى باباً من أبواب الكبائر. وعن مسروق بن الأجدع قال: شارب الخمر كعابد وثن. ومدمن الخمر كعابد الات والعزى. وعن شعيب بن حرب قال: قال الله عز وجل: لأن يسرق أحبُّ إليّ من أن يسكر لأنهما إذا سكر

لم يعرفني. وعن أبي سعيد الخدري أن النبي "ص" قال: إن المؤمن إذا تناول الخمر ليشرها قال الله تعالى، عبي راقبي في شربها، فوعزتي وجلالي لمن شربتها لأسقينك من طينة الخبال. فمن شربها صباحاً أمسى وهو كافر بالله، ومن شربها مساءً أصبح كعابد اللات والعزى وإنه لبريء من الإيمان والإيمان بريء منه، وإن مات على ذلك مات ميتة جاهلية وحشر يوم القيامة مع عبدة الأوثان والأصنام إلى النار.

وعن جعفر بن محمد قال: قال رسول الله "ص": من أدخل عرقاً من عروقه قليل ما أسكر كثيره، عذب الله ذلك العرق بثلاثمائة وستين لونا من العذاب. وعنه أن رسول الله "ص" قال: لا أشفع لمن تمأون بطلاء ولا أشفع لمن شرب مسكراً. وقال "ص": من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً فإن عاد لم يقبل "له" الله صلاة ثمانين يوماً، فإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: صديد أهل النار وقيحهم. قال: وسمعت رسول الله "ص" يقول: لعن شارب الخمر وساقيتها وعاصرها وبائعها وشاربيها وحاملها والحمولة إله وأكل ثمنها. وقال سمعته "ص" يقول: من قعد على مائة فيها شراب فقد خلع ربة الإسلام من عنقه. قال: وسمعت "ص" يقول: من مات والخمر في جوفه قبض ملك الموت روحه وهو سكران، ودلي في قبره وهو سكران وأمر له إلى النار وهو سكران. قال، وسمعت يقول: من شرب من الخمر شربة لم يشربها وإن دخل الجنة، يسلبه الله ذكرها وشهوتهما ولا يدعو بها في الجنة. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله "ص": من شرب الخمر فاجلدوه، وإن عاد فاجلدوه، وإن عاد فاجلدوه، وإن عاد الرابعة فاقتلوه، قال، فأتي رسول الله "ص" برجل من الأنصار يقال له نعيمان، شرب الخمر فجلده، ثم عاد فجلده ثم عاد فجلده، ثم عاد الرابعة جلده، فرأى المسلمون أن الحد قد ثبت وأن القتل قد رفع، وكان لا يزال يؤتى به شارباً فيقول: اضربوه فيضربونه بالجريد والنعال، فقال رجل من القوم، إلعنه، ما أكثر ما وتى به، فقال رسول الله "ص" لا تسبه فإنه يحب الله ورسوله.

وقيل لعدي بن حاتم: ما لك لا تشرب النبيذ؟ قال: لئلا أصبح حليم قومي وأمسي سفيهم. وقيل لعثمان بن عفان "رض" ما منعك من شرب الخمر، ولا حرج عليك في شربها؟ قال: لأني رأيتها تذهب العقل جملةً، وما رأيت شيئاً ذهب جملةً فعاد جملةً. وقال عبد العزيز بن مروان لثيب: هل لك فيما يُحسن المجالسة وينتج الموانسة، فقال: أصلح الله الأمير، الشعر مفلفل، واللون مُرمد ولم أقرب إليك بكلام عنصر ولا حسن منظر وإنما هو عقلي ولساني، فإن رأيت ألا تفرق بيني وبينهما فأفعل. وقال النعمان العبي لابنه ساعدة: يا بني إن كثرة الشراب تفسد القلب وتغير اللب، واعلم أن الظمأ الذابح خير من الرِّيِّ الفاضح؛ وقال بعض الحكماء: الشراب أول الخراب ومفتاح كل باب، يمحق الأموال ويذهب الجمال ويهدم المروءة ويوهن القوة ويضع الشريف ويهين الظريف ويُذل العزيز ويبيح الخريز ويفلس التجارة ويهتك الأستار، وقال الشاعر:

وأقبلت أرشب ماءً قرأحا

كحب الغلام الفتاة الرداحا

يخاف نديمي علي افتضاحا

وأهلاً مع السهل وانعم صباحاً

تركتُ الخمر لأربابها

ودكنت حيناً بها معجباً

وما كان تركي لها أنني

ولكنّ قولي له مرحباً

وكان رجل من الأزدي يكنى أبا شملة قد تتابع في الخمر وغلبت عليه، فأتي به رسول الله "ص" وهو سكران فخلّى سبيله، ثم أتى به وهو سكران، فأخذ رسول الله "ص" قبضة من تراب فضربه بها، وقال: اضربوا الخبيث فضربه الناس بأيديهم وبالنعال وأطراف النخل، فلما ولى أبو بكر، أتى بسكران فسأل: كم ضرب رسول الله "ص" أبا شملة، قالوا: ما ندري، قال: كم كنتم؟ قالوا: عشرين رجلاً، قال: فكم ضربه كل واحد منكم؟ قالوا: الضربة والضربتين، فضربه أربعين، فلما ولي عمر كتب إليه أبو عبيدة بن الجراح من الشام، إن الناس قد تتابعوا في شرب الخمرة، وقد ضربت فيها الأربعين فلم تغن شيئاً، فجمع عمر رجلاً من أصحاب رسول الله "ص" فشاورهم، فقال علي: إني لا أرى أحداً أشبه بحدّ الفرية منه لأن الرجل إذا سكر هذى وإذا هدى افترى، فقال عمر للرسول: قد سمعت ما قال، فمر راباً عبيدة أن يضربها فإنها ضاربوها، فضرب أبو عبيدة ثمانين، وضربها عمر بالمدينة.

وقال الضحّاك بن مزاحم لبعض أصحابه: مالك ولشرب النبيذ؟ قال: يهضم طعامي، قال: والله لما يهضم من عقلك ودينك أكثر. وسئل شريك بن عبد الله عن النبيذ قال: إشرّب منه ما لا يشرّب عقلك. ويروى أن عثمان بن عفان "رض" خطب الناس يوماً فقال: أيها الناس، اجتنبوا الخمر فإنها أمّ الخبائث، ومفتاح كل شر، وإني سمعت رسول الله "ص" يقول: من شرب الخمر في الدنيا حرّمها الله عليه في الآخرة، أيها الناس اتقوا الخمر فإنها من أجل الذنوب وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر وقع على أمه وأخته وهو لا يعلم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرّب الخمر ولا يقعد على مائدة يشرّب عليها الخمر فإنّ اللعنة تنزل عليهم ما داموا في مجلسهم ذلك.

ومن عيوب الشراب أن صاحبه يتكرهه عند شربه ويكلح عند شمّه ويغتم أن يفضل منه شيء في قدحه، ويكثر عتاب ساقيه ويمزجه ليغيّر طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويستعين بالنقل من بعده ليغيّر طعمه ويلقى من الدوار والخمار ما لا قوام له، مما يكدر كل لذة وينغص كل طيبة، كما قال بعض الحكماء: أولاً أن المخمور يعلم علته لأوصى وصيته، وقد رأيت كثيراً من الناس خدعوا أنفسهم بقول الأعشى:

وأخرى تداويت منها بها

وكأسٍ شربت على لذة

وقولهم الخمر علاج الخمار، فأتبعوا السكر سكرًا فعرضت لهم أمراض صعبة منها الفالج والسكتة. وإن فعل ذلك قوم وسلموا من الأمراض لصحة أبدانهم وقوة أعضائهم فإن ذلك ليس بمخرجهم من الخطأ في فعلهم ولا يُحتج بهم على غيرهم.

وذكروا أن رجلاً شرب عند خمار نصراني أياماً فأصبح ميتاً فاجتمع الناس عليه وقالوا: قتلته، فقال: لا والله ما قتلته إلا استعماله ما كان يغني فيه من هذا الشعر:

داوِ الخمار بخرمة الكأس المعنقة العفار

لو خامرت عقل العزيز لزلَّ عن ظهر الحمار

وقوله:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وإكثاره منها على قلة الطعام فصار إلى ما ترون.

وقال عبد الملك بن مروان وذكر الخمر: إن أولها لمرٌّ، وآخرها لسُكر وإنها لتذهب العقل وتكسب الجهل وتسقط المروءة وتفسد الفتوة، وتدعو إلى عشرة الوضيع وتحط درجة الرفيع، وهي أسرع في عرض الرجل وماله من النار في بيس العرفج.

قال الزبير بن بكار، ذكر أبو الزناد، أن رجلاً من ثقيف جُلد في الشراب في خلافة عثمان بن عفان "رض" وكان لذلك الرجل مكان من عثمان ومجلس في خلوته فلما جُلد أراد ذلك المجلس فمنعه عثمان إياه وقال له: لا تعود إلى مجلسك أبداً إلا ومعنا ثالث. وعمل محمد بن عبد الملك الزيَّات أبياتاً، وكتبها في كتاب وعنونه إلى إبراهيم بن رباح وختمه ودسَّ رجلاً فدفعه إليه وهو متولي ديوان الضياع، فلما فضَّه إبراهيم تغير لونه وأمر فطلب الرجل فلم يوجد، وإذا في الكتاب أبيات منها:

يا أبا إسحق إن الراح ضدُّ للفلاح

خدمة الواثق والطاسات في أيدي الملاح

ليس يلتامان فاختر خدمة أو شرب راح

فرجع صاحب الخبر ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيَّات فضحك وقام من وقته إلى الواثق فعرفه وأنشده الأبيات فقدم ذلك في قلب الواثق فصرف إبراهيم بن رباح ونكبه وأخذ ماله وضياعه. وقال النميري:

خلا بين ندمانيّ موضع مجلس ووقرني بعد الشباب مشيب

رددتُ إليه الكأس وهي سليبُ

وردتُ على الساقى تفيض وربّما

وما اشتهر اللذات والنشوة الفتي فكان له في المكرمات نصيبُ وعن عبد الله بن عمر، أنه قال: والذي نفسي بيده لقد أنزل تحريم الخمر بالمدينة وما بها زبيبة واحدة. عروة عن عائشة أنها كانت تقول: من تداوى بالخمر فلا شفاه الله. وقيل لعائشة: إن النساء يمتشطن بالخمر، فنهت عن ذلك وقالت: إنها رجس. وقال "ص": ثلاثة حرم الله عليهم الجنة؛ مدمن الخمر، وقاطع الرحم، والشيخ الزاني؛ وولى عمر "رض" النعمان بن نضلة العدوي بميسان فأراد رحيل امرأته معه، فكرهت، فلما وصل إلى ميسان أراد أن يغيرها فترحل إليه فكتب إليها:

بميسان يُسقى في زُجاج وحنتم

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها

وصناجة تجثو على كل ميسم

إذا شئتُ غنتني دهاقين قرية

ولا تسقني بالأصغر المنتلم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني

منادمنا في الجوسق المتهدم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه

فبلغت عمر، فقال: أي وأبيك، إنه ليسوؤني، يا غلام، اكتب بعزله، فلما قدم على عمر بكتهُ بها، فقال: يا أمير المؤمنين، ما شربتها قط، ولا قلت الأبيات إلا لسبب كذا، فقال عمر: أظنُّ ذاك، ولكن لا تعمل لي أبداً.

وقال أبو نواس:

لا أذوق المدام إلا شميما

أيها الرائحان باللوم لوما

لا أرى لي خلافة مستقيما

نالني بالملام فيه إمامٌ

لست إلا على الحديث نديما

فاصرفاها إلى سواي فإني

أن أراها وأن أشم النسима

كبر حظي منها إذا هي دارت

قَعدي يزِين التحكما

فكأنني وما أزيِنُ منها

الحرب فأوصى المطيق ألا يقيما

كلَّ عن حمله السلاح إلى

وما سبقه أحد إلى هذا المعنى وزعم بعض بني نوبخت أن آخر ما سمع من أبي نواس قوله:

صار بين الحياة والموت وقفاً

شعر ميت أذاك من لفظ حيٍّ

كاد عن أعين الحوادث يخفى

قد برت جسمه الحوادث حتى

لم تَبِن من كتاب وجهي حرفا

لو تأملتني لتثبت وجهي

ولكررت طرف عينك في

جسم برته الهموم حتى تعفى

ثم التفت إلى من حوله وقال: لا تشربوا الخمر صرفاً فإنها أحرقت كبدي ومات.
وسأل رجل شريكاً عن النبيذ فقال: حلال، قال: قليله خير أم كثيره؟ قال: قليله، قال الرجل: ما رأيت
خيراً إلا وكثيره خير من قليله إلا هذا.
وقيل لابن شبرمة: لم تركت النبيذ؟ فقال: إن كان حلالاً فحظي تركت، وإن كان حراماً فبالحزم
أخذتُ.

وقيل لأعرابي: ما لك لا تشرب النبيذ؟ قال: لثلاث خصال فيه: متلفة للمال مذهبة للعقل مسفهة للحلم.
قال عبد الله بن إبراهيم: لو كان العقل يُشترى ما كان علقُ أنفُس منه، والعجبُ العجبُ لمن يشتري
ذهابه بماله فيدخله رأسه فيقيء في جيبه، ويسلح في ذيله ويمسي عديماً ويصبح فضيحة.
وقال عيسى بن مريم "ع": الهوى رأس كل خطيئة، والنساء حباله الشيطان والخمر داعية كل سوء.
ويروى عن أم سلمة أنها قالت: اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز فدخل عليّ النبيُّ "ص" وهو يغلي
فقال: ما هذا؟ فقلت: ابنة لي اشتكت فنبذت لها هذا النبيذ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يجعل شفاءكم
حراماً.

وقال بعض العلماء: رخص الله للمضطر في الميتة والدم ولحم الخنزير ويم يرخص في الخمر لمضطر ولا
غيره، وقال رجل من قريش:

ومن تفرع الكأسُ اللئيمة سنهُ

فلا بد يوماً أن يسيء ويجهلاً

ولم أرَ مشروباً أشد سفاهاً

وأوضع للأشراف منها وأخملاً

أجمع الناس على أن الخمر المحرمة في كتاب الله، عصير العنب، وهو ما غلا وقذف الزبد من عصير العنب
من غير أن تمسه النار ولا يزال حمراً حتى يصير خلاً، وذلك إذا غلبت عليه الحموضة وفارقتة النشوة، لأن
الخمر ليست محرمة العين كما حُرِّم عين الخنزير، وإنما حُرِّمَت لعرضٍ دخلها فإذا زایلها ذلك العرض
عادت حلالاً كما كانت قبل الغليان حلالاً، وعينها في كل واحدة قائمة، وإنما انتقلت أعراضها من
حلاوة إلى مرارة ومن مرارة إلى حموضة كما ينتقل طعم الثمرة إذا أُنعت من حموضة إلى حلاوة والعين
قائمة، وكما ينتقل طعم الماء، بطول المكث، فيتغير طعمه وريحه والعين قائمة، وكذلك سبيل المسك، الذي
هو دمٌ غليظ حرمٌ، ثم يجف فيصير طيباً حلالاً.

باب ما جاء في الخمر من الشعر مرتباً على حروف المعجم

-حرف الألف -

قال أبو نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراءٌ
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها
من كف ذات حرٍ في زيِّ ذكرٍ
قامت بإبريقها والليل معتكراً
فأرسلت من فم الإبريق صافيةً
رقت عن الماء حتى ما يلائمها
فلو مزجت بها نوراً لمازجها
دارت على فتية دان الزمان لهم

وقال أيضاً:

وكأس كمصباح السماء شربتها
أنت دونها الأيام حتى كأنها
ترى نورها من ظاهر الكأس ساطعاً
فإن تكن الصهباء أودت بتالدي

وقال أيضاً:

يا رب مجلس فتیان نزلت به
يلهو بصافية كالشمس مشرقة
كأن قرقرة الإبريق بينهم

وقال أيضاً:

ومدامة سجد الملوك لذكرها
شمطاء تذكر آدماء وزمانه
والكوب يضحك كالغزال مسبحاً
وكان أقداح الرحيق إذا جرت،
جلت عن التصريح بالأسماء
وتخبر الأخبار عن حواء
عند الركوع بلثغة الفأفء
جنح الظلام، كواكب الجوزاء

وقال الحسن بن وكيع:

هيفاء تبدي طُرَّةً في غُرَّةٍ
كسوادِ غدرٍ في بياضِ وفاءٍ
بذؤابتين على الغلالة حاكنا
ألفين وسط صحيفةٍ ببيضاء
وافت بكأس الراح تحمل نارها
تحت الظلام براحةٍ من ماءٍ
راح حكت بحبابها شمس الضحى
قد قُلِّدت بكواكب الجوزاء

وقال أيضاً:

قم هاتها مشمولَةً
تسرع في تلم الحجا
تحكم في الهمم كما
يحكم في الصبِّ الهوى
كأنها أهدت لها
خلعتها شمس الضحى
كأنها في كأسها
ذوب عقيق قد جرى
ألذ من عافيةٍ
وافت على طول الضنى
وموعد طال على
وعد حبيب فوفى

تسعى بها وافرة الأرداف هيفاء الحشا

كأنما قرونها
تعشق ما تحوي البرى

وقال صريع:

خطبنا إلى الدهقان بعض بناته
فزوجنا منهنَّ في خدرها الكبرى
وما زال يغلي مهرها ويزيده
إلى أن بلغنا فيه غايته القصوى
فتاه أبوها الماء والكرم أمها
وحاضنها حرُّ الهجير إذا يحمى

وقال ابن المعتز:

وكأس حيرية شكَّت بميزلها
أحشاء مُشعرةً بالقار كلفاء
أجرى الفرات إليها من سلاله
نهرًا تمشى على أحشاء ميثاء

يسقيها خنثُ الأعطاف ذو هيفٍ
كأن ألاحظه أفرقن من داءٍ
لها شعاع على كفيه ملتهب
كأن أطرافه علَّت بحناءٍ

كأنه صبَّ سلسال المزاج على
وقال أيضاً:

سبيكة من بنات التبر صفراءِ

وامزج بنار الراح نور الماءِ
في الدنِّ غير حشاشةِ صفراءِ
أو حية وثبت من الرمضاءِ
تفاحةً في رأسِ كل إناءِ

داو الهمومَ بقهوةِ عذراءِ
لم يترك منها تقادُمَ عهدِها
بُزِلت كمثل سبيكةٍ قد أُفرغتِ
واستبدلت من طينةٍ مختومةٍ

وقال ابن المعتز:

نقرع القهوة فيه بماء
مدنف الريح قصير البقاء
النور وابتل جناح الهواء
في صباحِ غافلٍ ومساءِ

رب يومٍ عامر الكأسِ ظلنا
في دجى الليلِ وطىِّ الحواشي
أسقط الأقطار حتى تنثى
زمن مدَّ لنا في نعيمِ

وقال دعلج:

شفاءٌ ما ليس له شفاءُ
عذراء تختال بها عذراء
حتى إذا ما كُشف الغطاء
وملكت أحلامنا الصهباءُ
وخطب الريح إلينا الماءُ
جرى لنا الدهر بما نشاءُ

وقال آخر:

بكرِ ربيبةِ حانةِ عذراءِ
كأسِ كقشرِ الدُّرةِ البيضاءِ

مرُّ لي على رغم الحسودِ بقهوةٍ
موج من الذهب المذابِ تضمه

وقال البحرني:

زهر الخدود وزهرة الصهباء
الشوق الذي قد ضلَّ في الأحشاء

إشرب على زهر الرِّياضِ يشوبه
من قهوةٍ تنسي الهموم وتبعث

يُخفي الزجاجاة لونها فكأنها
ولها نسيم كالرياض تنفست=في أوجه الأرواح والأنداءِ
في الكف قائمة بغير إناءِ
وحبابها مثل الدموع ترددت
يسقيها رشاً يكاد يزيدا
يسعى بها وبمثلها من طرفه
وقال ابن المعتز:

ملكته السلافة العذراءُ
روح دن لها من الكأس جسمٌ
فلها ودُّ قلبه والصفاء
هي فيه كالنار وهو هواء
كوكباً كفه عليه سماءُ
فكان النديم يلثم منها
وردة فوق درة بيضاء
وكان الحباب إذ مزجوها
وقال:

مررت بكرمة جذبت ردائي
فقال: لم مررت ولم تسلم
سُقيت الغيث جاذبة الرداء
وقد رويت عروقك من دمائي
وقال الخليل:

فضت خواتمها والصبحُ منتبهُ
تمازج الروح في أقصى مداخلها
عن مثل رقرقة في جفن مرهأ
كما تمازح أضواءً بأضواءِ
سلخ تجللها عن بطن رقتشاء
كأنما هي إذ صبَّ المزاج بها
وقال الصنوبري:

قم فاسقني كأساً كأن حبابها
والنجم في أفق السماء كأنه
طلُّ أحاط بوردة حمراء
عين تخالسُ أعين الرقباءِ
وقال دعبل بن عليّ:

شربت وصحبتني يوماً بغمرٍ
وزناً الكأس فارغةً وملاى
شراباً كان من لطف هواءِ
فكان الوزن بينهما سواءِ

حرف الباء

قال أبو نواس:

أعاذلَ أعتبت الإمام وأعتبا
وقلت لساقينا أجزها فلم يكن
فجوزها عني عُقاراً ترى لها
إذا عبَّ فيها شارب القوم خلته
ترى حيثما كانت ن البيت مشرقاً
يطوف بها ساقٍ أغنَّ ترى له
سقاهاً ومنانِي بعينيه قُبلة
وأعربت عمّا في الضمير وأعربا
ليأبى أمير المؤمنين وأشربا
إلى الشرف الأعلى شعاعاً مطنبا
يقبل في داجٍ من الليل كوكبا
وما لم تكن فيه من البيت مغربا
على مستدار الخدِّ صدغاً معقربا
فكانت إلى قلبي ألدَّ وأعجبا

وقال:

ساعٍ بكاسٍ إلى ناشٍ على طرب
كلاهما عجبٌ في منظرٍ عجبٍ
قامت تريني وجنح الليل منسدلٌ
صباحاً تولدَ بين الماء والعنب
كأن صغرى وكبرى من فوقها
حصباءٌ على أرض من الذهب

وقال:

قُطِرْتُ لمربعي، ولي بقرى
الكرخ مصيفٌ، وأمي العنب
ترضعني درّها وتلحفني
بظلمها والهجير يلتهب
إذا تثنته الغصون جللني
فينان ما في أديمه جوبٌ
ترنُّ في مآتم حمائمهُ
كما ترنُّ الفواقدُ السلبُ
يهب شوقي وشوقهن معاً
كأنما يستخفنا الطربُ
فقمتم أحو إلى الرضاع كما
تحامل الطفل مسّه السَّغْبُ
حتى تحيرت بنت دسكرةٍ
قد عجمتها السنون والحقبُ
هتكت عنها والليلُ معتكر
مهلهل النسج ما له هُدْبُ
من نسج خرقاء ما تُشدُّ لها
آخيةٌ في الثرى ولا طُنْبُ
ثم توجأتُ خصرها بشبا الأشفى
فجاءت كأنها لهب

أقول لما تحاكيا شبيهاً
أيهما للتشابه الذهب
هما سواءٌ وفرقٌ بينهما
أنهما جامدٌ ومنسكبٌ
ملسٌ وأمثالها محفّرةٌ
صوّرَ فيها القسوس والصلب
يتلون إنجيلهم وفوقهم
سماءٌ خمرٍ نجومها الحبيبُ
كأنه لؤلؤٌ تبعثره
أيدي عذارى أفضى بها اللعِبُ

وقال أيضاً:

أيا باكي الأطلال غيرّها البلى
بكيّت بعين لا يجف لها غربُ
أتنتعت داراً قد عفت وتغيرت
فإني لما سالمّت من نعتها حربُ
وندمان صدقٍ باكر الراح سُحرّةٌ
فأنتبهته كيما يفيق فلم يُفّق
فقام يخال الشمس لما ترحلت
إلى أن رأيت الشمس قد حازها الغرب
فناولته كأساً جلت عن فؤاده
فنادى صبوحاً، وهي قد قربت تخبر
إذا ارتعشت يميناه بالكأس رقّصت
وناولته أخرى فتاب له لب
بها ساعة حتى يسكنها الشربُ

وقال ابن وكيع:

ماذا انتظارك باللذات والطرب
قل للسقاة صلوا الأقداح بالنجب
وأفرغوا الماء في راحٍ معتقةٍ
ما أحسن الفضة البيضاء في الذهبِ

آخر:

أديرا علي كؤوس المُدام
يدر فلكُ اللهو "تم" الطرب
أما تريان نجوم السماء
تلوح لنا في سواد الغهبِ
كأن الدجى فرسٌ أدهمٌ
وأنجمه لببٌ من ذهب

وقال آخر:

لا تدع عمرك يمضي باطلاً
لست تعترض بعمرٍ إن ذهب
ليس من عمرك يومٌ "لم" تُقَمِّمُ
فيه سوقاً للملاهي والطرب

وقال آخر:

لا ووعد اللحظ بالوصل على رغم الرقيب
واختلاس القبل الحلوة من خدّ الحبيب
وسماع مستطاب جاء في لفظ مصيب
ما سوى الراح لداءِ الهم عندي من طيب

وقال ابن الرومي:

طربت إلى ريحانة الأنف والقلب
فلا عيش إلا بين أكواب قهوة
تأنت أكف القاطفين قطافها
وأعمالها بين العوازف والشرب
توارثها عقب من الفرس عن عقب
فسالت بلا عصر ودرت بلا عصب

أطافت بما الأيام حتى كأنها=حُشاشة نفسٍ شارفت منقضى نحب

لها منظر في العين يشهد حسنة
تردُّ صفاء العيش مثل صفائها
فلو رفعت في رأسٍ علياء لاهتدى
غنيٌّ عن الريحان مجلسٌ شربها
ولم تر مرموقاً إلى النفس مثلها
لها مكرغٌ سهلٌ يُخبرُ أنها
على مخبرٍ يُهدي السرور إلى القلب
وتكشِف عن ذي الكرب غاشية الكرب
بكوكبها السارون في الشرق والغرب
بنشرٍ كنشرِ المسك في محتوى نهب
يُشم فيلقي بالعبوس وبالقطب
ذلولٌ وفيها سورةُ الجامع الصعب

وكم مثلها من بنت كرم جلوتها
له خلُقٌ عذب المذاق ولن ترى
بموتقة الرواد، حوِّ تلاعها
صففنا أباريق اللجين حيالها
تظل تُرانيها الظباء تخالها
على كل خرق ماجد الجد من صحبي
مزاج كئوس الراح كالخلق العذب
تُراعي بها الأدمان آمنة السرب
فمئنن سرباً مشرباً إلى سرب
ظباءً، وتدنو فهي منا على قرب

وقال آخر:

ما زلت أشربها سُلافاً قرقفاً
حتى نظرت إلى الكواكب قد دنت
والصبح دُرِّي الغلالة أشهبُ
في جوّها، والليل داجٍ غيهبُ

فكأن جناح الليل طرفٌ أدهمٌ

وكان أنجمه لجامٌ مذهبٌ

وقال:

أتى البدرُ يحمل تحت الدُّجى

مُشعشة اللون كالكوكبِ

تميت القنوط، وتُحيي الرجاءَ

وتهدي الشباب إلى الأشيبِ

وتصلح ما بين شرابها

وبين زمانهم المذنبِ

أسرُّ من الملك بعد الخمولِ

ومن طلعة الولد المنجبِ

وقال:

خليلي لا ترقبا مائما

فَعمر المراقب لا يحسبُ

وهُبا إلى شرب مشمولةٍ

يتوب لها الزمن المذنبِ

بكفي أغرَّ ترى خده

إلى الراح في صبغها يُنسبُ

إذا اجتمعا اشتبها للنديمِ

فلم يدر أيهما يشربِ

وقال:

وشمس راح يديرها قمرٌ

شاهده فتنةً وغائبه

أقبل في كفه مشعشة

عائبها كاذب وعائبه

تحت ظلام كأنما نَفَصَت

عليه من صبغها ذوائبُهُ

وقال كُشاحم:

كأنما الراووق وانتصابه

خرطوم فيل سقطت أنيابه

طفنا به وكلنا يهابُهُ

وهو كطيرٍ متأقٍ إهابُهُ

مُخضبٌ وحذا خضابُهُ= معَّ رحيقاً غدقاً سحابه

فالبيتت من عقبٍ ترائبُهُ

سال براحٍ قرقفٍ لعابُهُ

رُضابٌ من أعشقه رُضابُـ

من لم يرقُ بمثله شرايُهُ

لم يدر كيف العيش واكتسابه

وقال أيضاً:

إذا ما اصطحبت وعندي الكبابُ

وكان الطَّبَّاهِجُ من جانبِ

وكانت رباحينا غضةً

فليس الخليفة في ملكه

وقال ابن المعتز:

قم فاسقني "قهوة" عروس

وصبّ في الكأس من أبارقنا

في مجلس غاب عنه عاذبه

كم من عناقٍ لنا ومن قُبُلٍ

نقر العصافير وهي خائفةٌ

والزق في روضة، تسيل دماً

وقال التميمي:

لكأس المدام بماء الغمام

أسرّ إلى القلب من مقنبٍ

ألم تر أن فصول الزمان

وقال الرقاشي:

إذا ما الماءُ أمكنني

صبيتُ الفضة البيضاء

فأسبك منهما طرباً

تجد عندي مساعدةً

وقال عكاشة العمي:

يا ليلة جمعت لنا أحبابنا

بتنا نسقاها شمولاً قرقفاً

ومن كفّ جارية كأن بنانها

وكان يمانها إذا نطقت بها

وقال الأمير تيم:

إشرب فإن الزمان غضُّ

وصفراء من صنعة الراهب

بأنعم مني ومن صاحبي

دساكير عليها طوقٌ من الذهب

مأعين من فضة ومن ذهبٍ

نطرد عنه الهموم بالطرب

مختلسات حذارٍ مرتقب

من النواطير، يانع الرطب

أوداجه، جاثياً على الركب

في مجلسٍ مُونقٍ معجب

يجرُّ المنايا إلى مقنبٍ

يلعبن بالحولِ القلبِ

وصفو سلافة العنب

ءَ فوق قرأضة الذهب

فزرني تلفٍ ذا طربٍ

وما أحببت من أدبٍ

لوشئت دام لنا النعيم وطابا

تَدَعُ الصحيح بعقله مُرتابا

من فضةٍ قد طوقت عُناً

تُلقي على يديها اليسار حسابا

وصرفه لِينُ الجنابِ

من قهوةٍ مُزَّةٍ كُملت

تُذكرني غرَّةَ الشباب

أرق من أدمع التصابي

ولمعة الآل والسرابِ

صاغ لها النسجُ حين شُجَّت

نطاقَ درٍّ من الحبابِ

كأن في كأسها صباحاً

والليل محلولك الثياب

يسعى بها ساحرُ المآقي

لا يمزجُ الوصلَ بالعتاب

كأنها لونُ وجنتيه

وطيب ألفاظه العذابِ

وقال أيضاً:

يا مهمل العيش إن الدهر ذو نُوبٍ

جمّ الحوادثِ صعبٌ غير منجذبِ

كم من مؤخر أمرٍ، حين يمكنه

إلى غدٍ، وغد في قبضة الكذب

فاستنهض العيش بالصهباءِ مُعملةً

وافر الهموم بسيف اللهو واللعب

سلافة ورثتها عاد عن إرمٍ

كانت ذخيرة كسرى عن أبٍ فأبِ

في جوف أكلف قد طال الوقوف به

لا يشتكي الساق من لينٍ ولا وصب

وانظر إلى الكأس في كفِّ المدير لها

كفضةٍ حملت ذوباً من الذهبِ

وقال صريع:

وقهوةٍ من بنات الكرم قلدها

طوقاً من الدرِّ في كاساتها الحبيبُ

حمرء إن برزت، صفراء إت مزجت

كأن فيها شرارَ النارِ تلتهبُ

محمرة كفُّ ساقِها بحمرتها

كأنما هو بالفرصادِ مُختضبُ

وقال ابن المعتز:

نبَّهتُ ندماني فهبَّاً

طرباً إلى كأسِي وأباً

نشوان يحكي ميله

غصناً من الريحانِ رطباً

ما زال يصرعه الكرى

وأذبُ عنه النوم ذبا

وسقيته كأساً على

مضضِ الخمارِ فما تأبى

والليل مشمطُ الذرا

والصبح زاد صباً وشبا

وقال أيضاً:

خذ ما تراه ودع لومي فحسبك بي
راحاً تريح من الأحزان والكرب
نوراً من الماء في نارٍ من العنب
يقيمه الظنُّ بين الصدق والكذب

يا من يفندني في اللهو والطرب
وقد يباكرني في الساقى فأشربها
فسبِّح القومُ لما أن رأوا عجباً
لم يُبقِ منها البلى شيئاً سوى شبحٍ

وقال أيضاً:

شبيهةً خديها بغير رقيب
وشمسين من خمرٍ وخذ حبيب

سقتني في ليلٍ شبيهٍ بشعرها
فأمسيتُ في ليلين بالشعر والدجى

وله:

فكسا وجهها نقابَ حبابٍ
واواتٍ تدانت أشكالها في كتاب
طلعت في ملاءةٍ من شرابٍ

قهوةٌ زُوجت بماءٍ سحاب
مثل نسج الدُّروع أو مثل
فتراها وكأسها مثل شمسٍ

وله:

عليها قناعُ الحبيبِ
يُنقي أديمُ الذهبِ
ودارت عليها الحقب
مليح الرضى والغضب

وبكرٌ مجوسيةٌ
صفت من قذاها كما
وطال زمانٌ بها
يطوف بها شادنٌ

وقال أيضاً:

والنُّجوم خافقة كفؤادٍ يُحبُّ
سموطٌ من الدرِّ فوق الحبيب

وصفراء باكرتُها
كأن الحباب إذا صُفقتُ

وقال أيضاً:

فلا بدّ أن يلقي بتسليمه صبّاً
فيسكب في أقداحنا ذهباً رطباً

وساقٍ إذا ما الخوف أطلق لحظةً
يطوف بإبريق علينا مُفدِّمٌ

وقال الصنوبري:

إلا فتىً صيغ من ظرفٍ ومن أدب

ومجلسٍ لا ترى فيمن يطوف به

إلا بكف الذي يحويه من نشب
جسم من النور أو روح من الحبيب
في كأسها، فضة سالت على ذهب
نور من الماء في نار من العنب
ماء اللجين، على ماء من الذهب

نلهو بعذراء لا تفتض عذرتها
بكف ساق كان الكأس في يده
كأنما الماء لما سال من يده
ناهيك من فضة تجري على ذهب
تخال هذا وذا في الكأس، إذ جمعا،

وقال الأمير تميم بن المعز:

بأحمر قان مثل ما سطع اللهب
شربنا السرور المحض واللهو والطرب

وراح بزلنا دنها فتفجرت
فلما شربناها طربنا كأننا

قطائع ماء جامد يحمل اللهب
وليس بشيء غير حنائها اختضب
ونقرب من بدر السماء وما اقترب
مداهن بلور على الأفق تضطرب

كان كئوس الشرب وهي دوائر
يمد بها كفا خصيباً مديراً
فبتنا نسقى الشمس، والليل راكداً
كان الثريا تحت حالك ليلاً

آخر:

ذهبية تنفي الهموم فتذهب
حمرء شمس شعاعها لا تغرب
زمن على أبنائه يتقلب

قم يا غلام فهاتها مشمولة
وأدر علينا في الزجاجه قهوة
فأدر بها لين الزمان فإنه

وقال آخر:

فاظبها قبل حادث النوب
رايات صبح مبيضة العذب
يشق جلابه من الطرب

الكأس قطب السرور والطرب
أما ترى الليل كيف تفضحه
كراهب حن للذجي طرباً

وقال آخر:

حاسداً لي، وما رأته الخطوب
وراح وقينة وحبیب

يووم سعد قد أطرق الدهر عنه
فيه ما يشتهي نديم وريحان

ولنا موعد إذا هداً النوم عنا

والليل منا قريب

وقال الصنوبري:

يومٌ ذيولٌ سحبه

على الثرى منسحبة

برزقة سافرة

وشمسه منتقبة

والرعد في أرجائه

ذو ألسنٍ مصطخبة

أما ترى سماءه

ضاحكة منتحبة

نشربها عذراء قد

قامت بحق الشربة

كأنما الراحات من

شعاعها مختضبة

متى سكبناها نقل

عقيقة منسكية

في مجلسٍ أطنابه

على العلى مُطنبة

بين رياضٍ كلُّها

في حُللٍ مكتبة

فروضة مشرقة

وروضة ملتهبة

تذهب فيها العين في

مثل الحلى المذهبة

أعذب به يوماً مضت

ساعاته المستعذبة

كلحظة مخلوسة

وقبله مُستلبة

قال ابن المعتز:

وإف ساعاتٍ دعاني دعوة

والصبحُ بالليل البهيم منتقب

قال اسبق الصبح بها نورية

كالصبح إلا أنها من العنب

مقتولة قتالة مغلوبة

غلابة جرّدها مرّ الحقب

وقال أيضاً:

عاد الزمان بمن نحبُّ فأعتبا

يا صاحبي فسقياني واشربا

من قهوة ما خامرت ذا لوعة

إلا تعرّض للحقوف تصوبا

قام الغلامٌ يديرها من كفه

فحسبت بدر التّمّ يحمل كوكبا

وقال الأعشى:

وكأس كلون التبر باكرت شربها
سلاف كلون الزعفران وعندم
لها أرَج في البيت عال كأنما

وقال ابن المعتز:

بفتيان صدق والنواقيس تُضربُ
تصفق في راوقها حين تقطُبُ
ألم بنا من بحر "دارين" أركب

وحلو الدلال مليح الغضب
سقاني وقد سلَّ سيف الصباح
عقاراً إذا مزجتها السقاة
فكم فضة فضها في سرور
فتصلح بيني وبين الزمان
لدى مجلس أرضه نرجس
وحيطانه خرط كافورة

وقال آخر:

يشوب مواعيده بالكذب
والليل من خوفه قد هرب
ألبسها الماء تاج الحبيب
هناك ومن ذهب قد ذهب
وتبدلني بالهموم الطرب
وأوتار عيدلته تصطخب
وأعلاه من ذهب يلتهب

وما بقيت من اللذات إلا
ولئمك وجنتي قمر منير

ابن المعتز:

محادثة الرجال على الشراب
يجول بوجهه ماء الشباب

سعى إلى الدن بالمبزال ينقره
لما وجاها بدت صفراء فاقعة

وقال:

ساق توشح بالمنديل حين وثب
كأنما قد سيرا من أديم ذهب

ألا فاسقنيها قد نعى الليل ديكه

وعرِّي ثوب الأفق فهو سليب

وقد لاح للساري "سهيل" كأنه

وقال أيضاً:

على كل نجم في السماء رقيب

حليت بعد عقيق ذهباً
بعد أن أعطاكها مختضباً

وكأن الراح لما مزجت
وتخال الظبي إذ طاف بها

مزجوها قهوةً مُحمرَةً
مرحباً بالبدر لما حملت
فأثار الماءُ فيها حبياً
كفه شمساً بليلٍ مرحباً

آخر:

ادنُ من الدنِّ بي فِدَاكِ أبي
أما ترى الطلَّ كيف يلمع ف
والصبح قد جُرِدَتِ صوارمه
فهايتها كالعروسِ مُحمرَة
كادت تكون الهواء في
واشرب وهات الكبير وانتخبِ
عيون نورٍ يدعو إلى الطرب
والليل قد هَمَّ منه بالهرب
الخدينِ بي معجراً من الذهبِ
أرج العنبرِ لو لم تكن من العنبرِ

وقال ابن المعتز:

أدر الكأس علينا
ما ترى الليل تولى
والثريا مثل كأسٍ
فكأن الشرق يسقس
أيها الساقى لنطرب
وضياءُ الصبح يقرب
تارة تطفو وترسبُ
وكان الغرب يشربُ

وقال:

أما ترى يومنا قد جاء بالعجب
فقام مثل قضيبٍ حركته صباً
يزف كأساً، بمنديل، متوجّةً
فلا تعطله من لهوٍ ومن طرب
حلوُ الشمائل مطبوغٌ على الأدب
ورأسها فضةٌ والجسمُ من ذهب

حرف التاء

وخاتمي سما في فرع مكرمةٍ
ناديته بعدما مال النجوم وقد
فقام والليل يجلوه النهار كما
يا أحمد المرتجى في كل نائبةٍ
وهاكها قهوةٌ صهباءٌ صافيةٌ
ألزهُ بحمياها وأبسطة
من معشرٍ خلقوا في الجود غاياتِ
صاح الدجاج يبشرى الصبح مرّاتِ
جلا التبسمُ عن دُرِّ الثنّياتِ
قم سيدي نعصِ جبار السماواتِ
منسوبةٌ لقرى هيت، وعاناتِ
باللين طوراً، وبالتشديد تاراتِ

حلوَ الشمائلِ، محمودَ السجّياتِ:

أني أُجالسُ لبنى بالعشياتِ"

حتى تغنى وما تمّ الثلاثُ له

"يا ليت حظي من مالي ومن ولدي

وقال أيضاً:

عادية ذات أطمارٍ مهاريتِ

تنوح فيها مشاكيلِ الفواخيتِ

والديك يخلط تصفيقاً بتصويتِ

أني طروقُ لرباتِ الحوانيتِ

يكون حكمك فيها كلَّ ما شيتِ

في الدنِّ من صاحبِ اليقطينِ والحوتِ

فأبرزتِ قهوةً في لونياقوتِ

يا ربَّ خمارةٍ بالفمِ حانتها

في روضةٍ من رياضِ الفمِ مشرقةٍ

نبهتها سُحرةً والليلِ معتكرِ

فأوجست خيفةً مني وما علمتِ

فقلت: عندك خمرٌ تمتعين بها

قالت: أصبتِ المنى من عاتقِ عُنقتِ

فودجتِ خصرٌ دنٌّ في زجاجتها

فقلت لما رأيتُ الخمرَ مقبلةً=تجلو الظلام: ألا يا خمرُ، حييتِ

بلا جفونِ كأحداقِ المباهيتِ

كالشهبِ تنقضُ في إثرِ العفاريتِ

"منها" تلاًلاً حسناً كالمصاليبتِ

ترى لها في أعالي كأسها حدقاً

يرفضُ منها شرارِ كلما مُزجتِ

ترى وجوههم منها إذا سكروا

وقال أيضاً:

صبغتها تقرب من صبغته

زطعمها كالعذب من ريقته

فخلتها تصدر عن نكهته

وهي بديلٌ منه في غيبته

وحامل كأساً على كفه

حبابها كالدر من ثغره

وانتشرت أنفاسها بيننا

فهو إذا غابت بديلٌ لها

وقال ابن المعتز:

حُلاًلاً مذهبةً إذا ما سلّيتِ

فتعطرت من نفسها، وتحلتِ

صامت له صور الملاح وصلّتِ

ومدامة يكسو الزجاج شعاعها

حُبست ولم تر غيرها في دنها

قد حنّتي بكئوسها ذو عغنةٍ

وقال أيضاً:

بُدلت من ليل كظل حِصاةٍ
وتجارب الإنسان عدة عقله

ليلاً كظل الرُّمَح غير مواتي
لحوادث الدهر الذي هو آتٍ

ولقد علمت بأن شرب ثلاثةٍ
فاشرب على مُوق الزمان ولا تمت
وانظر إلى دنيا ربيعٍ أُقبلت
جاءتك زائرة كعامٍ أولٍ
وإذا تعرى الصبح من كافوره
والورد يضحك من نواظر نرجسٍ
وتتوج الزرع الفتى بسنبُلٍ

ترياق همّ مسرعٍ بنجاتي
أسفاً عليه دائم الحسرات
مثل البغيّ تبرجت لِزُناةٍ
وتلبست وتعطرت بنبات
نطقت ضروب طيوره بلغات
"نديت وآذن حيّها بممات"
غض المكاسر أخضر الشعرات

آخر:

إن أذكر الكرخ لا أنسى الدويراتِ
منازل لم يُضر عُنقود كرمتها
حتى إذا تمَّ أهدته معاصره
حاموا علينا بأنهارٍ مفعّرة
فظل خمارٌ "تا" يكسوه من مدرٍ
يا مستطيلاً على ذلي بعزّته
ماذا ترى في جريحٍ أن من حُرّق
ويح المحبين ما أشقى جدودهم

وبالمطيرة أيامي وليلاتي
أن لم يكن بقرى هيت وعاناتِ
للشمس بين دساكير وحاناتِ
من "نهر" دجلة تجري بين جنات
قلانساً رُكبت في غير هامات
وفارغ القلب من داءِ الصبايات
مقسم بين أفواه المنياتِ
إن المحبين أحياءٌ كأموات

وقال أيضاً:

لا والمدامة، ويك، لا وحياتها
ما هم قلبي أن يهيم بغيرها
لا شيء أحسن في المسامع نغمة
جاءتك بكرٌ من يدي بكرٍ غدت

وذمامٍ عاصرها وحقّ سُفاتها
فلذاك قلبي مغرمٌ بصفاتِها
من قول هاك إذا طربت وهاتها
حركات قلبك في الهوى حركاتِها

وقال الصنوبري:

يا أيها الساقى قد ضُمَّنتُ
ليت الغزال رآك حتى كان لا
أودعت في بطن الزجاجاة شربةً
وصبغت منها إذ صبغت أكفاً
وفتيت مسك في الأنوف بمزجها
وأرق فوق النار جوهر جسمها
أجفانه هاروت أو ماروتا
يرتاب أنك منه أملح لينا
جعلت تودع درةً ياقوتا
صبغاً يشبه عندما أو توتا
لما استماحت مسكها المفتوتا
أحبب بذلك جوهرأ منحوتا

وقال آخر:

أهل النبيذ هم أهل المروعات
أهل الوقار عليه والسكينة لا
إن يطو، يطو على صلح بساطهم
العالمون بأداب الفتوات
أهل التنازع فيه والملاحاة
لأن زلاتهم ليست بزلات

حرف الناء

قال عبد الله بن المعتز:

وفتية لا يخوض الشك رأبهم
لما طفا النجم من بحر الدجى وصلوا
حتى إذا هزم الإصباح ليلهم
وصفق الديك من وجدٍ ومن أسفٍ
خطوا الرّحال إلى خمّار دسكرةٍ
تميل من سكرات النوم قامته
ففض خاتمة عن رأس مدخر
تُحيي زجاجته هذا وتقتلُ ذا
استرزق الله عطف الحبّ من رشاً
كأن في طرفه هاروت يُقعدني
وقد بدا الحبُّ في دمعي وفي نظري
مؤيدين بعزم غير منكوثٍ
حبل السرى بزميل غير تليث
بعسكرٍ من جنود النور مبنوثٍ
على الظلام وناداهم بتغويثٍ
مستعجل بانفتاح الباب محنوثٍ
كميل ماشٍ على دُف بتخنيثٍ
من الدنان قديم العهد موروثٍ
فالناس ما بين مقتولٍ ومبعوثٍ
يشوب تذكير عينيه بتأنيثٍ
منه بسحرٍ إلى الأحشاء منقوثٍ
فلا تسل غير هذا من أحاديثي

آخر:

إن عوني على الهموم ثلاث
بعدها أربعُ تتمةُ عشرٍ
مُترعاتٌ من بعدهن ثلاثُ
لا بطاءً، لكنهن حثاثُ

حرف الجيم

قال كشاحم:

بليتُ ولجَّ بي وجدي بظبي
يصدُّ وما به إلا اللجاجُ

وعذبي قضيبٌ في كتيبٍ
أغارُ إذا دنت من فيه راحُ
تشارك فيه لينٌ واندماجُ
على دُرٍّ يقبله زُجاجُ

وقال الأمير تميم:

وراحٍ عليها كالجمان المُدحرجِ
ملأنا بها بيض الكئوسِ فأقبلت
تلوح كماء الوجنة المتضرجِ
تُحَثُّ علينا في رياض بنفسجِ
وخلف رداء الغيم شمس منيرةُ
تلوح كوجه الغادة المتبرجِ

وقال ابن المعتز:

وعروسٍ زفت على بطن كفٍّ
هي بعد المزاج توريدُ خدٍّ
في قميص منقشٍ بزجاجِ
وهي مثل الياقوت قبل المزاجِ

وقال الأمير تميم:

نقبت وجهها بخزٍّ وجاءت
فتأملت في النقابين منها
فاسقياني بلا مزاجٍ فإني
وأنظر الأفق كيف قلده
بشرابٍ منقَّبٍ بزجاجِ
قمرًا طالعاً وضوء سراجِ
في المعالي صرفٌ بغير مزاجِ
الإصباحُ من بعد آبنوسٍ بعاجِ

آخر:

ولي صاحب كالشهد والمسك طبعهُ
منيع نواحي السرِّ، طوع يد الصبّا
إذا وجد الصهباء لم يتخرجِ
أغرُّ كريعان الضحى المتبلجِ

وقال الصنوبري:

بيضاء تُجلى للعيون فتتجلي
ورداً يلوح على صفيحة عاج
ولقد أنازعها سلافة قرقف
كدم الذبيح جرى من الأوداج
حمراء تزهر في الإناء كأنها
ياقوتة كُسيّت قميص زجاج

وقال ديك الجن:

وليلة بات ظلُّ الغيث ينسجها
بيكي عليها بكاء الصب فارقه
حتى إذا كملت أضحى يذبجها
إلفٌ ويضحكها طوراً ويُهيجها

إذا تضاحك فيها الورد نرجسها=باهى زكيّ خزامها بنفسجها

فقلت فيها لساقينا، وفي يده
لا تمزجها بغير الماء منك فإن
كأسٌ كشعلة نارٍ بات يوهجها
تبخل يداك، فدمعي سوف يمزجها
أقلُّ ما بي من حبيك أن يدي
إذا سمت نحو قلبي كاد يُنضجها

وقال أبو نواس:

كل ميت مُحرم فأدرها
وأسليت إلى السراج فكانت
غير مقتولة بسيف المزاج
هي في ضوئها سراج السراج
ضحكت في الزجاج، إذ صبها
فكادت تذيب جسم الزجاج

زقال ابن المعتز:

قُم يا غلام فهاتِها كرخية
وأنظر إلى حسن الهلال كأنه
حمراء تحكي حمرة الماذاينج
نونٌ مذهبةٌ على فيروزج
وكان أنجمه فرادى نرجس
خضل تطلع من رياض بنفسج
ناغى بها كأساً كأن حبابها
خرزات دُرٌّ في العقيق مُدحرج
يسقيكها خنث الجفون كأنها
معصورة من خده المتضرج

حرف الحاء

قال أبو نواس:

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا
وأمله ديك الصباح صياحا

أوفى على شعف الجدار بسُدفةٍ
بادر صباحك بالصَّبوح ولا تكن
وخدين لذات، معلل صاحب
نبهته والنوم ملتبسٌ به
قال: ابغني المصباح قلت له انتدُ
فسكبت منها في الزجاجه شربةً
من قهوةٍ جاءتك قبل مزاجها
شك البزال فوادها فكأنها
صفراء تفترس النفوس فما ترى
عمرت يكاتمها الزمانُ حديثه
وقال أيضاً:

غرداً يصفق بالجناح جناحا
كمسوفينغدوا عليك شاحا
يقتات منه فكاهةً ومراحا
وأزحت عنه رقاده فانزاحا
حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
كانت له حتى الصباح صباحا
عُطلاً فألبسها المزاج وشاحا
أهدت إليك بريحتها تُفاحا
منها بهنّ سوى النعاس جراحا
حتى إذا بلغ السامة باحا

جريتُ مع الصبا طلق الجُموح
وجدتُ ألد عارية الليالي

وهان عليّ مأثور القبيح
قران النغم بالوتر الفصيح

ومسمعةٍ إذا ما شئتُ غنتُ:
تمتع من شبابٍ ليس يبقى
وخذاها من مشعشةٍ كميتٍ
تخيرها لكسرى رائداهُ
ألم ترني أبحت اللهو مالي

متى كان الخيام بذى طُلوح
وصلِ بعُرى الغبوق عُرى الصَّبوح
تنزل دِرّة اللحر الشَّحيح
لها حظان من طعم وريح
وعضٌّ مرأشف الطبي المليح

وله:

غرّد الديك الصَّدوح
اسقني حتى تراني
قهوةً تُذكر نوحاً
نحن نخفيها ويأبى

فاسقني طاب الصَّبوحُ
حسناً عندي القبيحُ
حين شاد الملك نوحُ
طيب نشر فتفوحُ

فكأن القوم نهبٌ

بينهم مسكٌ يفوحُ

وله:

ومدامة سجد الملوك لها

باكرتها والديك قد صدحا

صرفٍ إذا استنبطت سورتها

أدت إلى معقولك الفرحا

وكأن فيها من جنادبها

فرساً إذا سكنته رمحا

ولقد حزنت فلم أمت حزناً

ولقد فرحت فلم أمت فرحاً

وقال إبراهيم النظم:

ما زلت أسئلُ روح الدنِّ في لُطفٍ

وأستقي دمه من جوف مجروح

حتى انثويت ولي روحان في جسدي

والدنّ منطرحٌ، جسم بلا روح

وقال أبو شراة:

لا خير في العيش فاسمع قول ذي نُصْح

إن أنت لم تغدُ سكراناً ولم ترح

من قهوةٍ كشعاع الشمس صافيةٍ

تنفي الهموم بأنواع من الفرح

ما زلت أشربها والليل معتكراً

حتى أكبَّ الكرى رأسي على قدحي

وقال ابن وكيع:

قد عُزل الليل على رغمه

وقد أتتنا دولةُ الصبح

فانهض إلى الراح فقفل الأسي

ما لم تدرها عسيرُ الفتح

واربح على دهرك في شربها

فلذة العاقل في الريح

راح إذا دارت على قاطبٍ

عاد بها ذا خُلُقٍ سمح

إذا الفتى أغضبه دهرُهُ

فإنها واسطة الصلح

وقال أيضاً:

رفعت كفهُ إلى شفثيه

كأسه والظلام وحف الجناح

فكأن العقار فوق ثناياه بهارٌ مقبَّل للأقاح

وقال كشاحم:

أطلق عقال الروح والراح

إني إليها جدُّ مرتاح

قد كدت الحكمة روعي

فزوجها بأوتار وأقداح

وقال أيضاً:

ما ترى في الصُّبوح أيدك الله

فهذا أوانٌ طيب الصُّبوح

غسقٌ راحلٌ وديك صدوحٌ

فأجِب دعوة المِنادي الصِّدوح

وكان الصِّباح أوجهُ رهبانٍ

تطلَّعن من خلال المُسوح

وقال ابن المعتز:

عناني صوتٌ مُسمعةٌ وراحٌ

يباكرني إذا برق الصِّباحُ

ومعشوقُ الشِّمائلِ عسكريُّ

له من لحظ عينيهِ سلاحٌ

كان الكأسُ في يده عروسٌ

لها من لؤلؤٍ رطبٍ وشاح

وقائلةٌ متى يفنى هواه

فقلت لها: إذا فني المِلاحُ

وقال:

لبسنا إلى الخمار والنجم غائر

غلالة ليلٍ طُرزت بصباح

وظلت تدبير الراح أيدي جاذرٍ

عتاق دنائير الوجوه مِلاح

وقال أيضاً:

خليليَّ اتركنا قول النصيح

وقوما فامزجا راحاً بروح

فقد نشر الصِّباح رداءً نورٍ

وهبت بالندى أنفاس ريح

وحان ركوع إبريق لكأسٍ

ونادى الدِّشيك حيَّ على الصِّبوح

هل الدنيا سوى هذا وهذا

وساقٍ لا يخالفنا مليح

وقال:

طافت علينا بماء المزن والراح

معشوقةٌ مزجت راحاً بأرواح

مخلوقةٌ من نعيم كلها بدعٌ

كان وجنتها محمر تفاح

وقال:

ما العذر في حبس كأسٍ

المِسكُ منها يفوحُ

والغيم رطبٌ ينادي

يا غافلين الصِّبوح

فقلت أهلاً وسهلاً

ما دام في الجسم روحُ

وقال الصنوبري:

لاح لك الصبح فقم فاصطبج

واربح على دهرك فيمن ربح

الديك قد صاح مراراً وما
هاك انتخب، هاك اقترح ما الفتى

عليك، صاح الديك أم لم يصح
إلا فتىً منتخباً مقترح

ووال بين الكأس والطاس أو

بيطحك الزقُّ كما قد بطح

ذا دمه ينصبُّ من حلقه

كما رأينا حبشياً ذُبِح

ما العيش إلا في ركوب الهوى

وأن ترى منهمكاً مفتضح

في فتيةٍ ما شئت من فتيةٍ

يحلو في مدحهم الممتدح

إبريقهم بينهم ضاحكٌ

باك كإنسانٍ حزينٍ فرحُ

وقال:

وحاملٍ جسماً من النور قد

صيرت الراح له روحا

إذا سقانا منح الكأس من

صفاته ما كان ممنوحا

من خده لوناً ومن ريقه

طعماً ومن نكهته ريحا

وقال:

لائمي في النبيذ لم أر

من قبلك من لام في الحلال المباح

هي مفتاح قفل كل سرورٍ

أي قفلٍ يرى بلا مفتاح

جمحت بي الكئوس في حلبة اللهو

فمن ذا يرُدُّني عن جماحي

إذ تدير الكئوس كلُّ هضيم الكشح

رياً السوار غرثي الوشاح

من عُقارٍ يَغني الندامي بها عند

حلول الدجى عن المصباح

وإذا ما المدام دارت رأيت

الشرب صرعى وما بهم من جراح

وتراها قد استباححت من القوم

حريماً ما كان بالمستباح

أنا لولا هذا لما كنتُ إلاَّ

رجلاً سائحاً مع السُّياح

وقال:

حنت أباريقي وأقداحي
وارتاح ريحاني إلى الراح
واشتاق مصباحي إلى ضوءها
فإنها مصباح مصباحي
وافتقد التفاح خد الذي
في خده وردي وتفاحي
هذا حديثي يا عليّ العليّ
فمن مناديّ بإصلاح

وقال:

من ذا يكون مبشّري بالصبح قد طاب الصبّوخُ
وعلى النصيح ملامتي
وعلّيّ أن أعصي النصوح
فلأطلبن مسرتي
ما دام لي جسّدٌ وروح

وقال: دُرّةٌ حيشما أُديرَت أضاءت=ومشم من حيث ما شمّ فادحا

لونها كالعقيق وهي نسيّمٌ
ومُدّام تحكي لنا التفاحا

وقال:

ومدّامة علت الأكف كنوسها
وكأنما الكاسات فيما بيننا
لو بُتّ في غسق الظلام شعاعُها
فكأنها من دونها في الراح
من نورها يسبحن في ضحضاح
طلع الصباحُ بغرة الإصباح

وقال:

وعواتقِ باكرات بين حدائقِ
أبرزتهن من الخدور حواسراً
وموشح نازعت فضل وشاحه
وصبحته كالورسِ بثّضِ روائحاً
وفعلتُ ما فعل المشوقُ بليله
كألورد باكره النسيّمُ ففاحا
عادت لذاذته عليّ جمّاحا

وقال أبو نواس:

لا تحفلنّ بقول الزاجر اللّاحي
كأسٌ إذا مزجت والليل معتكر
ما زلت أسقي نديمي من مُجاجتها
واشرب على الورد من مشمولة الراح
أغناك لألاؤها عن كل مصباح
والليل ملتحف في ثوب أمّساح

حتى تغنى وقد مالت سوافه:

وقال علي بن العباس الرومي:

"يا دير حنة من ذات الأكرح"

يلقى المساء إناؤها بصباح

فكأنها اشتقت من الأرواح

فتراه بين صباية ومراح

فتراه بين شجاعة وسماح

يدعونها في الشرب باسم الرّاح

أم لارتياح نديمها المرتاح

ناراً بنور طوالع الأقداح

ومدامة أغنت عن المصباح

لطفت مسالكها وخصّ محلها

بكرّ تردُّ على الكبير شبابه

من قهوة تهب المكارم للفتى

وتعير نكهتها النديم لأية حالة

ألريحها أو روحها تحت الحشا

وأثار منها الماء لما صُفقت

وتوشحت من دُرّها بوشاح

فتغللت من تبرها بغلالة

وقال ديك الجن:

معنقةً مما تخير نوحُ

وما الغبن إلا أن يقال صحيح

وإن لام فيه عاذلٌ ونصيحُ

خليليُّ هُبا عللاني مُدامةً

فما العيش إلا أن أفوز بسكرة

سأجمح في حبّ البطالة والصّثبا

وقال ابن الصائغ:

فقم بنا أيها المخمور نصطبُحُ

وقمتُ ألثمه من شدة الفرح

شمسان، من وجه ساقينا، ومن قدحي

رأيت دجناً فقلتُ الرّاحُ أشبه بي

فقام يمسح وجهاً كله قمرٌ

وقلت قم فاسقني صرفاً فقد طلعت

آخر:

على الأرض رفرِفٌ وجناحُ

مسكٌ تحيا بها الأرواحُ

ضحكت عن شعاعها الأقداح

ولقد قال لي نديمي والليلُ

داوِ همّي ببنت كرمٍ لها نفحة

فحسرت اللثام عن خندريسٍ

آخر:

والدجى وحف الجناح

حبذا صبحٌ تبدى

طلعت لي فيه شمسٌ
وشربت الراح صرفاً
من غزالٍ شرقِ الخخالِ
أشرقت حتى الصباح
من ثنايا كالأقاح
عطشان الوشاح

وقال:

وليلةٍ أحييتها بالراحِ
محسنةً مسيئةً الصِّباحِ
مقمرة مرفضةً الرياحِ
أمنت فيها سخط اللواحي

الحسين بن الضحاك الخليع:

ماذا انتظارك بي إن كنت مصطبجاً
قم يا نديمي فأحي الليل والفرحا
أمت بكاسك عني الهمم والترحا
لا تبرح الدهر عني بالشمول وقل
لله في اللوح شيءٌ لست ماحيه
إني لأوقن ما قالوا وما كتموا
لكن قيادي في كف فقد
لا نمت إن لم أكن قد نمت ما صلحا
أما ترى الليل تحت الصبح مفتضحا
واصدح بعودك، هذا الديك قد صدحا
للدهر شأنك فاقطع حبل من نزحا
إن شاء أثبته أو إن يشاء محا
علماً وأعلم أن الرشد قد وضحا
أضحى الذي غشَّ عندي كالذي نصحا

وقال التميمي:

إله بالبيض الملاح
لا يصدنك لاح
ليس للهم دواءً
وإبقينات وراح
هو عن سكرك صاح
كاغتباقٍ واصطباح

ولعمري ما يداوي الهمُّ بالماءِ القراحِ

وقال أبو نواس:

دع الأعراب تنذب الشيحا
وعوج بنا نصطبج معتقةً
والقفر والبيد والصحاصيحا
تذكر من قدم عهدا نوحا

شعلة نار تقابل الريحاً

كأنها في الإناء إذ برزت

وقال:

لا تدع من كفك القدحاً

طاب شربُ الراح مصطبحا

فاغتنم من عمرك الفرحة

إنما عمر الفتى فرحٌ

حرف الدال

قال أبو نواس:

واشرب على الورد من حمراء كالورد

لا تبك ليلي ولا تطرب إلى هندٍ

أجدته حمرتها في العين والخذِّ

كأساً إذا انحدرت في حلق شاربها

من كفّ جارية ممشوقة القدِّ

فالخمر ياقوتةٌ والكأس لؤلؤةٌ

خمرأً فما لك من سُكرين من بُدِّ

تسقيك من عينها خمرأً ومن يدها

شيءٌ خصصت به من بينهم وحدي

لي نشوتان وللندمان واحدةٌ

وقال أيضاً:

حتى له في أديم الأرض أخذودُ

قد أسحب الزقَّ ياباني وأكرهه

ساقٍ بُمنتخلِ الأشعار غرِيدُ

لا أشرب الراح إلا أن يكون لنا

لا ينطقُ اللهوُ حتى ينطقُ العودُ

فاستنطقُ العودُ قد طال السكوتُ به

وقال:

وغير أطلال مية الجُدِّ

سقياً لغير العلياء والسُدِّ

جُزت اللوى مرّةً فلا تعدِّ

ويا صبيب الغمام إن كنت قد

بالفهر ملحاً بها على وتدِّ

أحسن عندي من انكبابك

منتسبٌ عيده إلى الأحد

يسقيكها من بني النصارى رشا

صلب فوق الجبين بالزبدِ

إذا بنى الماء حولها حبيباً

فيه رضاباً يجري على بردِ

أشرب من كفه شمولاً ومن

"الربع" وأنمى في الرُوح والجسد

فذاك خيرٌ من البكاءِ على

وقال:

جاءتك من بيت خمار بطينتها
وقام كالبدر قد شدت مناطقه
فاستلها من فم الإبريق فانبعثت
فلم نزل في صباح السبت نأخذها
واستشرفت غرة الإثنين واضحة
وفي الثلاثاء أعملنا المطي بها
والأربعاء كسرنا حد شربتها
ثم الخميس وصلناه بليته
يا حسننا وبحار اللهو تغمرنا
في مجلس حوله الأشجار محدقة
لا نستخف بساقينا لعزته

وقال أيضاً:

رضعت والدهر ثدياً
فهى فيها كل ما
فشربنا شرب قوم
بين افنان عريش
ودنان مسندات
أنفذهن بطعن
ثم لما مزجوها
ثم لما شربوها

وقال ابن وكيع:

أقول والكأس على خده
أكأسه من خده صبغها
تلمع مثل الكوكب الواقد
أم صبغها من عصف واحد

وله:

قَمْ فَأَدْرِهَا عَلَيَّ رَاحاً
تتني رجاء القنوط بسطاً
تطرد طيف الهموم طرداً
كأن أقداحها بهارٌ
يعود فوق الخدود ورداً

وله:

وكأسٌ كنجح الوعد ممن أحبه
شربت مُجاج الكرم تحت ظلاله
تناولتها منه على غير موعد
كأن عناقيد الكروم وظلها
على وجه معشوق الشمائل أغيد
كواكب درّ في سماء زبرجدِ

وقال بشار:

وصفراء مثل الزعفران شربتها
حسدت عليها كل شيءٍ يحبها
على صوت صفراء الترائبِ رثودِ
ظللنا بذاك الدين اليوم كلُّهُ
وما كنت لولا حبُّها بحسود
كأننا من الفردوس تحت خلودِ

وقال أبو العتاهية:

قلتُ والإصباح قد ألبسه
أسقني واشرب عتيقة راحِ
سُدُفُ الليل ستور السوادِ
تلك مني بمكانٍ عزيزِ
حبيباً يحكي عيون الجرادِ
أرشدتني أم أرادت فسادي

وقال المعتز:

ونار قدحناها سريعاً بسحرة
يجول حباب الماءِ في جنباتها
متى ما تُرق ماءً عليها توقد
كما جال دمع فوق خدِّ مُوردِ

وقال كشاجمك

ويوم تشهد الأيامُ حسناً
لبست نهاره حتى تقضى
وطيباً أنه فيهن فرد
وراح يقدحُ النيران منها
ويلوها إذا مُزجت حبابُ
كما نصبت خلال الشرب بُردُ
بلهو لا يُعد ولا يُحدُّ
مُعاقرها إذا لم يور زندُ

شفاؤك فيهما ريقٌ وخذُ

بكف رشاً لها شبهان منه

وله:

وحدها في الحُسن من حدّه

بدر بدا يحمل شمساً غدت

من بعد ذا تطلع في خده

تغربُ في فيه ولكنها

وقال الصنوبري:

كأنها فضةٌ سالت على البلد

هل لك في ليلةٍ بيضاء مقمرةٍ

كأن أقداحها غُشين بالبرد

وقهوةٍ كشعاع الشمس صافية

وقال ابن المعتز:

عقاراً لها في الدنِّ عهدِ ثمودِ

"و" قُمْ فاسقني والنجم يلمع في الدجى

يُرحلُهُ عنا بغير جنودِ

وللصبح سلطانٌ على الليل قاهرٌ

وله:

ولا تبع طيب موجودٍ بمفقود

إشرب هنيئاً على وردٍ وتوريد

نزوج ابن سحابٍ بنت عنقود

نحن الشهود وخفق العود خاطبنا

قال السرور له: قم غير مطرود

كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً

وله:

حكمت نار إبراهيم في اللون والبردِ

ومشمولة قد طال في الدنِّ حبسها

رحال مطايا لم تزل يومها تخدي

حططنا إلى خمارها بعد هجعةٍ

ولم يحفلوا فيها بلومٍ ولا حمد

ملوك بلذات الشباب توأصفوا

وأخلوا قصوراً بالرصافة والخذ

فباتوا لدى الخمار في بيت حانةٍ

بزناره، حلو الشمائل والقذِّ

فطاف عليهم بالمدام ممنطق

توقد في يميناه كالكوب الفردِ

يمج سلاف الخمر في عسجديةٍ

وكسرى غريقٌ حوله خرق الجندِ

محفرةٌ فيها تصاوير فارسٍ

وله:

وقد عدت بعد النسك والعود أحمد

خليليّ قد طاب الشرابُ المُبرد

فهااتا عقاراً في قميص زجاجةٍ
يصوغ عليها الماء شباك فضةٍ
سقاها بعاناتٍ خليجٍ كأنه

وله:

كياقوتةٍ في درةٍ تتوقدُ
له حلقٌ بيضٌ تحل وتُعددُ
إذا صافحته راحة الريح يبردُ

قم يا نديمي نصطح بسواد
وأرى الثريا في السماء كأنها
فاشرب على طيب الزمان فقد حدا
وأشمنا في الليل بردَ نسيمه
تبدو إذا جاد السحابُ بقطره

وله:

قد كاد يبدو الفجر أو هو بادٍ
قدم تبتت من ثياب حداد
بالصيف من أيلول أسرع حادٍ
فارتاحت الأرواح في الأجساد
فكأنما كنا على ميعاد

يا ليلةً وفيت ميعادها
فبت أسقى ن يدي بدرها
لها عنايب القرى حاكةً
أم سنينٍ مزمّنٍ عهدها
أما ترى الدنيا، فداك الورى

وقد أراد الصبح إفسادها
كأساً كساها الماء ازبادها
دائبةً تنسج أبرادها
قد نسي التاريخ ميلادها
كهرةٍ تأكل أولادها

وله:

ما زال يسقيني على وجهه
حتى توفي السكرُ عقلي
جدد لي أحمد فرط الهوى
عجل بوصلٍ منك يا سيدي

بدرٌ منير طالع بالسعود
فألقاني صريعاً بين ناي وعود
يا قلب أبشر بشفاء جديد
لا فضل في عمري لطول الصدود

وله:

يا رب صاحب جانةٍ نبهته
في ساعةٍ فيها الجفون سواكنُ
فمشى وقد أخذ النعاس برجله

والليل قد كحل الورى برقاد
قد سمنَ أعينهن في الأعماد
مشي الأسير يميمس في الأقياد

صبغت بياض زجاجها بسواد
بشعاعها من شدة الإيقاد

لا تسقني حبشيةً ذاتيةً
فأتى بها كالنار تأكل كفةً

وله:

كأنها في كأسها تتقد
وتحسب الأقداح ماءً جمداً

غدا بها صفراء كرخيةً
وتحسب الماء زجاجاً جرى

وله:

حان الصباح ومقلتي لم ترقدِ
وارى بياض الصبح كالسيف الصدي

قم يا نديمي من منامك واقعدِ
أما الظلام فحين رق قميصه

وله:

واسقياي دم ابنة العنقود
ودير السوسي بالله عودي
الجنة لكنها بغير خلود

عللاني بصوت ناي وعود
يا ليالي بالمطيرة والكرخ
كنت عندي أنموذجات من

وله:

فكيف بيوم بعده لي فاسد
بكف غزال ذي جفون صوائد
كأن سواقيه متون المبارد

ألا رب يوم بالدويرة صالح
ظللت به أسقى سلافة كرمة
على جدول ريان لا يكتم القذى

وله:

فبادر مسروراً يرى غيّه رُشداً
وعيناه من خديه قد جنتا وردا

ومقتول سكرٍ عاش لي إذ دعوته
وقام بكفيه بقايا خماره

وقال كشاحم:

أباؤك المتقدمون فأدّه
صرفاً على زهر الربيع وورده
رشاً يربك مثالها من خدّه

للمهرجان عليك حق سنّه
باكره بالراح الشمول تحنّها
كأساً ترى فيها مثالك من يدي

وقال الناشئ:

أحد حسا دمهأ لدية مزيدا
عرباً برزن من الحجاب وغيذا
ذهباً ودرأ توأمأ وفريدا
وجعلن ذا لنحورهن عقودا

ومدامة لا بيتغي من ربه
في كأسها صورٌ تُخال لحسنها
وإذا المزاج أثارها فتقسمت
فكأنهن لبسن تلك مجاسداً

وقال ابن المعتز:

ندامى صرعوأ حولي رقودا

وليلٍ قد سهرتُ ونام فيه

أسامرٌ فيه قهقهة القناني=ومزماراً يحدثني، وعودا

وقال أراك شيطاناً مريداً

فكاد الليل يرجمني بنجمٍ

وقال أيضاً:

ألجد ذا الهجر أم ليس جدا
لهف نفسي أراك قد خنت عهدا
حبلاً ولا تُغير وُدا
بسوط السُّهاد والدمع حدا
لا يراني في الحب أصلح عبدا
بنورين؛ جُنناراً ووردا
وصباحٍ بوجهه كان سعدا
ونظن السرور والقصف خُدا
نتلقى بها نسيماً وبردا
الصوت بألفاظه الفصاح فأدا
قد أقيموا ليلعبوا دست بندا
مطراً، والغمام عوداً وندا

قل لأحلى العباد شكلاً وقدأ
ما بذا كانت المنى وعدتني
بيننا الله والمواثيق لا تقطع
إن زنتُ عينه بغيرك فاضربها
صاحٍ إني ملكتُ رقيَ مولىً
أهيف القدِّ قد تورد خداه
رب كأسٍ شربتها من يديه
حيث لا تهندي الهموم إلينا
في دساكير تحت ظل ظليل
بين كأسٍ ومزهرس وصفَ
ودنانٍ كمثل صفِّ رجالٍ
إذ جعلنا الورد الجنِّي علينا

وقال كشاحم:

على حشاشة نارٍ جسمها بردُ
فكلما أطفئت بالنار تنقذُ

سعت علينا بنور الماء تسكبه
يزيدها المزج وقدأ في قرارتها

جوفاء صيغ "لها" من فضة زرد

كانما بطن الياقوت لؤلؤة

وله:

وشرب كأسٍ من كفٍّ مقدود

أهلاً وسهلاً بالناي والعود

بشراً سقمُ الهلالِ بالعيد

قد انقضت دولة الصيام وقد

يفتح فاه لأكل عنقود

يتلو الثريا لاكفاغر شره

وقال الحسين بن الضحاك:

ومورد الخدين يخطر حين يخطر في مُورد

يسقيك من جفن اللجين إذا سقاك دموع عَسجد

أو تظن الأرض تصعد

حتى تظن النجم ينزل

حيّاك بالياقوت ثم الدر من تحت الزبرجد

وقال أبو نواس:

على الربا حُللاً من وشيه جُدا

وجدة من زمان نشرت يده

أوراقه حُللاً والماء قد بردا

والجو قد رقَّ والريحان قد لبست

كأنها خدُّ ساقِها إذا انقدا

والكأس في كف ساقِها قد انتقدت

وقال أيضاً:

بُحمرتين من الصهباء والخذ

بتنا نعل من ساقٍ أغنَّ لنا

سُكراً، فأسبل "منه" فاحم الجعد

كأنه حين أذكى نار وجنته

وقال ابن الرومي:

تمشي الهويني كمشي الراح في الجسدِ

شمسٌ من الراح في غيم من الزبدِ

وثب الدنانير عن إحرار منتقد

لها شعاع إذا صفقتها، وثبت

وقال الناشئ:

والراح روح أخي الغرام الجاهد

ولكرم من كرم الطباع وفضلها

شمل الخليط وضمَّها للفراد

وكذاك سُميت الشمول لجمعها

إدمانها إسعاد كل مساعد

وتفاءلوا باسم المدام لأن في

وهي العقار لأنهم عقروا بها
فاعتض بها من كل شيء فائت

وقال ابن المعتز:

ما جمعوا من طارفٍ أو تالد
واغضض بها عين العدو الحاسد

ربما طاف بالمُدَام علينا
يكرع الكرة الرَّوِيَّة

عسكريٌّ كغصن بانٍ يميذُ
بالكاس ولحظي بلحظه معقودُ

حرف الذال

قم فاسقتني بالرطل والخرذاذ
فكأنهن بيننا

إن العدول عن المدامة هاذي
بييضاً لبسن غلائلاً من لاذٍ

حرف الراء

قال أبو نواس:

أعطتك ريحانها العُقَارُ
فانعم بها قبل رائعاتٍ
ووقرَّ الكأس عن سفيه
فلم تزل تأكل الليالي
حتى إذا مات كل دَامٍ
عادت إلى جوهرٍ لطيفٍ
كأن في كأسها سراباً
كأنها ذاك حين تُرْهِى
لا ينزل الليلُ حيث حلت
حتى لو استودعت سراراً
ما أسكرتني الشمول لكن

وحان من ليالك انسفارُ
لا خمرَ فيها ولا خمارُ
فإنما شأنها الوقار
جثمانها، ما لها انتصار
وخلصَ السرُّ والجهارُ
عيان موجوده ضميرُ
يُخيله المهمة القفارُ
لو لم يشب لونها اصفرارُ
فدهر شرابها نهارُ
لم يخف في ضوئها السرارُ
مدير طرفٍ به احورانُ

وله:

هي الخمرُ لا زالتديع فضائحي

وتفعل ما شاءت "بي" الخمرُ من أمرٍ

متى اكتسبت مالا فللخمر شطره

ويحكم ربُّ الخردِّ العينِ بالشرط

وله:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمرُ
فما الغبن إلا أن تراني صاحبياً
فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى
وخمارة نبهتها بعد هجعة
فقال: من الطراق، قلنا: عصابة
ولا بد أن يزنوا، فقالت: أو الفدا
فقلت: فهاتيه، فما إن لمثلنا
فجاءت به كالبدر ليلة تمه
فقمنا إليه واحداً بعد واحد
وبتنا يرانا الله شرَّ عصابة

ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر
وما الغنم إلا أن يتعتني السكر
فلا خير في اللذات من دونها ستر
وقد غابت الجوزاء وارتفع النسر
خفاف الأداوي، يُبتغى لهم خمراً
بأبلج كالدينار في طرفه فتر
فدينك بالأهلين عن مثله صبر
تخال به سكرًا وليس به سكر
فكان به من صوم غربتنا فطر
نجرُّ أذيال الفسوق ولا فخر

وله:

دع لباكيها الديارا
وأدرها من كُमित
بنت عشرٍ لم تعاین
لم تزل في قعر دن
ثم شجت فأدارت
كاقتران الدرِّ بالدرِّ
فإذا ما اعترضته العين
خلته في جنبات الكأس
من يدَي ساقِ طريف
ومغنُّ كلما شئت
صاح هل أبصرت

وانفٍ بالخمر الخُمارا
تدع الليل نهارا
غير نار الشمس نارا
مشعر زفتاً وقارا
فوقها طوقاً فدارا
صغارا وكبارا
من حيث استدارا
واوات صغارا
كسي الحُسن شعارا
تغنى وأشارا:
بالحيين من أسماء نارا

وله:

إذا كان يومي ليس يوم مدامة
وإن كان معموراً بعودٍ وقهوةٍ
ولا يوم فتیان فما هو من عمري
فذلك مسروق لعمري من الدهر

وله:

ألف المدامة فالزمان قصير
وله بدورِ الكأس كل عشية
صافٍ عليه وما به تكدير
حالان، موتٌ مرّةً ونشور
حمراءُ صفراءُ الترائب رأسها
فيه لما نسج المزاج قتيراً

وله:

وفتيان صدقٍ قد صرفت مطيهم
فلما حكى الزنار أن ليس مسلماً
إلى بيت خمّارٍ نزلت بها ظهرا
ظننا به خيراً، فظن بنا شرا
فقلنا: على دين المسيح بن مريم؟
فأعرض مزوراً، وقال لنا هُجر!

ولكن يهوديٌّ، يحبُّك ظاهراً
فجاء بها زيتية ذهبيةً
ويضمّر في المكنون منه لك الخترا
فلم نستطع دون السجود لها صبيرا
فطابت لنا حتى أقمنا بها عشرا
وإن كنتم منهم لا براءً ولا صِفرا
يحثونها حتى تفوتهم سُكرا
خرجنا على أن المقام ثلاثة
عصابة سوءس لا ترى الدهر مثلهم
إذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم

وله:

مضى أيلول وارتفع الحرور
فقول ما فامزجا خمراً بماءٍ
وأذكى نارها الشّعري العبورُ
فإن نتاج بينهما اسرور
تكون بيننا فلك يدور
مشوفة وتارات تغورُ
ففي دوراتهن لها نشور
تسير نجومه عجلاً ووثباً
إذا لم يجرهن القطبُ مشياً

وله:

وشيبى بحمد الله غير وقار
إلى رشاً يسعى بكاسِ عَقَارِ
تنافسَ فيها السومُ بين تجارِ
تفاريق شيبِ في سوادِ غمارِ
تقرِّي ليلٍ عن بياضِ نهارِ
إذا عارضتها العين صفُّ مداري

يقولون في الشيب الوقارُ لأهله
إذا كنت لا أنفك ذا أريحيةٍ
شمولُ إذا شجت تقولُ عقيقةً
كأن بقايا من عقارِ حبابها
تردت به ثم انفري عن أديمها
يعاطيكها كفُّ كان بنانها

وله:

قلائصَ قد ونينَ من السفارِ
كمخمورٍ شكاً ألم الخُمارِ
وجفنُ الليلِ مكتحلُّ بقارِ
رأيت الصبحَ من خللِ الديارِ
ولا ضوءٌ سوى ضوءِ العُقارِ
فعاد الليلُ مسدولَ الإزارِ
محفرةِ الجوانبِ والقرارِ
بأعمدةٍ وأقبيةٍ قصارِ

وخمارٍ أنختُ إليه وهناً
فجمجم، والكرى في مقلتيه
أبن لي، كيف صرتَ إلى حريمي
فقلت له: ترفق بي فإني
فكان جوابُهُ أن ليس صبحُ
وقام إلى الدنانِ فسدَّ فاها
فودَّجَ خصرَها في قعرِ كأسِ
وجال الفرسَ حول ركابِ كسرى

وقال ابن المعتز:

بدت لك في قدحٍ من نهارِ
وماءٌ ولكنه غير جارِ
وهذا النهايةُ في الاحمرارِ
إذا قام للسقي، أو باليسارِ
له فردٌ كمَّ من الجنارِ

وراحٍ من الشمس مخلوقةٍ
هواءٌ ولكنه جامدٌ
فهذا النهايةُ في الابيضاضِ
كأن المدير لها باليمين،
تدرع ثوباً من الياسمين

وقال أيضاً:

معتقةٌ كلون الجنارِ
بناتُ اللهوِ تعبتُ بالوقارِ

وليلٍ بتُ أسقاها سُلَافاً
نعمت بشربها طرباً وعندني

ونجم الليل يركض في الدياجي

كأن الصبح يطلبه بثارٍ

قال ابن وكيع:

وحديثٌ كأنه

أوبئةٌ من مسافرٍ

كان أشهى من الرقادِ

إلى طرفٍ ساهرٍ

بتُّ ألهو بطيبه

في رياضٍ زواهرٍ

بين ساقٍ وسامرٍ

ومُغنٍّ، وزامرٍ

ليلةً غاب شخصها

عن عيون الدوائر

كان ذهن الزمان

"عندها" غير حاضرٍ

وقال أيضاً:

وليلةٌ ساهرتها

إلى طلوع السحرِ

سهرتها من طربٍ

يا طيب طعم السهرِ

رأيت فيها منظرًا

يجلو القذى عن بصري

شمساً بكفي قمرٍ

يديرها في قمرٍ

وقال أيضاً:

حملت كفه إلى شفثيه

كأسه والظلامُ مُرخى الإزار

فالتقى لؤلؤاً حبابٍ وثغرٍ

وعقيقانٍ من فمٍ وعقارٍ

وقال أيضاً:

رأيت الدهر حالاً بعد حال

كأنَّ صروفه فينا قمارٌ

فلا تسخط على ذنبٍ أتاه

فليس له من الذنب اعتذار

وخذ كأس العقار فربَّ جرمٍ

له عقبٌ مفاتحه العقار

إذا ضاع السرور سلكت منها

إليه مسلماً فيه اختصار

وقال أيضاً:

وليلةٌ بتُّ في ظلماتها طرباً

يسعى إليّ بشمس القهوة القمرُ

سهرتها سهرًا من طيب لذته

وددت لو أن عمري كله سهرٌ

وقال أيضاً:

ليهنكَ نيروزاً أتاك كأنه

رسول حبيب بالأمان من الهجرِ

فبادر إلى لذات يوم كأنه

من الحُسن قرط للاح في أفق الدهر

وخذها على رغم الحسود مُدامةً

أرق من الشكوى وأحلى من النصر

لها صورةٌ في الكأسِ عند اجتلائها

حكمت صورة الإقبال في فسحة العُمر

وقال أيضاً:

وحانةٍ خمارٍ أنخت مطيبي

إليه وقد أرخى الظلام له سترا

وقد زهرت وسط السماء نجومها

كديباجةٍ زرقاء قد نطقت تبرا

فأبرز لي صهباء يهدي نسيمها

إليّ إذا ما فاح فائحها عصرا

ودارت لنا كاساتها بمدامة

ترى دُهم خيلٍ صرن من نورها عُرا

تُشتت شملَ الهم حتى كأنها

إذا نزلت بالهم، طالبةٌ وترا

إذا التقيا في القلب ولت جيوشه

بخذلان مهزوم وأعطيت النصرا

إذا ضاق صدر المرء بالهمّ وانثنى

إلى كأسها ألفتته يحمد الدهرا

فما زال يسقيني ويشرب مسعدا

عليها غزالٌ طوفهُ ينفث السّحرا

إلى أن رأيت الشمس قد خلعت لنا

على الأفق من أنوارها خلعاً خضرا

وقال أيضاً:

اشرب فقد طابت العُقارُ

وابتسم الورد والبهارُ

لها جيوشٌ من الملاهي

للهمّ قدمها فرار

لألاؤها في الدُجى نهارُ

يُظلم من نوره النهار

إذا استقرت حشى وقورٍ

رأيته ما له وقار

فالحزن عن أهلها مُطارُ

والحلمُ في إثره مُطار

يسعى بها جوذراً غريرُ

في لحظ أجفانه احورار

أغار منيّ عليه حتى

عليه من نفسه أغار

كلَّ جمالٍ ترى فمَنه

إذا تأملت مستعارُ

وقال أيضاً:

قم فاسقني كأساً كأنَّ نسيمها

مِسْكَ تَضوعه يدا عطار

أحكامها في العقل إن هي حُكمت

أحكام صرف الدهر في الأحرار

يرضى عن الأقدار شاربها الذي

ما زال ذا سخطٍ على الأقدار

وكأنها والكأس ساطعةٌ بها

ذوبٌ تحلل من عقيق جارٍ

لا سيما من كفٍّ أعيد شادينِ

يسبي العقول بطرفه السَّحارِ

فضل الغصون لأنها من غرسنا

عند التأملوهو غرسُ الباري

وقال أيضاً:

يا لائماً يعذلني في طربي

حسبُك قد أكثرت من هذا الهذرُ

أعرف فضل العقل إلا أنه

بدل طعم العيش صفواً بالكدر

الجهلُ ينبوع مسراتِ الفتى

والعقل ينبوع الهموم والفكر

فاجسر على ما تشتهي جهالةً

ما فاز باللذة إلا من جَسَرَ

واشرب عقاراً لو أصابت حجراً

لطار من خفته ذاك الحجر

عدوةُ الحزن الذي ما ظفرت

قطبه إلا أساءت في الظفر

لو رام أن يجيره من كيدها

صرف القضاء الحتم يوماً ما قدر

أرقها الدهر إلى أن شاكلت

من رقةٍ شعر جميلٍ وعُمر

خفية الحيلة في جسم الفتى

تحدث في الجسم ديبياً وخر

كأنما الأوطار فيها جمعت

فليس في العيش لجافيتها وطر

لا سيما من كف ظبي لم يُثن

بفرط طولٍ لا ولا فرط قصر

له سهام من لحاظٍ صيَّب

كأنما يرمين عن قوس القدر

لو لم يكن زناره في وسطه

يُمسك ضعف الخصر منه لانبتر

وبان منه نصفه عن نصفه

لكنه جاء له على قدر

يا لك منه منظرًا أشهى إلى

قلبي من جنةِ عدنٍ وأسرُّ

يا طيب ذي الدنيا لنا منزلةً

لو لم تكن نُزعجُ منها بسفرٍ

وقال أيضاً:

ظفرتُ بقبلةٍ منه اختلاصاً

وكننت من الرقيب على حذارٍ

ألذ من الصبوح على غمامٍ

ومن برد النسيم على خمَارٍ

وقال تميم:

إذا رحت من سكرٍ غدوت إلى سكرٍ

وأنفقت في لهوي وفي لذتي عُمرِي

ولم لا أجرُ الذيل في ساحة الصبا

وشرخ شبابي قائمٌ لي بالغدر

ومهتزة الأعطاف، تهتز للصبا

كما اهتز غصن البان في الورق الخضر

مهفهفة صفراء، إلا لآلئاً

إذا ابتسمت بيضاً يلحن من الثغر

قطعتُ بها ليل التمام وبدره

إذا ما رآها ظنَّها غرّة البدر

وقال:

وقهوة في كأسها تزهرُ

يفوخُ منها المسك والعنبرُ

وردية يحتثها أحورُ

كأنها من خدّه تُعصر

مهفهف لم يبتسم ضاحكاً

مذ كان، إلا كسد الجوهْرُ

وقال أبو العتاهية:

لهفي على الزمن القصير

بين الخورنق والسدير

إذ نحن في عُرف الجنان

نعوم في بحر السرور

في فتيةٍ ملكوا عنان

الدهر أمثال الصقور

يتعاورون مدامةً

صهباءً من حلب العصير

عذراء ربّأها شعاع

الشمس في حرّ الهجير

ومقرطقٍ يمشي أمام

القوم كالرشأ الغرير

بزجاجةٍ تستخرج السرّ الدفين من الضمير

زهراء مثل الكوكب الدرّي في كف المدير

وقال ايضاً:

وقال: الحرامان المدامة والسكر
فحلّت لنا بين اختلافهما الخمرُ
وأشربها، لا فارق الوازر الوزرُ

أحلّ العراقي النبيذ وشربه
وقال الحجازي الشرابان واحد
سأخذ من قوليهما طرفيهما

وقال تميم:

فاخلع بها للهو عنك العذار
إن قبول اللوم في السكر عار
وحلّمه في لطف واختصار
ولد قرع الماء فيها اصفرار
إلا صفا الماء وضوء النهار
في صفوها يجمع تلجاً ونار
أبنائها واغذُ خليع العذار
تنظم فيه زردات صغار
ناولك الكأس صموتُ السوار
مستعذب الظلم برود القطار
ووجنة منبته جُلنار
ليلٌ تبدى جنحُه في نهار

السكر في أسكر عندي وقارُ
ولا تطع في نشوةٍ لائماً
وهاكها تسلب عقل الفتى
حمراء في الكأس فإن شعشت
في قدحٍ ليس له مشبة
كأنما الساقى إذا مجه
فرُح صريع الكأس إن كنت من
أما ترى النيل وريح الصبا
لا سيما إن غرد النايُ أو
وبت تجني لعساً أشنبا
ومقلة مضمرة فتكة
كأن لأم الصدغ في عاجها

وقال ايضاً:

وجنح الظلام مُرخى الإزارِ
ورواب أنيقة الأزهارِ
ويجيب القيان فيها القُماري
وكأن النجوم فيها مداري
في يد الأفق مثل نصف سوارِ
بثأرٍ والحادثات بثارِ

ربّ صفراءٍ عللتني بصفراءِ
بين ماءٍ وروضةٍ وكرومِ
تثنى بها الغصونُ علينا
وكأن الدجى غدائر شعري
وانجلى الغيم عن هلال تبدى
فأسقياني فأنتني أطلب المجدِ

وندامى لو لم يكونوا من
بت أسقيهم ويسقونني
وبساط من الحديث شهياً
لم نزل نلثم الكئوس إلى أن
وقال عبد الله بن المعتز:

وقد يباكرني بالراح صافيةً
يريق في كأسها من صوب غادية
وقال صريع:

وبنت يهودي حضرت زفافها
وقد حُليت دراً تزين به النحرا

بعثت إلى خطابها فأتوا بها
فجاءتهم بكرةً "بخاتم" ربها
أناخ عليها أغبر اللون أجوفٌ
أبت أن ينال الدنُّ مسَّ أديمها
قلوب الندامى في يديها أسيرةٌ
إذا ما تحسَّأها النديم أخو الهوى
أخص الندامى عندها وأحبهم
إذا مسَّها الساقى أعارت بنانهُ
إذا ما أدار الكأس ثنى بطرفه

وقال:

ومشمولةٍ مما تُعتق بابلُ
سلافة كرم بنت خمسين حجةً
يطوف بها ساقٍ أغنُّ متوجُّ
عليه أكاليلٌ من الآسِ رصَّعت
كأن شعاع الشمس في كأسها انتشر
إذا ما علاها الماء تقذف بالشرر
بوجنته خالٌ، وفي طرفه حور
بأصناف ألوان الشقائق والزهر

فبت أسقاها بأنعم ليلةٍ

معتقةً حتى بدت غرّة السحر

وقال ابن المعتز:

وجاءني في قميص الليل مستتراً
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحهُ
وكان ما كان مما لست أذكره
ومغرم باصطباح الراح نادمني
ما زلت أسقيه من حمراء صافيةٍ
راح الفرات على أغصان كرمتها
حتى إذا حرُّ آب جاشٍ مرجلُهُ
ظلت عناقيدها يخرجن من ورقٍ
وكان قاطفها يسعى فأسلمها

يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
مثل القلامه قد قُدَّت من الظفر
فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر
لم تبق لذته وفراً ولم تذرِ
عجوز دسكرةٍ شابت من الكبير
بجدولٍ من زلال الماء منفجر
بفائرٍ من هجير الشمس مستعر
كما احتبى الزنج في خضر من الأزُر
إلى خوابي قد عُمَّن بالمدر

وقال:

خطبنا إلى الدهقان إحدى بناته
فبيننا نراها في الندامى أسيرةً

فزوجنا منهن في خدرها الكبرى
لهم إذ مشت فيهم، فصاروا لها أسرى

وقال:

تذكر الصبح في غمى فما صبرا
وقال قوموا فكم من مسعدٍ عجلٍ
ثم ابترنا نبيح الأرض مركبنا
حتى أتينا على علياء يضربها
وفوقها من دنانٍ فرغ شرفُ
كانت غنى العلياء مملأةً
وكان خدرها حيناً فصلبها
وسقيا واشربا راحاً معتقةً
لما وجاهها بدت حمراء قانيةً

وارتاح لما رأى الإصباح قد نُشرا
أجاب دعوته الأولى فما انتظرا
على قوارح خيل تنفض العذرا
برد النسيم فيضحي ماؤها خصرا
كالرازقي أقاموا فوقه الدررا
فما جزاهن أمواتاً ولا شكرا
على الجدار تقاسي الريح والمطرا
تستأصل الهمَّ والأحزان والفكرا
كأنما ملئت من نفسها سكرا

وقال:

أشكو إلى الله خوأناً سلافجا
يحرك القدُّ في أثوابه غُصناً
وحولَّ الوصل والأرسال والنظرا
ويُطلَعُ الحسنُ من أزراره قمرا

وقال:

حننتُ إلى الندامى والعُقار
وساقي حانةٍ يغدو علينا=بِزُنارٍ وأقبية صغار
وأما وفتور مقلّةٍ بابليٍّ
لقد فضحت دموع العين سري
ويخجل حين يلقاني كأني
وبيضاء الختام إذا اجتلتها
وشربٍ بالصغار وبالكبارِ
بديع القدِّ ذي صدُغٍ مُدارِ
وأحرقني هواه بغير نار
انقط خدّه بالجلنار
عيونُ الشربِ حمراء الإزار

جموح في عنان الماء تنزرو
فضضت ختامها عن روح راح
تنقاها لكسرى رب كرمٍ
وسقفها العريش فحملتهُ
نواعم لا تذُلُّ بوطاء رجلٍ
فأودعها الدنان مصففاتٍ
وألبسها فلانس معلماتٍ
فلما جاوز عشرين عاماً
أُتيح لها من الفتیان سمحٌ
فأبرزها تحدث عن زمانٍ

وقال: وكرخيّة الأنساب أو بابلية=ثوت حقياً في ظلّمة القار لا تسري

أرقت صفاء الماء فوق صفائها
وكم ليلةٍ باللّهُو قصرت طولها
فخلتّهما سلاً من الشمس والبدرِ
بساقية العينين والكف للخمر

وإني وإن كان التصابي يحثني
ظلت بملهى خير يومٍ وليلةٍ
لكف غزالٍ ذي دلالٍ وطرةٍ
لدى نرجسٍ غصنٍ وسروٍ كأنه
لأبلغ حاجاتي وأجري على قدر
تدور علينا الكأسُ في فتيةٍ زهر
وصدغين كالقافين في طرفي سطر
قدود جوارٍ ملن في أزر خضر

انتهى السفر الأول من كتاب قطب السرور في أوصاف الخمور والحمد لله رب العالمين على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

كتابنا هذا له رونقٌ
كادت تواليف الورى عنده
هذا كتاب نفيس
إلا برهنٍ وثيقٍ
فمن أراد كتابي
كرونق الحبات في عقدها
تموت بالخجلة في جلدها
لكشف همي ادخرته
لصاحبٍ قد عرفته
فالشرط ما قد ذكرته

السفر الثاني من كتاب قطب السرور في وصف الخمور تصنيف العلامة الأديب أبي إسحق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم رحمه الله تعالى آمين

هذا كتاب لو يباع بوزنه
أو ما من الخسران أنك أخذ
ذهباً لكان البائع المغبوناً
ذهباً، وتارك جوهراً مكنوناً

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن المعتز أيضاً:

يا رب يوم سرورٍ
لو بعته بسنينٍ
وكلها في نعيم
بكرٍ عليّ بكأسٍ
أما ترى النجم ولى
بالماردين قصيرٍ
واعصر ودهور
ما كنت بالمغدور
فالخير في التبكير
وهمٌ بالتغوير

"اليوم قصف وبسط
من كف ظبي مليح
يزهى بوردة خدّ
وشعره من ظلام
فسقني بالكبير"
ساجي الجفون غرير
قد خدشت بعبير
ووجهه من نور

وقال أيضاً:

ذرى شجرٍ للطير فيه تشاجرُ
كأن القماري والبلابل فوقه
شربنا على ذاك الترتم قهوة
كأن نسيم الروض في جنباتها
كأن سقيط الطل فيه جواهر
قيانٌ وأوراق الغصون ستائرُ
كأن على حافاتها الدرّ دائر
لخالخ، فيما بيننا، وذرائرِ

وقال:

سقني الراح في شباب النهار
قد تولت زهرُ النجوم وقد بشرّ
ما ترى نعمة السماء على الأرض
وغناءَ الأطيار في فلق الصبح
وأنف همي بالخندريس العقارِ
بالصبح طائر الأشجار
وشكر الريّاض للأمطار
وحليّ الأشجار بالنّوار
وكأن الربيع يجلو عروساً

وقال:

أقول لساقي القوم لا تعقرنها
ولا تسقنيها بنت عامٍ فإنها
قريبة عهد بالغصون وبالثرى
بماءٍ وأحزاني بصرفك فاعقر
كما هي في عنقودها لم تغير
وبالشرب من ماء الرفات المفجر

ولكن عقاراً أم دهر تقادمت
على دنّها وسمّ لعادٍ وتُبّع
فلم يبق منها "غير" ريح ومنظرٍ
وفيه علامات لكسرى وقيصر

وقال:

ومختضب بحناء العقارِ
سقتني كفه والليل ساري

وفي يمناه إبريق وماءً

وكأس الخمر في يده اليسار

وقال كشاحم:

وندمانٍ أخي ثقةً

كأنَّ حديثه حبره

يسرك حسن منظره

وتحمدُ منه مُختبره

ويستر عيب صاحبه

ويسترُ أنه ستره

ابن المعتز:

شربنا بالصغير وبالكبير

ولم نحفل بأحداث الدهور

وقد ركضت بنا خيل الملاهي

وقد طرنا بأجنحة السرور

وقال:

ونديمٍ قمرتهُ

عقله الكاسُ العُقارُ

لم يزل ليلته

في فلكِ السكرِ يُدار

قهوة سرِّ الفتى

فيها لعينيك جهار

فترى كأساتها

يُقدحُ فيهن الشرارُ

وكساها الماءُ شيباً

لم يكن فيه وقار

وقال أيضاً:

نمُجُّ من أقداحنا قهوةً

تضوع بالمسك وبالعنبر

كأنما أقداحنا فضةً

قط بطنت بالذهب الأحمر

وقال:

ثم فاسقني من سُلُوف ما يُعصرُ

كالشمس عند السعود في المنظر

عروسِ خدرٍ، يزفها قدحُ،

مجلوةٌ في غلائل العنبر

تعمل بالهم في الضمير كما

يعمل في الفتك صاحب الخنجر

وقال:

من لامني اليوم في سكرٍ فلا عذرا

هاتِ الكبيرِ وغيري سقِّ ما صغراً

غدت منكراً للمزن فاحتجت

شمس النهار ولم نعرف لها خبرا

واغرورقت بانسكاب الماء مقلتها

جاءت بتلج كوردٍ أبيضٍ نثرا

وقال:

وزعفرانيةٍ في الكأسِ تحسبُها

إذا تأملتُها في ثوب كافور

كأن حبَّ سقيطٍ لالطلِّ بينهما

دمع تحدرَّ من أجفان مهجور

وقال:

قم فاسقني من عقار

حمراء كالجلنار

واركض إلى السكر ركضاً

قبل انتصاف النهار

فالسكر أوطأ فرائشٍ

والسكر أدفا دثار

وشرب رطلٍ وثنانٍ

درياق كل خمّار

زفت إليك عروسٌ

من حانة الخمار

وتاجها من طينٍ

ودرعاها من قار

وكأسها ملء كفٍ

وريحها ملء دار

وقال الصنوبري:

نار راحٍ، ونار خدّ، ونارٌ

لحشا الصبِّ بينهن استعارٌ

ما أبالي، ما كان ذا الضيف عندي

كيف كان الشتاء والإمطارٌ

وقال:

ضحك الورد في قفا المنثور

واسترحنا من رعدة المقرور

واستطيب المقبل في "برد" ظلٍ

وشمنا الريحان بالكافور

فالرحيل الرحيل يا عسكر اللهو

إلى كل روضةٍ وغدير

واهجر البيت، وامزج الراح

بالتلج وأطفئ بالخمر حرَّ الهجير

وقال:

اشرب الراح بكرةً بالكبير

واصطحبها غداة يوم مطير

من عقارٍ ألد من نكهة الورد

وأصفي من دمعة المهجور

أشبهت في ضيائها بهجة الشمس

وفي لونها دم اليعفور

قُرعت بالمزاج في صحن كأسٍ
فاغتمت غفلة الزمان وخذها
ربَّ يوم قصرت فيه عن اللهو
لم أعرج على طول بتيماء
إنما عيرنا الكئوس تراها
في رياضٍ إذا بدا القطر أبدت
فإذا هبت الصَّبَا في رباها

وقال تميم:

فارتدت كأسها بحلة نور
بنشاطٍ من كف ظبيٍ غرير
ببيضاء ذات طرفٍ سحور
ولم أسرٍ في الدجى بالعيير
سائرات تُحدى بيمٍ وزير
عن شمسٍ طوالعٍ وبدور
خلت ربا الصَّبَا نسيم عبير

أما ترى حركات الريح مخبرةً
والجو ملتحفٌ قمصاً مَفوِّقَةً

أن الغمام وجود الأرض بالمطر
زُرَّت عليه من القوهي والحبر

كأن يرد نسيم الأرض حين بدا
فأجر فيه حقوق الكأس دائرةً
واعلم بأن الليالي غير باقيةٍ

بردا ارتشاف حبيب زار في السحر
ما بين رجع حنين الناي والوتر
فلا تبقِّ على وفرٍ ولا تذرِ

وقال:

يا ربَّ ليل بتُّه ناعماً
أخرج فيه لصبا من صبا
وعذبة الألفاظ معشوقةٍ
كأنما البدران في وجهها
فلم أزل أشرب من كفها
حتى تضجَّعت وبي مثلما
والبدر قد مدَّ على نيله

بين ربا المختار والجسرِ
واستحث الخمرَ بالخمرِ
طوع الصَّبَا مرهفةٍ الخصرِ
فهي سماءُ الشمسِ والبدرِ
واجتني الشهد من الثغرِ
بلحظ عينيها من السحرِ
منطقةً من خالص التبرِ

وقال ابن المعتز:

قد سقتني خمراً، وريقاً كخمرِ

بنت عشرٍ في كفِّها بنت عشرِ

ذُرِّ فِي وَجْهَهَا الْمَلَاةَ ذُرًّا

خَالِقٌ هَزَّ غَصْنَهَا تَحْتَ بَدْرِ

وقال:

ومغرمٍ باصطباح الراح نادمن

لم تُبْقِ لَذْتَهُ وَفِرًّا وَلَمْ تَذُرْ

ما زلت أسقيه من حمراء صافيةٍ

عروس دسكرة شابت من الكبر

راح الفرات على أغصان كرمتها

بجدولٍ من زلال الماء منفجر

حتى إذا حرُّ آبٍ جاشٍ مرجله

بفائزٍ من هجير الشمس مُستعر

ظلت عناقيدها يخرجن من مدرٍ

كما احتبى الزنج في خضرٍ من الأزُر

وطاف قاطفها يسعى فأسلمها

إلى خوابي قد عمَّمن بالمدرِ

وقال:

من معيني على السهر

وعلى الغم والفكر

وابلائي من شادنٍ

كُبرُ الحبِّ إذ كبر

قام كالغصن في النقا

يمزج الشمس بالقمر

غافلاً عن بليتي

قاتلاً لي وما شعَرَ

صاح إن أمكنتك لذة عيشٍ فلا تذر

فاز بالوصل من جسر

وتقدم ولا تخف

كم عدول على الخطيئة والله قد غفر

فسقاني المُدام والليلُ بالصُّبح مؤتزر

والثريا كنور غصنٍ على الغرب قد نثر

وقال أبو الشيص:

نهى عن خلَّة الخمر

ببياض لاح في الشعر

وقد أغدو وعين الشمس في أثوابها الصفر

وكالكافور في النشر

على صهباء كالشمس

وظبيُّ يعطف الأرداف من متنيه والخصر

على أطف ما شدَّت عليه عُقد الأزُر

رهيفٌ يرتمي الألباب عن قوسٍ من السّحر
له طرف يشوب الخمرَ للندمان بالخميرِ
عجوزٌ نسج الماء لها طوقاً من الشذر
كأن الذهب الأحمر من حافاتها يجري

وقال آخر:

وليلةٍ من حسنات الدهر
ما يمّحى موضعها من ذكرى
ولا تسلاًها بنات صدي
سريت فيها بخيول شقر
سياطها ماء السحاب الغرّ
فلم تزل تحت الظلام تجري
محنوثةً حتى بلغت سُكري
في روضا مقمرة بالزهرِ
وشادنٍ ضعيف عقد الخصرِ
يمضي بموجٍ ويجي ببدرِ
مكحولة أجمانه بسحر
في خده عقارب لا تسري
من سبح قد قيدت بعطرِ
تلسع أحشائي وليس تدري
يا ليلة سرقتها من دهري
ما كنت إلا غرة في عمري
أما وريقٍ باردٍ وثغر
ما الموت إلا الهجر أو كالهجر

وقال:

قم فاسقني قبل أصوات العصافير
حمراء من خمر بيروت معتقة
يسعى بها ساحرُ الألاحظ زينه
إذا تناول كأساً ثم قام بها

وقال:

وشرابٍ أرقّ من دمة الشكوى
خلتها في كتوسها إذا أديرت
على خدّ عاشقٍ مهجور
زعفراناً جرى على كافور

وقال في نبذ الدوشاب: أحي رُدّ كأسَ الخمر عني فلا خمر=تبدلت منها أسوداً حالكاً مُرا

كأن الندامي حين عاطوا كتوسه
محابر وراقين قد ملئت حبرلا

وقال:

ولقد تعدى على همّ نفسي
بيدي ريمٍ بقلب طرفاً
ومغنٍ ملحق كلّ نفسٍ
من بنات الكرم عذراء بكرٍ
فيه للعشاق موت ونشرُ
بهواها، فهو للسكر عذُرُ

الأخطل:

نازعه طيّب "الراح" الشمول وقد
من خمر عانة، ينصاع الفرات لها
كنت ثلاثة أحوالٍ بطينتها
آلت إلى النصف من كلفاء أنزعها
صهباء قد عنست من طول ما حُبست
عذراء لم يجتل الخطاب بهجتها
صاح الدجاج وحانت وقعة الساري
بجدولٍ صخب الآذي موارٍ
حتى إذا سكنت من بعد تهدار
علجٌ ولثمها بالجص والقار
في مخدع بين جناتٍ وأنهار
حتى اجتلاها عبادي بدينار

الصنوبري:

ومدامة بُرلت
لي من زجاجتها ومنها لمحتا نورٍ ونارٍ
قصرت أيامي بها
فاشبه فتلها فتل السوار
واهاً لأيامي القصار

وقال آخر:

في اصطباح الراح من ذكر
ما أنا عنها بمصطبر
كهدو الحية الذكر
ليس ذاك اليوم من عمري
أخذت بالسمع والبصر
من نسيم الروض في السحر
كُحلت عيناه بالخور
قمر في راحة القمر

عدّ عن لومي فلست أرى
فلئن أصبحت مصطبراً
قهوة في الكأس مطرقة
إن يوماً لست أشربها
فإذا قرّ القرارُ بها
وهو أذكى في تنفسها
علنيها شادنٌ غنّج
وكأن الراح في يده

ابن الرومي:

آثار معهده القتير

سقي الشباب وإن عفا

تشدو لنا ربا البنان كأنها قمرٌ منيرٌ
وشرابنا وردية لكئوسها شررٌ يطير

"واهاً لقولي للمدير، وقد سقيناها المدير"

من ماء خدك أم عصيرٌ

أعصير خمرك هذه

وقال أبو الهندي:

بتُّ أسقاها وقد لاح القمرُ
وغلّامٌ كلما شئنا زمر
قام يمشي مشي غصنٍ قد مُطر
ماتلاً كالظبي ملثوماً أغر
حذر الصقر فأقعى ونظر

حبذا العيش بدارين وقد
عندنا شادية رفاصة
وإذا قلنا له "قم" فاسقنا
وترى الإبريق فيما بيننا
أو كفرخ الماء في غيضته

وقال:

يطير في كأسها لها شررٌ
فامتعضت حين مسّها الذكرُ
يظهر منها الحياء والخفر

وقهوة كالعقيق صافية
زوجتها الماء كي تذلل له
كذلك البكر عند خلوتها

وقال صريع:

ويوم كأن الشمس فيه مريضةً
ظللنا، وما تنفك فينا ذبيحةً،
رحيقاً، تعالى في المزاج، كأنه
إذا دبَّ فيها الماء قارن صعةً

من الدجن مطلول الضحى والظهائر
نمج نجيعاً من دماء المعاصر
شهاب غضى في كف ساعٍ مبادر
جنوحاً عليه سهولة في الحناجر

وقال الراضي:

يا لك من ليلةٍ محسدةٍ
سعدت فيها بذى مساعدة
واجتلى الخمر في غلائلها

تُعد في الدهر غرّة الدهر
اقبض بالوصل مهجة الهجر
حتى تعرت غلالة الفجر

وقال العطوي:

قم سيدي قد تنفس السحرُ
والراح قد صفقت أبارقها
وزهرة أشرقت مصابحها
دنا إليها في الليل مقتبسُ
رعت نجوم السماء باهتةً
بعين يقظى وجيد ناعسةٍ

والماء من برد ريحه خصرُ
موقوفة والسقاة تنتظر
لولا الندى طار حولها شررُ
لما رآها كالنار تستعرُ
والليل داجي القناع معتكر
دام عليها الوقوف والسهرُ

وقال ابن المعتز:

اشرب وسقّ ابن بشر من مشعشة
قامت ثمانين حولاً في معاصرها

كأن في كأسها ناراً بلا نار
تسامر الدهر في ليلٍ من القار

وقال البحترى:

نزلنا منزل الحسن بن وهب
تلقينا الشتاء به وزرنا
تناز عنا المدامة وهي صرفُ
ولم يك ذلك سخفاً غير أني

وقد درست مغانيه القفارُ
بنات اللهو إذ قرب المزار
وأعجلنا الطبائخ وهي نار
رأيت الشرب سخفهم الوقار

وقال الأمير تميم:

قد اجتمع البستان والروض والخمرُ
فمالك لا تعدو على الراح عدوة
هل العيش إلا قينةً ومدامةً
فبادر بقايا العمر ما دمت قادراً
وحُركت الأوتار وارتفع الزمرُ
بيحُك فيها كل كا تشتهي السكر
وساقٍ مليحٍ ليس يُعصى له أمرُ
وما جرَّ أرسان البقاء لك العمر

وقال:

ومودةً بطن مغبرةٍ
حججنا إلى بيت خمارها
سلاف تسلف منها الزمان
يقبل منها النديمُ الصباح
فلا تعذر النفس في تركها
وشاطرة الزيِّ مخطوفة
أدارت علينا كنوس المدام
كأن لبانة الحاظها
"و" لا خير في الراح إن لم تُعَنُ
تحدث عن عهد سابورها
لنشربها في معاصيرها
قواها وأبقى على خيرها
ويصبغ كميته من نورها
فلست عليه بمعذورها
إذا برزت في زنايرها
وتأثيرها فوق تأثيرها
تحاول بسط معاذيرها
بسقم الجفون وتفثيرها

وقال كشاحم:

أتلفت مالي في العُقار
قالوا الشهادة بالعشيِّ
فاجبتهم ردوا الكتاب
لو كنت أخرج بالعشي
صريع: سقني من معتقات الخمر
عاطنيها حمراء، مثل دم الخش
لا تطل حبسها عليَّ وخذها
قد جعلنا الإثنين عيداً جديداً
وخرجت فيها عن عقاري
ونحن في صدر النهار
ولا تُعنوا بانتظاري
لما سمحتُ ببيع داري
إن يوم الإثنين يومٌ سرور
ف عليها كاللؤلؤ المنثور
واسقني واسق صاحبي بالكبير
واتخذناه جنةً للدهور

ديك الجن:

بها غير معدول فداوِ خمارها
ونل من عظيم الردف كل عزيمة
وقم أنت فاحتث كأسها غير صاغرٍ
فقام تكاد الراح تخضب كفه
ظللنا بأيدينا نتعتعُ روحها
موردة من كف ظبي كأنما

وقال حاتم الطائي:

أماوي إما متٌ فاسعي بنطفةٍ
فلو أن عين الخمر في رأس شارف
من الخمر رياً فانضحن بها قبري
من الأسد وردٍ لاعتلجنا على الخمر

إسماعيل بن صالح بن علي:

ما ترى في اصطباحتنا من عقار
وسجود إلى جبين هلالٍ
وصلاة على صريع مدام
وسماء منهلة بكباءٍ
ونعيم بوجه شمس النهار
طالع من سحائب الأزرارِ
صعق بين ألسن الأوتار
في رياض من نرجس وبهارِ

وقال الأمير تميم:

وراح تخضب الراحات ورساً
كأن الماء يطربها فتبدي
بدت في الكأس للندماء شمساً
وكانت قهوة صريراً فلما
وتفتق طيلسان الليل نورا
إذا مزجت به دراً نثيراً
وفاحت في أنوفهم عبيراً
أداروها شربنا"ها" سرورا
إذا شربت ولا أحلى سُدورا
فلم أر مثلها أنفى لهم

وقال نبطويه:

قمر طالع وكأسٌ تدور
فأقلوا المزاج، واستعملوا الصرف،
ونعيم ولذة وسرور
وهاتوا الكبير، هذا صغيرٌ

وزقا الديك والكلام كثير
في افتقاد العقول عيش غريب

قد مضى الليل والعقول صحاح
أفقدونا عقولنا ساعة إذ

حرف الزاي

قال "ابن" المعتز بالله:

قرع الكئوس بأفواه القوازيز
حتى تملأ من أحشاء موخوز
تفاح خدّ، بخال الخد، مغروز
وطرزته بحسنٍ أيّ تطريز
في مهرجان نخاديه ونيزوز
يغب في ذهب قد ذاب، إبريز
فميز الصفو منه أيّ تمييز
بصارم من سيوف النور مهزوز
عنيتي، فارجي باللوم أو جوزي
وأي غصنٍ نضير غير مغموز
وليس رأسي عن حزمي بمحجوز

يا صاح يشغل قلبي عن عوانله
أصغى بإبريقه من تحت ميزلها
يضاحك الأفيوان الغض في فمه
كأن ديباجةً من خده نُشرت
فنحن منه ومن أيامه أبداً
إذ لا يزال من الفتیان ذو طرب
دام عليه هجير الشمس يسكبه
تقارع الماء في الأقداح إذ مزجت
وزادت سخطٍ على الأرزاق قلت لها
لا خير في ماجدٍ يهدى عوانله
لا يقعد السكر عزمي عند نهضته

وقال الأمير تميم:

يا رب ليلٍ من ليالي الكوز
قطعته بعائقٍ عجوز
معشوقة المخبر والبروز
أذناها حر لظى تموز
حتى بدت كالذهب الإبريز
أرق من فهمي ومن تمييزي

حرف السين

قال أبو نواس:

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا
مساحبٌ من جر الزقاق على الثرى
حبست بها صحبي فجددت عهدهم
ولم أدر من هم غير ما شهدت به
أقمنا بها يوماً، ويوماً، وثالثاً
تدار علينا الراح في عسجدية
قراراتها كسرى وفي جنباتها
فللخمر ما زرت عليه جيوبها

بها أثرٌ منهم جديداً ودارسُ
وأضغات ریحانٍ جنيٍّ ويابس
وإني على أمثال تلك لحابسُ
بشرقي سابط الديار البسابس
ويوماً له يوم الترحل خامس
حبثها بأنواع التصاوير فارسُ
مهاً تدريها بالقسي الفوارس
ولماء ما دارت عليه القلانس

وقال:

نبه نديمك قد نعس
صرفاً كأن شعاعها
مما تخير كرمها
تذر الفتى وكأنما
يدعى فيرفع رأسه
يسقيكها ذو قرطقٍ
خنت الجفون كأنه
أضحى الأمير محمد
ورث الخلافة خمسةً

يسقيك كأساً في الغلس
في كف شاربها قبس
كسرى بعانة واغترس
بلسانه منها خرس
فإذا استقل به نكس
يلهي ويُعجل من حبس
ظبي الرياض إذا نعس
للدين نوراً يقتبس
وبخير يضحك إن عبس

ابن وكيع:

غرّد الطيرُ فنبه من نعس
سل سيف الفجر من غمد الدجي
وبدا في حُلّ فضية

وأدر كأسك فالعيش خلّس
وتعري الصبح من قُمص الغلس
مالها من ظلمة الليل دنس

فاسقني من قهوة مسكية

في رياضٍ عنبريات النفس

وقال:

قم فاجعل اليوم حُسناً

ولذةً مثل أمسٍ

مرة المرء سعدٌ

والهمُّ طالع نحسٍ

فقم أدرها علينا

صفراء في ثوب ورسٍ

يحكى الحباب عليها

غمامة مثل شمسٍ

وقا تميم:

حبذا طيبٌ يومنا المأنوسِ

بين شدو الغنا، وحثُّ الكئوسِ

من مدامٍ بها يعيش التصابي

وتُدأوى مُعللات النفوسِ

غربت في الشفاه ماء ولكن

طلعت في الخدود مثل الشموس

وكان النجوم في غسقٍ

الليل جُمان يلوحُ في آبنوس

وقال بشار:

قومي اغبيني فما صيغ الفتى حجراً

لكن رهينه أحجار وأرماسٍ

اليوم خمراً ونغدو في غدٍ خبراً

والناس ما بين إنعامٍ وإيأسٍ

روِّي عظامي لكي أنفي الهموم بها

لا يصحب الهم قرع السن بالكاس

علي بن جبلة:

دع الدنيا فللدنيا أناسُ

ألذُّ العيش إبريقٌ وطاسُ

وصافية لها في الرأس لينٌ

ولكن في النفوس لها شماسُ

كأن يد النديم تديرُ منها

شعاعاً لا يحيط عليه كاسُ

معتقة إذا مزجت أضاءت

فأمكن قابساً منها اقتباس

تخال بعين شاربها نعاساً

وليس سوى المدام به نعاسُ

عبد الله بن المعتز:

سقاني الخمر من يده سُحيراً

وفي أجفانه مرضُ النعاس

ويسراه مقرطقةً بكوزٍ

ويُمناه متوجةً بكاسٍ

وقال:

غدوت إلى كاسٍ ورحت إلى كاسٍ
ومشّته بالبدر في أعين الورى
سقاني خمراً من يديه ولحظه
إذا جاد لي عند الخِلاس بقبلةٍ

ولم أر فيما تشتهي النفس من باسٍ
من الناس إلا أنه أملحُ الناس
فأسكرني سكرين من بين جُلّاسي
وجدتُ لها برداً على حر أنفاسي

وقال تميم:

ناولتها شبه خديها معتقةً
فقبلتها وقالت وهي ضاحكةٌ
قلت اشربي إنها دمعي وحمرتها
قالت إذا كنت من حبي بكيت دماً
يا ليلةً بات فيها البدر معتقي
وبت مستغنياً بالثغر عن قدح

خمرأ كأن سناها ضوءٌ مقياسٍ
وكيف تسقي خدود الناس للناسِ
دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
فسنيتها على العينين والراسِ
وباتت الشمس فيها بعض جُلّاسي
وبالخدود عن التفاح والآسِ

ابن المعتز:

وعاقد زنار على عُصن الآس
سقاني عقاراً صبب فيها مزاجها

مليح دلال مُخطف الكشح مياس
فاضحك عن ثغر الحباب فم الكاس

وقال:

اشرب فقد دارت الكؤوسُ
في كل يومٍ جديدٍ روضٍ
ومأتم في السماء بيكي

وفارقت يومك النحوسُ
عليه دمعُ الندى حبيسُ
والأرض من تحته عروسُ

الصنوبري

يا نديمي دع المكاس وهاك
لم تشعشع في الكأس إلا كستنا
هاكها عُصفرية اللون إلا

الراح خذها ولات حين مكاس
حلاً من شعاعها في الكاسِ
أنها عنبرية الأنفاس

الأمير تميم:

قد دعانا إلى الصبا الناقوسُ
حين حنّت إلى الصباح النفوسُ

ورداء الهواء قد رقَّ حتى
وكأن الصباح والليل لمَّا
حبذا الراح كلما شيع الراح
واستحث الكئوس وهي صباحٌ
كاد يخفى نسيمه المحسوس
أسفر الفجر أسعد ونحوسُ
بألحاظه الغزال الأنيس
وسقانا المدام وهي شمسُ

وقال:

طاب شربُ الخندريس
بسماع يخلق اللذات
من وجوه زهراتٍ
ومعاطاةُ الكئوسِ
في سرِّ النفوس
لم تكدر بعُرس

علي بن جبلة:

وشمولٍ أرقها الدهر حتى
وردة اللون في خدود الندامى
وكأن الشعاع منها على الكف
لطفت فاغتدت تحل من
ما تُوارى قذاتها بلبوس
وهي صفراء في خدود الكئوس
جسادٌ على مزال عروس
الأجساد، من لطفها، محل النفوس

حرف الضاد

قال عبد الله بن المعتز بالله:

ذهب كئوسك يا غلام
والجو يُجلى في البيضا
ورد الربيع ملون
فإن ذا يومٍ مفضض
وفي حُلَى الكافور يُعرض
والورد في كانون أبيض

وقال أيضاً:

كأنما الغيم لما حثَّ أوله
كأنما الشربُ والساقى يحنهم
مضارب الحيِّ تعلو ثم تتخفض
طبيب رفق وأقوامٌ بهم مرضُ

وقال:

ألا يقساني والظلامُ مقوض
كأن الثريا في أواخر ليلها
ونجم الدجى في حلبة الليل يركضُ
تفتح نورٍ أو لجامٍ مفضضُ

وقال:

لا شرب إلا بكفَّ جارية
ذات دلال في طرفها مرضُ
كأن في الكأس حين تمزجها
نجوم رجمٍ تعلقو وتتخفضُ

حرف العين بخلو الطاء والظاء

قال عبد الله بن المعتز:

ورضيعٍ راضعت في كبر
السنِّ فأضحى أخواً لديّ مطاعاً
لم يكن بيننا رضاع ولكن
صيرت بيننا الكئوس رضاعاً

تميم:

الراح أجمع للسرور وأنفع
في مثل ذا اليوم الذي يتلمع
صحو وغيمٍ في سماءٍ أصبحت
وكأنها بهما غراب أبقع
يومٌ كأن الريحَ في أرجائه
لحفٌ مشققةٌ تمرُّ وترجعُ
فاشرب فذا وجه الرياض مرصع
واطرب فذا وجه السماء مُجزع

وقال ابن بسّام:

أما ترى الليل قد ولّت غياهبه
وعارض الفجر بالإشراق قد طلعا
فاشرب على وردة "حمراء قد" قدّمت
كأنها خد ريمٍ ريم فامتنعاً

وقال ابن المعتز:

وراهبةٍ أفنت قروناً وأعصرا
لها برنس قارٌ ورأس مقنّع
ظفرنا بها في الدنِّ بكرةً وبينها
وبين قطاف الكرم عاد وتبع
فلما استقرت في الزجاج حسبتهما
سنى البرق في داجٍ من الليل يلمعُ
وساقٍ له سبعٌ وسبعٌ كأنه
هلالٌ "له" خمسٌ وخمسٌ وأربع
تناقلها منها كأنها
نجومٌ على أيدي المديرين وقَعُ
إذا قرعوها بالمزاج رأيتها
عليهنّ أحياناً تغيب وتطلع
فبتنا وبيتنتا الهوى في إنائها
خليط مقيم لا خليط مودّع

وقال:

بشمسٍ عقارٍ في الزجاجاة تطلع
أقوم إلى برِّ النديم فأركع

وشمس نهار قد سبقت طلوعها
فما انبلج الإصباح حتى رأيتني

وقال أبو نواس:

ولي إمرةٌ أعصي بها وأطيع
وجمعت منه ما أضاع مُضيع
ولا قلت للخمار كيف تبيعُ
ويرحل عرضي عنه وهو جميع

أعاذل إن اللوم منك وجيع
كفيت الصبا من لا يهش إلى الصبا
أعاذل ما فرطت في جنب لذة
أسامحه، إن المكاس "ضراعة"

وقال أيضاً:

عُطل من لهوٍ، ولا ضُيعا
تريد في ذا اليوم أن تصنعا
تسرع في المرء إذا أسرعا
للهم شيئاً مثلها مدفعا

ما مثل هذا اليوم في حسنه
فما ترى فيه، وما الذي
هل لك أن تغدو على قهوة
ما وجد الناسُ ولا جربوا

حرف الغين

قال الشاعر:

في الجسم هبَّت هبَّ صِلِّ لادغ
يجدون رياً في إناءٍ فارغ

صفراء تُطرق في الزجاج فإن سرت
خفيت على شرابها فكأنما

حرف الفاء

قال أبو نواس:

جلت مآثرها عن الوصفِ
حتى إذا آلت إلى النصفِ
حيِّ الحياة، مشارف الحتفِ
كتنفس الريحان في الأنفِ
ناهيك من حسن ومن ظرفِ

ومدامة تحيا النفوس بها
قد عُنَّت في دنها حقبا
سلبوا قناع الدنِّ عن رمقِ
فتنفست في البيت إذ مزجت
من كف ساقيةٍ مقرطقةٍ

نظرت بعيني جؤذِرِ خرقِ
فشربت من يدها ومن فمها
قالت وقد جعلت تمايلُ لي
وجهي إذا أقبلت يشفع لي

وقال علي بن وكيع:

أما ترى الليل كيف قد خرفا
وأقبل الفجر في عساكره
فقم بنا نصطح مشعشعةً
إذا علت في اللبيب سورتها
كأنها في الكئوس إذ جليت
أغضبها الماء حين خالطها
در حبابٍ يود مبصره
وإن سرت والظلام معنكرٌ

وتلفتت بسوالف الخشفِ
ورشفت منه أطيب الرشفِ
كتمايل الماشي على الدفِ
وبلاءُ قلبك حسنٌ ما خلفي

وستر نور الصباح قد كشفنا
وظل والي الظلام قد صرُفا
تُشرِّدُ الهمَّ أينما ثقفا
أنكر من حكمه الذي عرفنا
من عسجدٍ رقَّ لونهُ وصفا
فأزبدت في كئوسها أنفا
لو كان يوماً لأذنه شنفا
كان من الشمس نورُها خلفا

مع رشياً تمَّ في ملاحظته
يهزُّ قلبي اهتزازَه حذراً
يهزُّ قلبي اهتزازَه حذراً
يزينه في قوامه هَيْفٌ
خاف احتراقاً بنارٍ وجنته
لا أشرب الراح حين تحضرني

وقال تميم:

تخاله من رشاقه ألفا
أخاف ينقدّ من رشاقه ألفا
أخاف ينقدّ قدّه قصفا
خادع قلبي على النهي فهفا
عذاره حين ظل منعطفنا
حسبي خمراً بطرفه وكفا

وساقٍ يدير على إلفه
عُقاراً كخديه محمرها
تحملت من حبه فوق ما

لهيباً من النار في كفه
وإسكارها كظبا طرفه
تحمل خصره من ردفه

وصيرت نُقْلي على كاسه

شِفَاءَ شِفاهي في رشفه

وقال ابن المعتز:

عاطِ المدامة إخواناً تُسرُّ بهم

فما لهذين إن فاتاك من خلفِ

وسامح القوم، واشرب ما سقوك فإن

سقوك صرفاً فقد قالوا لك انصرف

وقال:

وندمان سقيت الراح صرفاً

وأفق الليل مرتفع السجوف

صفت وصفت زجاجتها فجاءت

كمعني دقَّ في ذهنٍ لطيفِ

وقال:

بشَّرَ بالصبح طائرٌ هتفا

مستعلياً للجدارِ مشترفا

مذكرا بالصبوح صاح بنا

كخاطبٍ فوق منبرٍ هتفا

صفقَ إما ارتياحه لسنا أسفا

الفجر وإما على الدجى

فاشرب عُقاراً كأنها قيسٌ

قد سبك الدهرُ تيرها فصفا

يدمى لِثامُ الإبريق من دمها

كأنه راعفٌ وما رعفا

وقال:

بنفسي مستسلمٌ للرُقَادِ

يكلمني السُّكْرُ من طرفه

سريعٌ إلى الأرض من جنبه

بطيءٌ إلى الكأس من كفه

قال تميم:

هزني للصبوح صبحٌ تبدى

من خلال الدجى كغرة طرف

ونسيمٌ مُضَمَّخٌ بعبير الروض

يُحيي من الخمار ويشفي

خذلته القوى وحركه الحرُّ بليين

من الهواءِ ولُطْفُ

هو برد على جوى كل قلبٍ

وعبيرٌ يفوح في كل أنفٍ

كلما هبَّ هبَّ فينا نشاطٌ

وارتياح لكل عزفٍ وقصفٍ

"و" كأن الهلال في الغرب يحكي

متوفىً دعا به المتوفي

وكان السحاب إذ نثر القطر

محبٌ يبكي على بين إلفٍ

فأديرا المدام صرفاً وإلاً
في كنوس تكاد تخطئها الأ

وقال كشاجم:

فاسقياني إن شئتما غير صرف
عين لحظاً من رقة المستشف

بات يعاطيني على حسنه
وكان فيما بين دار بها

خمرأ بعينيه ومن كفه
أذنيته خلخاليه من شنفه

وقال:

ألا سقنيها قد مشى الصبح في الدجى
فناولني كأساً أضاءت بنانه
ولما أريناها المزاج تسعرت
يطوف بها ساق من الإنس شادن
عليمٌ بالحاظ المحبين حاذق
فظل يناجيني بتقليب طرفه

عقاراً كلون النار حمراء قرقفا
تدفق ياقوتاً ودرأً مجوفا
فخلت سناها بارقاً قد تكشفها
يقلب طرفاً فاتر اللحظ مُدنفها
بتسليم عينيه إذا ما تخوفا
بأطيب من نجوى الضمير وأطفا

وقال:

سقى الله نهر الكرخ ما شاء ديمة
منازل لهو لا "كجر" سويقة
تدور علينا الراح من كف شادن
كأن سلاف الخمر من ماء خده
أتعدلني في يوسف وهو من ترى

فإني بها حتى الممات مُكلف
وعرفان "لا زالت بها الجن تعزف
له لحظ عين يشتكي السقم مُدنف
وعنقودها من شعره الجعد يُقطف
ويوسف أبلاني ويوسف يوسف

وقال الخليل:

ونديم حلو الشمائل كالدينار
لم أزل بالخداع مني أفديه
قلت عبد العزيز يا بأبي أنت
هاكها قال: هاتها قلت: خذها

محض الخدود عذب مصفى
وقد قام مائلاً يتكفى
فلبى، فقلت: لبيك ألفا
فثنى كفه إليها وأغفى

وقال ابن وكيع:

هناك الفجر عن سنا الصبح سجفا

يا نديمي فسقني الراح صرفا

في رياض إن هبَّ منها نسيمٌ
تستفيد القلوب إن هبَّ يوماً

رشفته القلوب بالسَّمِ رشفاً
قوة منه كلما ازداد ضعفاً

آخر:

إذا ما تسلفنا من الكرم لذةً
وصرعة مخمورٍ رفعت بقرقفٍ
نموت ونحيا تارةً بعد تارةٍ

تقاضى الكرى منا الذي نتسلف
وقد صرعتني قبل ذلك قرقف
فتخلفنا أيدي المدام ونتلف

وقال أبو نواس:

غاد المدام بكفٍ ظبيٍّ أهيف
مشيت العُقار بوجنتيه فأبدت
ثقلت عجيرته وأرهف خصره
فالق الحرام إذا التقيت بمثله
وارتك مقال الناس عنك بمعزل

يسقيكها صرفاً وغير مصرف
للعين ورد حديقةٍ لم تقطف
لا بالرقيق ولا السمين المسرف
وامزج سلافة ريقه بالقرقف
وإذا مررت بربع قصف فاقصف

وقال:

وربَّ ندامى أوردتني أكفهم
بحمراء قبل المزج صفراء بعده
فلما تقضى الليل إلا حُشاشةً
وصلنا صبوحةً بالغبوق تحتنا

حياض سرورٍ من معتقةٍ صرف
رقاق حواشيها تجل عن الوصف
وضوء نهارٍ في بقاياه مستخفي
على الشرب أنواع اللذاعة والقصف

وقال ديك الجن:

أما ترى راهب الأسحار قد هتفا
أوفى بصبغٍ أبي قابوس مفرقه
مُشنفًا بعقيق حول مذبحه
كأنما التف في هُداب راهبةٍ
لما أراحت رعاة الليل عارية
هز اللواء على ما كان من سنةٍ

وحت تغريده لما علا الشعفا
لوجهه التاج لما عوليت شرفا
هل كنت في غير أذن تعقد الشنفا
يستوحش الأُنس إلا يبعه أنفا
من الكواكب كانت ترتعي السدفا
واهتز ثم علا، وارتح ثم هفا

مرنحٌ قد علا تطريبه وصفا
كالحي صيح صياحاً فيه فاختلفا
حتى ترى نائماً منهم ومنصرفا
والظبي ملتفتاً والغصن منعطفا
باللحظ أو بالمنى هما بأن يكفا
واختط كاتبها من فوقها ألفا
خلالنا أو كنارٍ صادفت سعفا
وضوءٍ وجنته ما عمنا وكفى
نوباً من الدر رسوا فوقه صدفا
خمسٍ وعشرٍ وما استعلى وما لطفا
وخلت أن نديمي عاشر الخُفا

ثم استمر كما غنى على طرب
إذا استهل استهلته حوله عُصبٌ
فاصرف بصرفك وجه الماء يومك ذا
فقام ملتحقاً كالبدر مطلعاً
رقت غلالةٌ خديه فلو رميا
كأن قافاً أُديرت فوق وجنته
فاستل راحاً كبيض وافقت حجنا
فكان في ضوئها، إذ قام مصطبحا،
صفراء أو قل ما اصفرت فأنت ترى
فلم يزل في ثلاثٍ واثنين وفي
حتى حسبت أنوشروان من خولي

الصنوبري:

ألفاً من صباك خير أليف
ومستقبل الزمان اللطيف
مضيعٌ لها أو ان الخريف
يوجب القصف أو وداع مصيف
ورداء من الهواء خفيف
لمسته يد النسيم الضعيف
وكفتنا جور الزمان العنيف
يتراءين من خلال السجوف
والناظرُ من غنجه بعين النزيف
وأباريقنا كركبٍ وقوف
العود يلوم السقاة في التطفيف
وسواقٍ تُسلُّ سلَّ السيوف

وجه الصرِّف في وجوه الصروف
إنها دولة الرياحين والراح
ما قضى في الربيع حق الفتوات
نحن منه على تلقي شتاءٍ
في قميصٍ من الزمان رقيقٍ
يرعد الماء منه خوفاً إذا ما
سكنت فورة الهواجر عنا
في ليالٍ نجومها كالعدارى
أيهذا الصاحي من الوجد
ما لأقداحنا كرحل حيارى
أوفٍ كاساتنا ألتت ترى
بركٌ توصف الجواشن فيها

وغصون يخفقن فوق رياضٍ

خفقان الأعلام فوق الصفوف

عبد الله بن ذكوان:

وعذراء بكرٍ في الصباح افتضضتها

وحادي الدُّجى ينعي الظلام ويهتف

وقلت لأصحابي اشربوها فإنني

بأمثالها رحب اليبدين مكلفٌ

فما نور الإصباح حتى رأيتهم

سكارى وبعضٌ بعضهم ليس يعرفُ

فلما أفاقوا قلتُ عودوا لمتلها

فعادوا فظلت كأسهم تتلقف

سرت فيهم راحٌ عقارٌ سلافةٌ

يظلُّ أخوها بالأنامل يزحف

إذا صدمته الكأس ظلَّ كأنه

أميرٌ على أعواده يتشرَّفُ

حرف القاف

"قال ابن المعتز":

أتاني والإصباح ينهضُ في الدجى

بصفراء لم تفسد بطبخٍ وإحراقٍ

فناولنيها والثريا كأنها

جنى نرجسٍ حيا الندامى به الساقى

الأمير تميم:

شربنا على نوح المطوِّقة الورقِ

وأردية الروض المفوفةِ البلقِ

معتقةً أفنى الزمانُ وجودها

فجاءت كفوت اللحظِ أورقة العشقِ

إلى أن تولى النجمُ وهو مغربٌ

وأقبلن رايات الصباح من الشرقِ

كأن السحاب الغر أصبحن أكوساً

لنا وكان الراح فيها سنى البرقِ

كأن سواد الليل والصبح طالعٌ

بقية لطح الكحلِ في الأعين الزرقِ

ابن المعتز:

أباح عيني لطول الليل والأرقِ

وصاح إنسانها في الدمع بالغرقِ

ظبيٌّ مُخلى من الأحزان أودعني

ما يعلم الله من حزن ومن قلقِ

كأنه وكان الكأس في فمه

هلال أول شهر عبٍّ في شفقِ

وقال:

وحمرَاءَ قَبْلَ المَزْجِ صَفْرَاءَ بَعْدَهُ
حَكَتْ وَجَنَةَ المَعشُوقِ صَرْفَاءً فَسَلَطُوا
وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ لَمْ يَغْتَرِرْ بِهَا

وقال:

أَنْتِ بَيْنَ ثُوبِي نَرَجِسٍ وَشَقَائِقِ
عَلَيْهَا مَزَاجاً فَأَكْتَسَتْ لَوْنَ عَاشِقِ
وَبَادِرَ بَالذَّاتِ قَبْلَ العَوَائِقِ

وَنَدْمَانٍ دَعَوَتْ فَهَبَّ نَحْوِي
كَأَنَّ بِكَاسِهَا نَاراً تَلْظِي
كَأَنَّ غَمَامَةَ بِيضَاءَ بَيْنِي

وقال أبو نواس:

وَسَلْسَلَهَا كَمَا انْخَرَطَ العَقِيقُ
وَلَوْلَا المَاءُ كَانَ لَهَا حَرِيقُ
وَبَيْنَ الرَّاحِ تَحْرِقُهَا البُرُوقُ

وَكَأْسٍ مَدَامَةٍ فِي كَفِّ سَاقِ
بَلُونِ رِقِّ حَتَّى كَادَ يَخْفَى
أَنْتِ مِنْ دُونِهَا الأَيَّامُ حَتَّى

وقال ابن المعتز:

تَضِيءُ اللَّيْلَ مَضْرُوبِ الرِّوَاقِ
عَلَى عَيْنِي، وَطَابَ عَلَى المَذَاقِ
عَدَمْنَا جِسْمَهَا وَالرُّوحَ بَاقِ

قَمَرِ طَالِعٍ وَرُوضِ أُنَيْقُ
وَكَئُوسٍ كَأَنَّهُنَّ قَشُورِ
وَحَنِينِ الأُوتَارِ حِينَ هَذَا اللَّيْلِ

آخر:

وَغِنَاءِ حَلَوِّ وَزَمْرٍ رَقِيقُ
اللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ حَشْوُهُنَّ بَرُوقِ
وَطَابَتْ لِسَامِعِيهَا الحَلُوقِ

وَمَغْرَمٍ بِاصْطِبَاحِ الرَّاحِ بَاكِرِهَا
فَكَلَّ كَفٌّ رَأَاهَا ظَنُّهَا قَدْحاً

ابن وكيع:

فِي فَتْيَةٍ بِاصْطِبَاحِ الرَّاحِ حُدَاقِ
وَكَلَّ شَخْصٍ رَأَاهُ ظَنُّهُ السَّاقِي

وَشَمْسٍ سَلَافِ كَأَنَّ العَبِيرِ
تَتَاوَلَهَا مِنْ يَدِي صَاحِبِي
فَكَانَ لَهُ فَمُّهَا مَغْرِباً

وقال:

مِنْ رِيحِ فَائِحِهَا اسْتَنْشِقَا
وَتُوبِ دَجَا اللَّيْلِ قَدْ أَخْلَقَا
وَكَانَ لَهَا خُدُّهُ مَشْرِقاً

قَمِ فَاسْقِنِي صَافِيَةً

تَهْتِكِ سِتْرَ الغَسَقِ

أما ترى الصبح بدا
في ثوب ليلٍ خلقِ
أما ترى جوزاءه
كأنها في الأفقِ
منطقةٌ من ذهبٍ
فوق قباءٍ أزرقِ

وقال:

وصفراء من ماءِ الكروم كأنها
فراقٌ عدوٌّ أو لقاءٌ صديقِ
كأن الحباب المستدير بطوقها
كواكب درٌّ في سماء عقيقِ
صببت عليها الماء حتى تعوضت
قميص بهارٍ من قميص شقيقِ

وقال:

سُكرانٍ ما أنا منهما بمفيع
ما عشت، سكرٌ هوىٌّ وسكرٌ رحيقِ
قم يا غلامٍ أدِر مدامك بيننا
بالجام والطاسات والإبريقِ
لا سيما والريِّح تحمل نحونا
أنفاس مسكٍ في الرياض فتيقِ

والطلُّ من فوق الشقيق كأنه
دُرٌّ نثرنٌ على بساط عقيقِ

ابن المعتز:

من أعان الهموم والدهر
والبين على نفسه بحزنٍ وضيقِ
فأنا أدفع البلية عني
بثلاثٍ رواتقٍ للفتوقِ
فالرزايا ليست تداوى بشيءٍ
كمدام وقينةٍ وصديقِ

عديّ بن زيد:

بكر العاذلون في فلق الصبح
يقولون لي ألا تستفيقِ
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله
والقلب عندكم موهوقِ
لست أدري إذ أكثروا من ملامي
أعدوٌ يلومني أم صديقِ
ثم نادوا إلى الصبوح فقامت
قينةٌ في يمينها إبريقِ
قدمته على عقار كعين الديك
صفى سلافها الراووقِ
مزةٌ قبل مزجها، فإذا ما
مُزجت لذَّ طعمها من يذوقِ

الحسين بن الضحاك:

وأبيض في حمر الثياب كأنه
سقاني بكفيه رحيقاً وسامني
تصرم إدلاجي وقلّ تروحي
وكنت وما أنفك بين دساكرٍ
إذا عبّ في الصهباء راعك خدّه

إذا ما بدا نسرينه في شقائق
فسوقاً بعينيه ولست بفسقٍ
إلى كاسٍ راحٍ أو نديمٍ موافقٍ
أباكرٍ رقرقاً على وجه رائقٍ
بصفحةٍ بدرٍ عبّ في ضوءٍ بارقٍ

وقال:

ألا غنياني قبل أن ننفرقا
فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح الدجى

وهات اسقني صرفاً شراباً مروقا
وهمّ قميص الليل أن يتمزقا

وقال الصنوبري:

قم فاسقني راحاً نسيها
شقتّ قناع الليل لما غادرت
صبغت سواد دجاء حمرةً لونها
ولقد أقول لصاحبني ألا صلا
إن الرفات هو الرحيق وإنما

مسكاً تضوع في الإناء فتيقا
كفّ النديم قناعها مشقوقا
فكأنه سبجٌ أعيد عقيقا
لي بالصبوح على الرفات غبوقاً
يتعاطيان على الرحيق رحيقا

وقال آخر:

وسلافة كدم الغزال كأنما
باكرتها لما انجلى غسق الدجى
وإذا بها الساقى أشار منازلًا

مزجت بماء الورد والدرياق
وظلامه عن سائر الآفاق
خلت الثريا في يمين الساقى

وقال آخر: نور تحدر من فم الإبريق=في ريح كافور ولون عقيق

صبغ الظلام ضياؤها لما بدت
فكأنها سبجٌ رمى بثيابه
وكأنها وشعاعها متطايرٌ

أستاره بلوامع وبروق
ثم ارتدى منها بثوب شقيق
والماء يطفئها ضرام حريق

وقال آخر:

لا شيء أحسن في الدنيا ولذتها

من عاشق قد خلا فرداً بمعشوقٍ

نفسى الفداء لظبي بات يسعدني

ليلاً على قبض أرواح الأباريقِ

حرف الكاف

قال ابن المعتز:

عاذلي في المدام لا أرضيكا
لا تسم المدام إن لمت فيها
فاسقينا يا ساقينا عقاراً
وإذا الماء شجهاً خلت فيها
إن جهلاً ملاماً من يعصيكا
فتشيين اسمها المليح بفيكا
بنت عشر تخال فيها السبيكا
لؤلؤاً فوق عسجدٍ مسبوكا

وقال ابن وكيع:

يقول الناس قد تبت من الراح وحاشاكا
إذا تبت من الراح فقد طلقت دنياكا

وقال:

قم فاسقني قهوة إذا انبعثت
كأن أيدي الرياح قد نسجت
في باخلٍ جاد بالذي ملكه
لنا على "سطح" مائه شبكة

وقال:

فتك الصبح بالظلام فقم أنت فافتك
واشرب الراح خالعاً
إنما العيش كله
ما ترى الصبح قد بدا
لثياب التنسك
في الصبا والتهنك
في قميصٍ ممسكٍ

ابن المعتز:

أديرا علي الكأس ليس لها الترك
وخلوا فتى باللهو والكاس مغرماً
ويا لائمي، لي فتنتي ولك النسك
فما عنده سمع، فهل عندكم ترك

ديك الجن:

وقنان زواهر هن بالشمس
من الشمس بالقلائد أحكا

يتبسمن قائماتٍ صفوفاً
قلتُ خذها وعاطنيها سلافاً
فإذا ما ركعن قهقهن ضحكا
ذهباً في الزجاج يُسبك سبكا

وقال آخر:

ومشمولةٍ صاغ المزاج لرأسها
جرت حركات الدهر فوق سكونها
يطوف بها ساق نبيلٌ بميزلٍ
وحُمْلُ آذريونةً فوق أذنه
وأدرك منها الآخرون بقيةً
فردت علينا الشمس ترفل في الدجى
إذا سكنت قلباً تروّح همُّه
وما المُلْكُ في الدنيا بهمٍّ وحسرةٍ

الحسين بن الضحاك:

ساقٍ ترى الشمس فوق راحته
أعطيه مشمولةً فيأخذها
كأنما نُصب كأسه قمرٌ
والليل في لجةٍ من الحلك
أخذَ عزيز أوفى على دركٍ
يكرع في بعض أنجم الفلك

حرف اللام

قال أبو نواس:

وخيمة ناطور برأس منيفةٍ
وضعنا بها الأتقال قبل هجيرةٍ
حلبتُ لأصحابي بها دُرّة الصبا
إذا ما أنت دون اللهاة من الفتى
فلما توفى الشمس جنحٌ من الدجى
وأنزلت حاجاتي بحقوي مساعدٍ
وعاطيت من أهوى الحديث كما
تهم يدا من رامها بزليل
عبورية تُذكى بغير فتيلٍ
بصفراء من ماء الكروم شكولٍ
دعا همُّه من صدره برحيل
تصابيت واستجھلتُ غير جهولٍ
وإم كان أدنى صاحبٍ ودخيلٍ
بداو ذللتُ صعباً كان غير ذليلٍ

فغنى وقد وسدت يسراي خدّه
كفى حزناً أن الجواد مقتراً

وقال:

ألا ربما طالبت غير مُنيل
عليه ولا معروف عند بخيل

يارب صاحب حانةٍ قد رُعتُهُ
ولها دبيب في العظام كانه
مما تخيره التجار، ترى لها
عبقت كفوفهم بها فكأنما
تسقيها كفُّ إليك حبيبةٌ

وقال:

فبعثته من نومه المتزمل
قبض النعاس وأخذه بالمفصل
قرصاً إذا ذيقت كطعم الفُلُلِ
يتنازعون بها سخاب قرنفلٍ
لا بدّ، إن بخلت وإن لم تبخلِ

كان الشبابُ مطيةَ الجهل
كان الجميل إذا ارتدبت به
كان الفصيح إذا نطقتُ به
كان المشفع في مآربه
والباعثي والناس قد رقدوا
والكأس أهواها وإن رزأت
صفراء مجدها مرابها
ذخرت لآدم قبل خلقتَه
فأتاك شيءٌ لا تلامسه
فإذا علاها الماءُ ألبسها
حتى إذا سكنت جوامحها
خطين من شتى ومجتمع
فاعذر أخاك فإنه رجلٌ

وقال:

ومحسن الضحكات والهزلِ
ومررت أخطر صيِّت النعلِ
وأصاغت الأذان للمُملِي
عند الفتاة ومدرك التبلِ
حتى أبيت خليفة البعلِ
وفر المعاش وقللت فضلي
جلت عن النظراء والمثلِ
فتقدمته بخطوة القبلِ
إلا بلطفٍ غريزة العقلِ
حبيباً شبيهه خلاخل الحجلِ
كتبت بمثل أكارع النملِ
غفل من الإعجام والشكلِ
مرنت مسامعه على العذلِ

واسقنيها رقيقة السربالِ

لا تُعرِّج بدارس الأطلالِ

مات أربابها وبادت قُراها
وبراها الزمان بري الخلال
فهي بكر كأنها كلُّ شيءٍ
حسن طيبٍ لذيدٍ زلالٍ
عنتت في الدنان حتى استعارت
نور شمس الضحى ويرد الظلال

ولعمرُ المدام إن قلت فيها
إن فيها لمسرحاً للمقال

وقال:

وخمرٍ سبها التجر من أرض بابلٍ
كرفةٍ ماء الحسن في الأعين النجل
إذا مزجت بالماءٍ خلت حبابها
عيون الدبا من تحت أجنحة النمل
إذا ما تحساها النديم رأيتَه
خلياً من الأحزان مجتمع الشمل

وقال:

وخذريس باكرتُ حانتها
فدرَّ عرقٌ على ترائبها
وبتُ أسقى ومن كلفتُ به
فودجوا خصرها بمبزالٍ
كأن مجراه فتلُّ خلخالٍ
سلافةً صَفَّقت بسلسالٍ

وقال ابن وكيع:

أعفٍ قلبي من العتاب
وسمعي من العذل
فبه عن جميع من لام
في لذة ثقل
واسقتي أو ترى خضاب دجى الليل قد نصل
من سلافٍ كأنها

ليس إلا بها يتم السرور منها لمن عقل
دولة للسرور ناهيك عن سائر الدول
فاجلها في موردياتٍ وصفيرٍ من الحُلل
إنما العيش فرصة
فانتهاز فرصة الأمل

وقال:

اسقني الراح برغم العاذلِ
قهوة تفسدُ عقل العاقل

اسقني حتى تراني جاهلاً
مسلك الحق شديد فازوني

إن ألقى العيش عيش الجاهل
عنه واسلك بي طريق الباطل

وقال:

علل فؤادك فالدنيا تعاليل
ولا يصدنك عن أمرٍ هممت به
قم فاسقني النص مما حرموه ولا
عروس كرم أنت تختال في حُللٍ
كأنها بأكف القوم إذ جليت
في فتية جعلوا للهو طاعتهم

لايشغلنك عن اللهو الأباطيلُ
من العواذل لا قال ولا قيلُ
تعرض لما كثرت فيه الأقاويل
صفر على رأسها للمزج إكليل
ذوب من الذهب الإبريز محلول
فما لهم عن طريق اللهو معدول

وقال:

لا تقبلن من الرشيد كلامه
ودع التزهد والتجمل للورى

وإذا دعاك أخو الغواية فاقبل
فالعيش ليس يطيب للمتجمل

وقال ابن المعتز:

ألا علاني قبل أغبر مظلم
رأيت الفتى إن مات يورث ماله
ذراني أنعم في الحياة معيشتي

بعيد من الخلان من هو نازله
وتتكح أزواجاً سواه حلاله
وآكل مالي قبل من هو آكله

وقال تميم:

سقياني فلست أصغي لعذل
أطيع العذول في ضد ما
عللاني بها فقد أقبل الليل كلون
وانجلى الغيم بعدما أضحك الروض
عن هلال كصولجان نضار

ليس إلا تعلقة انفس شغلي
أهوى كأنني اتهمت رأبي وعقلي
الصدود من بعد وصل
بكاء السحاب فيه بوبل
في سماء كأنها جام ذبل

وقال ابن المعتز:

سقى الله في "غمى" بقية منزل

ترامت به أيدي جنوب وشمأل

ألا رب يوم فيه قصر طوله
معي كل مجرور الرداء سميذع
فإن تطلبينه تقتنصه بحانة
فلمست تراه سائلاً عن خليفة
ولا صائحاً كالعير في يوم لذة
ولكنه فيما عناه وسرّه

آدم بن عمر بن عبد العزيز:

دم الزقّ منزوفا بهات وعجل
جواد بما يحويه غير مُبخل
وإلا ببستان وكرم مُظلل
ولا قابلاً من يعزلون ومن يلي
يناظر في تفضيل عثمان أو علي
وعن غير ما يعنيه، ناء بمعزل

هاك فاشربها خليلي

قهوة في ظل كرم

عتقت حولاً وحولاً

في لسان المرء منها

قل لمن يلحاك فيها

إن تدعها، ترجُ أخرى

تبق بين الباب والدار

ابن أبي سلمة:

في دجى الليل الطويل
سبئت من نهر "بيل"
بين كرم ونخيل
مثلب طعم الزنجبيل
من نصوح أو عذول
من رحيق السلسبيل
على نعت الطلول

يا صاحبي ارتعا قليلاً

أرى عراضاً معطلات

فقد شجت قلبي الطلول
فأين سكانها حلول

ما طرد الهمّ مثل كاس

جوهرة طوّقت ببدر

ترقص "في" قعرها الشمول
فهي رحيقٌ وسلسبيل

وقال ابن المعتز:

شغل فعلي بها وشغل مقالي
وسؤالي محيلةً من محال
العنق بلون صافٍ وطعم زلال

لا تقف بي في دارس الأطلال

إن دمعي لضائع في رسوم

فاسقني القهوة التي تصف

طعنت نحرها الأكفُّ ولكن
حلف العلجُ أنهم طبخوها
فأدرنا رَحَى السرور عليها

وقال:

تأخذ الثأر من عقولِ الرجالِ
فرضينا ولو بعودِ خلالِ
بحرامِ مشبه بحلالِ

أحسن من وقفةٍ على طللِ
كأسَ صبوحِ أعطتك فضلتها
في مجلسِ جالت الكئوس به
يطوف بالراح بينهم رشاً
يكاد لحظُ العيون حين بدا

وقال:

في هوى الخمر
بهمومٍ وعقولِ
الشمس في ظلِّ ظليلِ
وجناتٍ وكرمٍ ونخيلِ
على الليل الطويلِ
خائن العهد ملولِ

لا تلمني يا عدولي
قهوة تذهبُ عنا
خدّرت من بعد نارِ
بين أنهارِ
فاستعن بالراح يا صاح
ويح نفسي من حبيبِ

وقال آخر:

ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
لهيباً كوقع النار في الحطبِ الجزلِ
لما دبَّ فيه قريةً من قُرى النملِ
يعبّسُ تعبيس المقدم للقتلِ
على ضعفها ثم استقادت من الرجلِ

وكأسٍ كمعسول الأكاني شربتها
إذا عوتبت بالماء كان اعتذارها
إذا "هي" دبّت في الفتى خال جسمه
إذا ذاقها وهي الحياة رأيته
إذا اليد نالتها بوترٍ توقرت

وقال ابن الرومي:

إحدى السبايا من قرى بابلِ

وقهوةٍ صهباءَ مشمولةٍ

ما نزلت بالهم إلا دعا

للأهل الويل من النازلِ

وقال ابن وكيع:

نادم مدامك دون الناس كلهم

فرداً وحيداً ففيها عنهم شغلٌ

مات الذين إذا حدثهم فرحوا

بما تقول وإن خاطبتهم عقلوا

لم يبق إلا أناسٌ فاض عيبيهم

فجملة الأمر فيهم أنهم سفلٌ

إن حدثوا كذبوا أو حدثوا عرضوا

أو مؤزحوا سخفوا أو جؤلسوا تفلوا

وقال كشاحم:

حيّ الربيع تحية المستقبلِ

أهدى السرور لنا بغيث مسبلِ

جاءت بعزل الجذب فيه فيشرت

بالخصب أنواء السّماك الأعزلِ

فاعرف له حقّ القدوم بقهوةٍ

عذراء تمزج بالزلزال السلسلِ

صفراء تجلى في الزجاج ويتقى

منها أليم القتلِ إن لم تُقتلِ

كالخذ لاقتة العيون فعصفت

مبيض وجنته بلحظٍ مخجلِ

من كف مياس القوام كأنه

ريحانة ريّانة لم تذبّلِ

وقال ابن المعتز:

قم فاسقني يا خليلي

من المدام الشمولِ

أولى الشهور بقصفِ

شعبان في أيلولِ

قد زاد في الليل ليلٌ

وطاب بردُ المقيّلِ

حرف الميم

قال أبو نواس:

يا شقيق النفس من حكمِ

نمت عن ليلي ولم أنمِ

فاسقني البكر التي اعتجرت

بخمار الشيب في الرحمِ

عُتقت حتى لو اتصلت

بلسانٍ ناطقٍ وفمِ

لاحتببت في القوم ماثلةً

ثم قصّنت قصّة الأممِ

قرعتها بالمزاج يدٌ

خلقت للسيف والقلمِ

في ندامة سادة زهرٍ
أخذوا اللذات من أممٍ
فتمشتت في مفاصلهم
كتمشي البُرء في السقم
فعلت في البيت إذ مُزجت
مثل فعل الصبح في الظلم

فاهتدى ساري الظلام بها
كاهتداء السَّقر بالعلم

وقال صريع:

إذا شئتُما أن تسقياني مدامة
فلا تقتلاها؛ كل ميت محرّم
خلطنا دماً من كرمة بدمائنا
فأظهر في الألوان منا الدّم الدّم

وقال أبو نواس:

صفة الطلول بلاغة القدم
سقم الصحيح وصحة السقم
لا تُخدعن عن التي جُعلت
عن ناظريك، وقيم الجسم
وصديقة النفس التي حُجبت
شجت فعالت فوقها حبيباً
ثم انبرت لك عن مدب دبا
فكأن عقبي طعمها صبرٌ
شجت فعالت فوقها حبيباً
فعلام تذهل عنمشعشعة
ثم انبرت لك عن مدب دبا
وإذا وصفت الشيءَ متبعاً

وقال أيضاً:

اسقني يا ابن أدهما
واتخذني لك ابنما
اسقنيها سلاقةً
سبقت خلق آدمما
فهي كانت ولم يكن
ما خلا الأرض والسما
وهي روح مخلصٌ
فارق اللحم والدمما

وقال أيضاً:

وكأس كعين الديك باتت تروقني
على وجه معبود الجمال رخيم

إذا قلت علني بريقك أقبلت
بنينا على كسرى سماء مدامة
فلو رد في يحيى بن ساسان روحه

وقال:

مرأشفه حتى يصبن صميمي
مكللة حافاتنا بنجوم
إذن لاصطفاني دون كل نديم

وشراب ألد من نظر المعشوق
لا غليظ تنبو الطبيعة عنه
بنت عشر صفت فلو صُبت
في رياض ربعية بكر الروض
فتوشت بكل نور أنيق
فترى الشرب كالأهلة فيه

وقال:

في وجه عاشق
نبوة السمع عن شنيع الكلام
على الليللا راح كل ظلام
عليها بمستهل الغمام
من فرادى نباته وتؤام
يتحسون خسروي المدام

أتدري من تلوم على المدام
فتى لا يأخذ النشوات إلا
أنا ابن الكأس أضعها ومالي
وأشربها مع الفتیان مثلي
أجل عن اللئيم الكأس حتى

فتى فيها أصم عن الملام
بإبريق وطاسات وجام
إلى يوم القيامة من فطام
فتمترج الكريمة بالكرام
كأن الخمر تعصر من عظامي

وقال ابن وكيع:

أسقني من قهوة مشمولة
لا تذقها الماء في كاساتها

تخلص النفس بها من همها
حسبها ما شربت في كرمها

وقال أيضاً:

إشرب فقد طابت المدام
من قهوة حرمت علينا
إذا استندم الأسي إليها
طوقها الماء طوق دُر

وافتر عن ثغره الغمام
فالصبر عن مثلها حرام
فماله عندها ذمام
ليس لمنثور نظام

كأنها تحته كُميت
 إذا بدت للهموم ظلت
 تلوذ منها فلا ليأذُ
 في فتية كلهم كريم
 تكسد سوق الفتاة فيهم
 أئمة كلهم عليمٌ
 لكنني فيهم على ما
 وعندنا شادنٌ غريرٌ
 للحسنِ قدامه جِيوشٌ
 يخف في حبه التصابي
 ذا العيش فافطن له وبادر
 فانعم فيومُ السرور عندي
 عليه من فضة لجام
 وهي لإعظامها قيامٌ
 ينفع منها ولا اعتصامٌ
 وخير من يصحب الكرامُ
 ظرفاً ولا يكسدُ الغلامُ
 بكل ما فعله أثم
 وصفت من فعلهم إمامُ
 في لحظ أجفانه سقامُ
 للصبر قدامها انهزامُ
 كمثل ما يثقل الملامُ
 من قبل أن يفطن الحمامُ
 يومٌ، ويومُ الهموم عامُ

الأمير تميم:

مزاجكما الخمرَ بالماءِ لومُ
 دعاها كما ولدتها الكروم
 وحاً ولا تخشياً نشوتي
 لأنني يسرُّ ارتياحي المدا
 خليلي أسبل ثوبُ الدجى
 فإن لم يكن فيكما مُسعدُ
 فغيري المُسيءُ عليها الملوّمُ
 مَ ويرضى خصالي عليها النديمُ
 وطاب الهواءُ ورقَّ النسيمُ
 فإني بإسعاد نفسي زعيمُ

الحسيم بن الضحاك:

ليت نجوم السماء واقفةً
 ما لسروري بالشك ممتزجاً
 أمسح عيني مستتبعا نظري
 سقياً لليل أفنيت مدته
 على دجى ليلنا فلم ترمِ
 حتى كأني أراه في اللحم
 إخالني نائماً ولم أنم
 ببارد الريق طيب النسم

ما عيب من قرنه إلى القدم
حتى تجلت أواخر الظلم
يُمنى يديه وبات ملتزمي
سحره أحوى أحم كالحمم
كأنه مُعدّ من الهرم
بالبزل كعادته ولم يسم
عن بارقٍ في الإناء مبتسم
إن أفردته العيون لم يقم
بأرجوان مُلمع ضم
مرّ الليلي ونكهة العدم
كالآل بين العيان والعدم
لخلتتا عكفاً على صنم
دبّ فتوني بها مدب دمي
الغدر وإن عدت لائماً فلم

أبيض مرتجةً روادفه
إذ عاكفات الظلام تسترنا
أباحني نفسه ووسدني
حتى إذا نفس المقدس في
عدنا إلى مسند بحانته
عودته حكمه فأسرع
فاستلها كالشهاب ضاحكةً
في كل لونٍ من لونها شبةً
صفراء زيتية مُلمعةً
عفو سلاف الربا بأكثرها
فالنشر عطرٌ والجسم رقرقة
فلو ترانا في الفجر نأخذها
فتلك ريحانة أراخ لها
فراجع العذر إن بدا لك في

وقال:

ظباءً بأعلى الرقمتين قيامُ
من اللين لم تخلق لهن عظام

كأن أباريق اللجين لديهم
وقد شربوا حتى كأن رقابهم

وقال أيضاً:

نضو سُكرين من هوى ومُدام
سٍ وخليّ الملام للوام
ولا ترقبا سُفور الظلام
ونجوى حمامةٍ وحمّام
قهوةً مرّةً بماءٍ غمام
فنوحاً نياحةٍ المستهام

من لصبٍ لا يرعوي لِملام
عاذٌ من لوعة الصبابة بالكا
يا نديمي لا تناما عن الراح
هاجني للصَّبوح نقرُ النواقيس
فاصبحاني قبل الصباح مُداماً
والمأ على المنازل بالقُفص

وقال أيضاً:

باكر الصبحة هذا
ما ترى بالله
بدأ الطلُّ بليلٍ
وانجلى مثل انجلاء
فاشرب الراح بأرطالٍ
إنما الدنيا كوهم
كل شيءٍ يتوفى
يوم عودٍ ومدام
أحسن آداب الغمام
ثم ثنى برهام
الغمدِ عن متنِ الحُسام
وطاسات وجام
أو كأحلام منام
نقصه عند التمام

كشاجم:

ياريم كم أدنو وأنت تريم
قم غير مذموم الندام فإنها
هذا الصباح فأضحك الإبريق عن
فأدارها والصبح في خلل الدجي
فشربتها من طرفه وإنؤها
راح كأن نسيمها متولد
جاءت بنكهته وجاء بلونها
وكأن كسرى في الزجاجه سابح
أسقى على تمثاله برحيقه
في مجلس حبس الزمان صروفه
وتنام عن ليلي ولست تُتيم
ستقوم سوق اللهو حين تقوم
شمس عليها في الزجاج نجوم
كالجيش زنجياً غزته الرُّوم
في كفه، ورحيقها مختوم
من نشره، ومزاجها تنسيم
في خذّه فصبا إليه حليم
في الماء يغرق تارةً ويعوم
فكأنه لي صاحب ونديم
عنا فظل العيش وهو نعيم

ابن المعتز بالله: إذا شئت غادتني السُّقاة بكاسها=وقد فتح الإصباح في ليلةٍ فما

فخلت الدجي، والفجر قد مدَّ خيطه،
رداءً موشى بالكواكب مُعلماً

وقال:

قد أظلم الليل يا نديمي
كأنني، والورى رقود
فاقدح لنا النار بالمُدام
أقبل الشمس في الظلام

وقال:

مولايَ أجدرُ من حكم
لعب القلي بعهوده
ومصرعين من الخما
قتلتهمُ خمارةٌ
وسقتهم مشمولةً
لما أرتهم كأسها
ولو أنها قالت لهم
هم عاكفون على الهوى
صبراً عليه وإن ظلمَ
وكأنها كانت حُم
رِ على السواعد واللمم
عمداً ولم تؤخذ بدم
ظلت تحدث عن إرم
شربوا، وما قالوا بكم
صلوا لها، قالوا: نعم
لا يعرفون سوى الكرم

وقال:

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله
يلتقط الأنفاس بردُ الندى
لم أعرف الإصباح في ضوئه
لبست فيه بالتذاذ الهوى
مفتضحُ البدر عليلُ النسيم
فيه فيهديه لحرَّ الهموم
لما بدا إلا بسكر النديم
ولذة الراح ثياب النعيم

وقال أيضاً:

قم فاسقني والظلامُ منهزم
والطير قد صفرت وأفصحت
وميلت رأسها الثريا إلى
الغرب بأسوار وهي تحتشمُ
والصبح بادٍ في كفه علمُ
الألحان منها وكلها عجمُ

في الشرق كأسٌ وعند مغربها=قرطُ، وفي أوسط السما قدمُ وقال ابن الرومي:

ويتيمةٌ من كرمها ونديمها
لطفت فكادت أن تكون مُشاعة
صفراء تنتحل الزجاجة لونها
ريحانةٌ لنديمها، درياقةٌ
لم يُبق منها الدهر غير صميمها
في الجو، مثل شعاعها ونسيمها
فتخال ذوب التبر حشو أديمها
لسليمها، تنفي سقام سقيمها

الأمير تميم:

أبناؤه مسخوا المكارم لوما
وخفوا فكانوا للنفوس هموما
وغوت للراح المُدام نديما

إشرب فما لؤم الزمان، وإنما
ظهروا فكانوا للعيون مداماً
فلذاك آثرت التفرد والنوى

وقال:

عصرته الأكف منها قديما
وأبدى زُمرداً منظوما
عسلاً في ظروفه مختوما
وكالشهد مذاقاً وكالعبير نسима
لو أصابوا القياس قالوا الكريما
واقسم اللهو بيننا والنعيم
فوق نفسي، على المدام النديما

سقياني على العناقيد مما
ما ترى الكرم كيف نضد ياقوتاً
فهو يبدي للعين حباً ويخفي
كنواصي القيان نظماً
غلطوا حين سمو الكرم كرمًا
فاسقني يا نديم واشرب بكاسي
لا شربتُ المدام إن لم أعظمُ

ابن المعتز:

نهب كفّ الوجد والسقم
لم أنل منه سوى التُّهم
والحياراضِ عن الديم
تُظهر الإصباح في الظلم
إن عقلي غير متهم

لم ينم ليلي ولم أنم
في سبيل العاشقين هوى
ولقد أغدو على طرب
فاسقياني الراح صافيةً
لا تلم عقلي ولم طربي

وقال:

تنال ما تشتهييه من فمه
كئوسه من لذيذ مثلمه
حبابه مثل دُرٍّ مبسمه

يا حسدي للكئوس في يده
يا لييتي نلتُ ما ظفرن به
شرابه مثل لون وجنته

وقال:

واهتز كالغصن في ميل وتقويم
حتى بدا الصبحُ مبيضُ المقاديم

الآن تمّ، فأهدى مقلّة الرِّيم
قد بتُ ألتمه والليل حارسنا

نادى على مرقبٍ شارٍ بتحكيم
كأنه سافر عن خدِّ ملطوم
مقتضيةً وسؤالٍ غير محروم
باتا بعيشٍ حميدٍ غير مذموم
يا ليلة الوصل دومي هكذا دومي
بيضاً ذوائبها غصَّ الحلاقيم

تلقى الكئوس بتكبيرٍ وتعظيم
كأنما الماء يغريها بتضريم
عجباً" ورائحةً في غير تجسيم
طافت علينا فسرَّت كل مهموم
أكارع النمل أو نقش الخواتيم
ولم ترد القنا حمرَ الخياشيم
فإن مطل الفتى عندي، من اللوم

وتولى الصبّا عليه السلام
حديث النفس مني وعفت الأحلام
فرُدت على السقاة المُدام
غصن بانٍ عليه بدرُ تمام
قُ إليه التقبيل والالتزام
أتلُفت ما لهم نفوسٌ كرامُ
هو سحرٌ وما سواه كلام
كما ناح في الغصونِ الحمامُ
ألفاتٌ على السطور قيامُ

وقام ناعي الدجي فوق الجدار كما
والبدرُ يأخذه غيمٍ ويتركه
فظن ما شئت من حاجات ذي طربٍ
إثنان كالفرد من طول اعتناقهما
يا ليلة الوصل لبيت الصبح يهجرنا
باتت أباريقنا حمراً عصائبها

رواكعاً كلما حثَّ السقاةُ بها
فلم نزل ليلنا نسقى مشعشة
أبقى الجديدان من موجودها "
حمراء، أو قلما أحمرت، موردة
كأن في كاسها والماء يقرُّها
لا صاحبتني يدٌ لم تُغنِ ألف يدٍ
بادر بجودك بادرٍ قبل عائقةٍ

وقال:

أخذت من شبابي الأيام
وارعوى باطلاً وبرَّ
ونهانى الإمام عن سفه الكاس
ولقد حثَّ بالمدامة كفي
عجبٌ يبهت العيون ويشتا
ونداماي في شبابٍ وحسنٍ
بين أقداحهم حديثٌ قصيرٌ
وغناءً يستعجل الراح بالراح
وكأن السقاة بين الندامى

وقال:

قد نعى الديكُ الظلاما
قهوة بنت دنان
خلتها في البيت جنداً
جعل العليج لها من
معلماتِ بمدادٍ
وتراها، وهي صرعى
مثل أبطال حروبٍ
فاسقني الراح المُداما
عتقت خمسين عاما
صُفِّوا حولي قياما
مدراتِ الطينِ هاما
خلته فيهن شاما
فرغ بين الندامى
قُتلوا فيها كراما

وقال:

ألا عُج على دار السرور فسلم
وقل ما حلت بالعين بعدك لذة
وصفراء من صبغ الهجير لرأسها
وقل: أين لذاتي وإن لم تكلم
سواك فإن لم تعلمي ذاك فاعلمي
إذا مزجت، إكليلُ درٍ منظم

وقال:

يا رب يومٍ قد مضى
في ظل كرمٍ لا يطوف به
وسماؤه الورق الجديد
ويحنتي بالكاسِ ساقٍ
أغرى بقبلته كما
يا من يلوم على الهوى
بالقاسية لو يدوم
الهجير ولا السمومُ
وأرضه الوق الهشيم
لحظُ مقلته سقيمُ
يُغرى بمرضعة فطيم
دعني فذا داءٍ قديم

وقال أبو نواس:

شُققتُ من الصِّبا واشتُقَّ مني
فلست أسوفُ للذاتِ نفسي
وندمان دعوتِ فهبَّ وهنا
أجر الزقِّ وهو يجر رجلاً
كما اشتُقَّت من الركم الكروم
وأدفعها كما دفع الغريمُ
وقد أخذت مطالعها النجوم
يجوزُ بها النعاس، ويستقيم

إسحق الموصلي:

وصافية تغشى العيون رقيقةً
أدرنا بها الكأس الروية موهناً
فما ذر قرن الشمس حتى رأيتها
رهينة عامٍ في الدنان وعام
من الليل حتى إنجاب كل ظلام
من العين تحكي أحمد بن هشام

الصنوبري:

وليلة كالزخرف المعلم
تعلق الصبحُ بأرجائها
عدلتُ فيها بين خمريين من
تناولُ الجامِ يدي من يدي
شبهتُ ذوبُ الراح في جامها
محفوفة الظلماءِ بالأنجم
تعلق الأشقر بالأدهم
خمر العناقيد وخمر الفم
موشية الراحة والمعصم
بذوب دينارٍ على درهم

وقال ابن المعتز:

يا خليلي هُبا
قد لبسنا صباحاً
وتروم الثريا
كانكباب طمرٍ
واسقينا المداما
وخلعنا الظلاما
في الغروب المراما
كاد يُلقي اللجاما

أبو محمد التيمي:

هلاً استعنت على الهموم
ووهبت للعيش الحميد
صفراء من حلب الكروم
بقية العيش الذميم

وحسبت أيام الشبا
أقداحها وسقأتها
يُهدي التحية بينهم
فانعم بذاك فليس يكرم
ب على النواعم والنعيم
مثل الأهله والنجوم
نظرُ النديم إلى النديم
نفسه فير الكريم

ابن المعتز:

بمداًمٍ وندِيمِ
الشمسِ من ماءِ الكرومِ
الصباحِ وفي الليلِ البهيمِ

لا يطيب العيش إلاَّ
فاسقني قبل طلوع
صلِّ بنور الكأس نور الشمس يا خير حميم
فهما شمسان في

حرف النون

قال أبو نواس:

من شراب الزَّرَّجون
جنة غير جنونٍ
ناظر اريب المنون
هي في رقة ديني
فوقها مثل العيون
لم تحدق بجفون
كل إبانٍ وحين
حلةً من ياسمين
وردتا آذريونٍ
وفردٌ في المجون
"ولها بالماطرون

أسقني يا ابن أدين
أسقني حتى ترى بي
قهوة عمي عنها
عُتقت في الدن حتى
ثم شجت فأدارت
حدقاً ترنو إلينا
ذهباً يُثمر دراً
بيدي ساقٍ عليه
وعلى الأذنين منه
غاية في الظرف والشكل،
غني يا ابن أدين

وقال:

نشأت في حجر أم الزمان
نشأاً وارتضعا من لبان
هي أنصاف شطور الدنان
نزقُ البكرِ ولينُ العوان
نجمت مثل نجوم السنان
شعبٌ مثل انفراج البنان

قد تعزيتُ بصرفٍ عقارٍ
فهي سنُّ الدهر إن هي فرت
وتناساهما الجديدان حتى
فاقترعنا مزة الطعم فيها
لم يجفها مزلُ القوم حتى
أو كقرن الشمس ينشق عنه

فلي الصهباء أبكي عليها

والمغاني لبكاة المغاني

وقال الخليع:

أنا لولا الخمر والوجه الحسن

لم أكن والله مخلوع الرّسن

ذقت هذين وجربتهما

فإذا هذان أسباب الفتن

لم أقل يوماً لذنّبٍ منهما

ليت هذا الذنب مني لم يكن

وقال أبو نواس:

قد هجرت المُدام والنُدمانا

وتمتعت ما كفاني زمانا

وأبى لي خليفةُ الله إلا العزف

عنها، وقد عزفت أوانا

ولقد طال ما أبيت عليه

في أمور خلعت فيها العنانا

وغزالٍ عاطيته الراح حتى

فترت منه، مقلةً وجنانا

قال: لا تسكرنني بحياتي

قلتُ: لا بد أن تُرى سكرانا

إن ل حاجة إليك إذا نمت

وإن شئت فاقضها يقظانا

فتلكا تلكواً في انخناثٍ

ثم أصغى لما أردت، فكانا

وقال أيضاً:

ألا دارها بالماء حتى تُلّينها

فلن تكرم الصهباء حتى تُهينها

أغالي بها حتى إذا ما ملكتها

أهنتُ لإكرام الخليل مصونها

وحمرء قبل المزج صفراء بعده

كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

ترى العين تستعفيك من لمعانها

وتحسر حتى ما تُقلُّ جفونها

كأن يواقيتاً بصرن إنائها

وزرُقَ سنانيرٍ تدير عيونها

وشمطاء حلّ الدهرُ منها بنجوةٍ

دنوت إليها فاستللت جنينها

كأنا حلولٌ بين أكناف روضةٍ

إذا ما سلبناها مع الليل طينها

وقال:

أربعة مذهبٌ

لكل همٍّ وحرزٍ

الماء والقهوة

والبستان والوجه الحسن

وقال:

غنا بالطلول كيف بلينا
من سُلَافٍ كأنها كل شيء
أكل الدهر ما تجسم منها
فإذا ما اجتليتها فهباءً
ثم شجت فاستضحكت عن لآلٍ
في كئوسٍ كأنهن نجومٌ
واسقنا نعطكِ الثناء الثمينا
يتمنى مخيراً أن يكونا
وتبقى لُبابها المكنونا
يمنع الكفّ ما تبيحُ العيوننا
لو تجمعن في يدٍ لاقتيننا
جارياتٌ بروجها أيدينا

طالعاتٌ مع السقاةِ علينا
لو ترى الشرب حولها من بعيدٍ
وغزالٍ يديرها ببنانٍ
كلما شئتُ علي برضابٍ
ذاك عيشٌ لو دام لي غير أني
فإذا ما غربن يغربن فينا
قلت قومٌ من قرةٍ يصطلونا
ناعماتٍ يزيدنا العمرُ لنا
يترك القلبُ للسرورِ قرينا
عفتُهُ مُكرها وخفت "الأمينا"

وقال: وبكر سلافةٍ من بيت حان=لها درعان من قارٍ وطين

تحكم علجها إذ قلتُ سُمَني
فضضت ختامها والليلِ داجٍ
بكفٍّ أغن مختضبٍ بناناً
لنا من بعينيه عِداتٌ
كأن الشمس مقبلةٌ علينا
على غير البخيل ولا الضنين
فدرتُ درة الودج الطعين
مُذال الصدغ مضفور القرون
يخاطبنا بها كسر الجفون
تمشى في غلائل ياسمينٍ

وقال:

وخرقٍ يجل الكأس عن منطق الخنا
تراه كما شاء الندامي ابن علةٍ
إذا هو لقي الكأس يمناه خانها
تمتعتُ منه ثم أقصر باطلاي
وينزلها منه بكل مكان
وللشيء لذوه رضيع لبان
أماويت منها وارتعاش بنان
وصممت كالجاري بغيرِ عنان

وقال:

لا تبك للذاهبين في الطعنِ وعج بنا نصطحب معتقاً
ما تبصر العين منه ناحيةً قال له الله كن على قدرٍ
تخبر عن طرفه محاسنه تعقد زناره أنامله
نازعته الراح وهي مثل دم قلتُ له والكرى يجشمه
حتى إذا ما النعاس أقصده كأننا والعناق يجمعنا
فلم أقل بعد ما ظفرت به لا تركبن اللذات مختفياً
ولا تقف بالمطيِّ في الدمن من كف ظبي يسقيها فطنٍ
إلا أقامت منه على حسن في الحسن بين الهزال والسمنِ
مكتحل الناظرين بالفتن في الخصر بين الكثيب والغصنِ
الشادن تنفي طوارق الحزن هل لك في النوم، قال: لم يحنِ
نام فنلت المأمول من سكني تحت الدجى، طائران في غصنِ
يا ليت ما كان منه لم يكنِ وامضِ إليهن خالع الرسنِ

وقال:

ذراني أبادر ما هويت ذراني وشأنكما والرشد فاعتصما به
فما العيش إلا في مُدام تحثها عقار كعين الديك في فرط نورها
لها حببٌ يحكي رؤوس أسنةٍ تراها حذار الماء حين يشوبها
فقد ملكت أيدي المجون عناني ولا تعذلاني، فالغواية شاني
مثالث يهدمن الأسي ومثاني وإغشائها العينين باللمعان
تجمعن في بحرٍ من الدم قان كقلب محبٌ دائم الخفقان

وقال تميم بن المعز:

ومعشوق اللمى خنث الجفون أتاني والدجى حلك الخوافي
فلما توج اليسرى بكأسٍ كذوب الوعد معتل اليمين
كأن نجومه زرقُ العيون وصار الرطل قرطاً لليمين

تُلين جوانب الدهر الحرون
تبدلت في غلالةِ ياسمين

سقاني مثل خديه مداماً
كأن الراح ورده جلتار

وقال بعض إخوانه وقد تتره في البستان المعشوق فكتب بها إليه:

أمننا من نائبات الزمان
أصبحن إلا أوجهاً للحسان
زادت على لذة طيب الأمان
منه وقد أفرط في كل شان
ونطرد الهمَّ ببنت الدنان
غابت عن الحس ولطف العيان
لنا سوى المثلث من ترجمان

قل للأمير ابن الإمام الذي
لو صورت أخلاقك الغرُّ ما
نحن من "المعشوق" في لذة
فأي شيءٍ ابتدى وصفه
نلقى الصبَّ فيه بحرَّ الصبِّا
صفراء لولا طيب أنفاسها
نشربها صرفاً ومزجاً وما

فأجابه:

أودعه الإبريق دمع الدنان

لا تقتل الأحزان إلا بما

مخلوقة من قبل خلق الزمان
من رقة الفهم وسحر البيان
يكتال ساقياها بها زعفران
أو عسجدٌ قد ذاب في أحوان
هناكم القصف وطيب المكان
يراكم في القرب رأي العيان

صفراء في الكأس خلوقيةً
أدق محسوساً إذا صفتت
كأنما الكأسُ بها تلجةً
أو درة ضُمت على عسجدٍ
دونكموها فاشربوا صبرها
وإن أغب عنكم فإني كمن

آخر:

مثل الشياطين في دير الشياطين
والراح تمشي بهم مشي الرفازين
مثل القضاة وعادوا كالمجانين

رهبان ديرٍ سقوني الخمر صافيةً
راحوا إلى الراح مشي الرخ وانصرفوا
لله درهم من فنية قعدوا

ابن المعتز:

لعنةُ الله عليه ولعنةُ اللاعنينا

قد مضى أبٌ صاغراً

وأنا أيلول وهو ينادي

الصبح الصبح يا غافلينا

ديك الجن:

أفديكما من حاملي قدحين

قمرين في غصنين في دعصين

رود مهفهفة ومهضوم الحشا

للعالمين منى وقرّة عين

فإلى كأسكما على ما خيّلت

كالتبر ممزوجاً بماء لجين

ابن المعتز:

يا نديمي اشربا واسقينا

قد بدا الصبح لنا واستبانا

واقتلا همي بصرف عفار

واتركا الدهر فما شاء كانا

إن للمكروه لذعة هم

فإذا دام على المرء هانا

وامزجا كأسي بريقة شر

طاب للعطشان ورداً وحانا

من فم قد غرس الدر فيه

ناصرح الريق، إذا الريق خانا

ونديم مرض السكر منه

مقلة فاترة ولسانا

قد فديناه من الكأس حتى

هش للساقى ومدّ البنانا

لم يزل يركض وهو مملئ

ثم علّقنا عليه العنانا

وقال:

دعني فما طاعة العذال من ديني

ما سالم القلب في الدنيا كمفتون

أقررت أني مجنون بحبكم

وليس لي عندكم عذر المجانين

وصاحب بعد مسّ النوم مقلته

دعوته ولسان الصبح يدعوني

نبهته ونجوم الليل راکعة

في حالك من بقايا ليلها الجون

ركوع رهبان دير في صلاتهم

سود مدار عهم شمط العثانين

فقام يمسح عن عينيه وسنته

بعقدة النوم من فيه يلبيني

وطاف بالذن ساق وجهه قمر

فشكّه بسرّيع الحدّ مسنون

ذو طرة نظمت في عاج جبهته

من شعره حلقاً سود الزرافين

كأن خط عذار شقّ عارضه

ميدان آس على ورد ونسرين

مستودعٌ ذيله معلاق منطقة
وخطٌ فوق حجاب الدُرِّ شاربُهُ
فجاء بالراح تحكي ورد وجنته
عليه إكليل آسٍ فوق مفرقه
يضمُّ غصنَ نفاً يهتز من لين
كنصف صادٍ ودار الصدغ كالنون
مُقرطقٌ من بني كِسرى وشيرين
قد رصعوه بأنواع الرياحين

وقال:

صحوتُ ولكن بعد أيّ فنون
وخمارةٌ يُعنى المسيحُ بدينها
فلما رأتهُ أيقنتُ بمعذلٍ
فقامت وفي أجفانها سِنَةُ الكرى
فلما رآها الليل حثَّ جناحه
فجاءت بها في كأسها ذهبيةٌ
مخدرةٌ تُقصي الهجير ظلّالها
تجاورُ أتراباً وقوفاً صوافنا
فما زلت أسقاها بكفٍ مقرطقٍ
لوى صُدغه كالنون من تحت طُرّةٍ
فلا تسأليني سلوةً ودعيني
طرقت وضوء الصبح غير مبين
قليل بقاء الوفر غير ضنين
تفضُّ بكفيها خواتم طين
مخافة صبحٍ في الدنان كمين
لها حدقٌ لم تتصل بجفونٍ
ببيت إذا فار النهار كنين
حملن ولم تعلم بحمل جنينٍ
كغصن ثنته الريح بين غصون
ممسكةٌ تزهى بعاج جبين

وقال الصنوبري:

يا صاحبيّ اسقياني لا عدمتكما
هُباً فقد هبت الأطيّار تخبرنا
وعاطياني كُميت الراح صافيةً
بكفٍ ساقٍ رخيم الدلّ تحسبُهُ
إذا رأتهُ مقلتي بستان وجنته
لا تسكراني من الصهباء ها أنا ذا
جزاكم الله بالإحسان إحسانا
من الغصون بأن الصبح قد حانا
مما تخيره كِسرى بن ساسانا
لما حوى من فتور الطرف وسنانا
فحسبها أن ترى ما عشتُ بُستانا
من لوعة الحب قد أصبحت سُكرانا

وقال:

أيهذا العزيز قد مسنا الضرُّ
وعاينت مذ هجرت

أنت فجرت فيه ماءً مَعِينَا
الزَنَارِ من فوقِ خصره تسعِينَا
شوقاً من الفؤادِ دفينَا
لؤلؤاً من عيونها مكنونَا
غير أن لا ترى لهنَّ جفونَا
الشمس ليلاً والبدر مما يلينَا
فصاحوا: الصلاة يا غافلينا

جُد بنزرٍ من الرقادِ لطرفٍ
طاف في قُرطِقٍ وقد عقد
بعقارٍ تنفي الهموم وتستخرج
غاص فيها ماءُ المِزاج فأبدت
ثم جالت فيها فصارت حدائقاً
قام يسعى بها فخلتُ طلوع
ولقد راع ذاك قوماً على بعدٍ
وقال :

ويا ربة العود حُتِّي الغنا
والأرض مُطْرِفَةٌ الأدكنا

أيا ساقِي الخمر لا تنسنا
فقد نشر الدَّجَنُ بين السماء

وقال:

شرطه السُّكر وانعقاد اللسانِ
ببعض الريحان، إذ حياني
عُمرت في دساكر الرُّهبان
خلَّتْها قد تجسمت من دخانِ
تلد الدرَّ في رؤوس القِيانِ
واضحاتٍ قليلةِ الكتمانِ
فهي تريباقُ لاعج الأحرانِ
كلُّهم مسعدٌ مطيعُ العنانِ
في مكان اللُّجين والعقيانِ

ربَّ يومٍ قطعته بسرورٍ
وحبيب مساعدٍ فيه أحياني
وعروسٍ حجابها بطنٌ دنُّ
لبسها من عناكب بَغُزُولٍ
دوحة للفرات من زعفرانِ
وعليها غلائلٌ من زجاجِ
ظلتُ يومي أنفي بها الحزن عني
مع فتیان لذةٍ صحبوا
وعلى هامهم أكاليل آسٍ

وقال أبو تمام:

بما شربت مشروبة الراح من ذهني
ورحت بما في الدنِّ أولى من الدنِّ
بأول من أعطى المقادة للدَّجنِ

أفيكم فتىً حرٌّ فيخبرني عني
غدت وهي أولى من فؤادي بعزمتي
هي اختدعتني والغمامُ ولم أكن

تقلب روح المرء في كل وجهةٍ

ومُسمِعاً طفلاً البنان وعنده

لنا وترٌ منه، إذا ما استحثه

البحثري:

وتدخل منه حيث شاءت بلا إذن

لنا كل نوعٍ من قرى العين والإذن

فصيحٌ، ولحنٌ في أمانٍ من اللحن

أُعادي أرجوان الراح صرفاً

إذا مالت يدي بالكأس رُدت

تأمل من خلال السَّجف فانظر

تجد شمس الضُّحى تدنو بشمسٍ

وقال:

على تفاح خدِّ أرجواني

بكف خضيب أطراف البنان

بعينك ما شربتُ ومن سقاني

إلى من الرحيق الخسرواني

كلُّ ماضٍ أنساه غير ليالٍ

مغرم بالمدام يتزع كأساً

حيث لا أُرهب الزمان

وقال:

ماضيات لنا بتلُّ "بونا"

ساطعاً ضوءها ويبزل دنا

ولا أصغي إلى العاذل المكثّر إذنا

شبيبة لهوٍ تلقيتها

ولا أريحية حتى تُرى

وليسست مُداماً إذا أنت لم

وقال أبو نواس:

فسايرت بالراح ريعانها

طروب العشية نشوانها

تواصل مع الشرب إدمانها

ما لذة العيش إلا شرب صافيةٍ

صهباء صفراء كالعيقان إن مزجت

من كفٍّ أغيذ مرتجٍ روادفه

فتارةً هو ميدان نروضُ به

وتارةً هو ساقينا ونرجسنا

في بيت خمارةٍ أو ظل بستان

كأنها وجلُّ يعلوه لوان

كالبدر أو في على غصنٍ من البانِ

ضوامراً قُرْحاً ليست بثنيان

يا حبذا ذلك من ساقٍ وندمان

وقال عليُّ بن محمد:

بارزة في يوم قربانها
سارقتها اللحظ وقد أقبلت
فانبتت عيناى في خدّها
والراخ لا يعجبني شربها
شأنى صلاح العريض منها إذا
ما أحسن الدنيا ولكنها
والدهر لا يبقى فلا تُبقِ في
شبيبةً تمضي فلا تنسني
بين نصاراها ورهبانها
ترشقُ أحشائي بأجفانها
شقيقةً في غير إيانها
إلا لإعجابي بندمانها
أضحى فسادُ المال من شأنها
دانيةً في كلِّ ولدانها
تمزيق دنيا عند إمكانها
وروني من ماء ريعانها

ابن وكيع:

خليا عنكما عتاب الزمان
إن لوم الزمان فيما جناه
هو سلطاننا المحكمُ فينا
ما أرى لي عوناً عليه سوى
وذرائي من لومه واعفياني
هو عندي ضرب من الهذيان
أيُّ معدٍ يُعدي على السلطان
الراح فحناً كنوسها واسقياني

آخر:

رب نديمٍ صريعٍ سكر
كأن أجفانه احمراراً
ناديته للصباح فجرأ
ناولته قهوةً سناها
مُرُح مُرُعش اليبدين
ناظرةً من شقيقتين
فهبَّ يهتز كالرُديني
يحول ما بينه وبينني
ووعد وصل بلحظ عين
أخدع للعقل من أمانٍ

وقال آخر:

قم فاسقني من قبل وقتِ الأذانِ
أسر من عودة وصل الصبّا
سلافةً تحكُمُ عقد اللسانِ
إلى فتىٍ مشتهرٍ بالغواني

البحثري:

وفي القهوة أشكالٌ
من الساقى وألوانُ

حبابٌ مثل ما يضحك
وسكر مثل ما يسكر
وطعم الرِّيقِ إذ جاد
لنا من كفه راح
عنه وهو جذلان
طرفٌ وهو وسنانُ
به والصبُّ هيمان
ومن ريّاه ريحان

وقال:

ما أبالي إذا شربت ثلاثاً
من سُلّاف عتيقةٍ سلسبيلٍ
تركنتني على فصاحةٍ نطقي
كلما ساعني شكوت إليها
هي نعم الرفيقُ لي إن دهنتي
لو أمانني الأيامُ صُورن شخصاً
وإذا ما الزمانُ أفسد شأناً
لائمي في السرورِ دع عنك لومي
إنما العيشُ قهوةٌ وسماعُ
فإذا ما أردت رشدي فخذلي
من غدا راضياً ولا من جفاني
بنت عشرٍ تجيد عقد اللسان
وأنا مُحوجٌ إلى ترجمانٍ
فتغطيّ القبيح بالإحسان
نائبات الزمان والأحزان
ما عدا جميع الأمانني
كان فيها صلاحُ ذاك الشان
إنني قد خلعت فيه عناني
ساعده مثالث ومثاني
من صروف الردى كتاب أمان

وقال:

يا ليلة جمعت لي طيب أربعة
الريحُ شرقيةٌ والراح مشرقةٌ
ونبهت فرحتي والدهر وسنان
والبدر مبتدرٌ والروحُ ريحان

وله:

قومي امزجي الدرَّ باللجين
واغتني غفلة الليالي
فقد لعمرى أقرّ منا
ذات الخلاخيل أبصته
واحملي الرطل باليدين
فربما أوقظت لحيني
هلالُ شوالٍ كل عين
كنصف خلخالها اللجيني

أبو الشيص:

وصهباء لم تفتقرها السقاةُ
ولا احتبلت درَّها أرجلُ
ولكن غذتها بالبانها
إلى أن ترحل عنها الصبا
فأحسبها وهي مكروعةٌ
عناقيد أخلافها حُفْلُ
يطوف علينا بها أحورُ

ابن المعت:

ولا استامها الشرب في بيت حانٍ
ولا وسمتها بنارٍ يدانٍ
ضروعٌ يحف بها جدولانٍ
وأهدى الفطام لها المرضعان
تمج سلافتها في الأواني
تدر بمثل الدماء القواني
يداه من الكأس مخضوبتان

سلط على الأحزان بنت الدنان
ومتع النفس بما تشتهي

وارحل إلى السكر برطلٍ وثنانٍ
ما دمت في غفلةٍ صرف الزمان

أتلف وأخلف وأفد، واستفد
وهاتها بنت يهودية
يكتب فيها ماؤها أسطرا
نعم قرى السمع على شربها

وأنزل المال بدار الهوان
سحارة تحكم عقد اللسان
حروفها من شعر الزعفران
نفخ المزامير وعزف القيان

وقال:

مالي وللباكيات في الطعن
شغلي عنها بالراح في غلس
وشرب كأسٍ في مجلس بهجٍ
من كف ظبي مقرطق غنجٍ
تلوحُ صلبانه بلبتهِ
جاء بها كالسراج صافيةً
من ماء كرمٍ قد عتقت حقا
ميتٌ وفيه الحياة كامنةٌ

ومقفرات الطلول والذمن
ووضع ريحانة على الأذن
لم أر هما به ولم يرني
يعذرني من عليه يعذلني
كنور خيرية على غصن
سلافة لم تُدس ولم تهن
في بطن أحوى الضمير مختزن
يدرجه العنكبوت في الكفن

حرف الهاء

"بخلو حرف الواو" قال أبو نواس:

خلوت بالراح أناجيها
نادمتها إذ لم أجد صاحباً
لم تنظر العينُ إلى منظرٍ
مذ كان مولاه أميراً له
أخذ منها، وأعاطيها
أرضاه أن يشركني فيها
في الشكل والحسن يدانيها
فالراح مولاة مواليتها

عليّ بن وكيع:

ما زج بروحك روح الراح تُحييها
واشرب عقار أتسر النفس طلعتها
كأسٌ إذا ما دنيءُ القومُ علَّ بها
إذا تسمحت الدنيا دعوتُ بها
وإن شكوت من الأيام مظلمة
وإن تقلدت الأحزان قلب فتىً
ما زال يأكلها طوراً وتأكله
قد مل منها وملت طول صحبته
فصار موجودها من رقةٍ عدما
تسعى عليك بها خودٌ منعمةً
مرت بحسن الورى عيني فما نظرت
حتى إذا بلغتها دونهم وقفت
كأن قامتها، والريح تعطفها
عجبت من خمرةٍ في صحن وجنتها
لما تناهت رآها الحسنُ كاملةً
وأحدث العُجب فيها كي يكون لها
فالراح كالروح تجري في مجاريها
كأنما جُمعت فيها أمانيتها
رأى الخليفة من أتباعه فيها
فحسنتها وكفت عن مساويها
أعدت عليها وكفت من تعديها
أتاه توقيعُها في عزلوا إليها
عمرُ الزمان، وتبليه ويبلها
حتى أتتك وقد رقت حواشيها
فالحسُّ يثبتها والطرف ينفها
أنفاسُ خمرتها يصدرن من فيها
من منظرٍ حسنٍ في الناس يُرضيها
فأقسمت بالهوى ألا تعديها
تثني القلوبَ إليها في تثنيها
يشكو فؤادي احتراقاً من تلظيها
فيه فخاف عليها من تناهيها
عيباً، فيصرف عنها عين رائيتها

ابن المعتز:

ألا من لقلبٍ في الهوى غير مُنته
أشاوره في توبةٍ فيقول: لا
فيا ساقِيَّ اليوم عودا كامسنا
أورث نفسي ما لها قبل وارثي

وقال:

وفي الغي مطواع وفي الرشد مكره
فإن قلت: تأتي لذة قال: أين هي
بإيريق خمرٍ في الكئوس مُقهقه
وأنفقه فيما أحب وأشتهي

هاك فاشرب واسقنيها
بنت كرمٍ عتقت
قلت للخمار لما صبها
هذه الخمر التي

وقال:

قهوة لا عيب فيها
حولين في صُلب أبيها
في الكأس إيها
كنت زماناً أشتهيها

لي حبيب يقول لي: فرِّغ الكاس
لا تظنن أنني أخلفُ في كأسك

وفيه بقيةٌ أشتهيها
فضلاً وأنت ناولتنيها

وقال:

إنما العيش بلوغُ
ومدامٌ تصطفئها
ورخيم ساحر
جمع التفاح والراح

السؤلِ مما تشتهيهِ
ونديم ترتضيه
المقلة معدومُ الشبيه
بخديه وفيه

آخر:

ولقد سقاني والنعا
رقرقةً تجلو الهمو

س مرناق في مقلتيه
م أرق من قلبي عليه

مُرجت فخلت لهيبيها
فشربتها فكأنني

في: اسها شوقي إليه
في الشرب ألتُم وجنتيه

وقال أبو نواس:

يا ليلة لست أنسى طيبها أبداً
باتت وبتُّ وباتُ الزقُّ ثالثاً
كأن سود عناقيد كلمتها
كأن كلَّ سرورٍ حاضرٌ فيها
حتى الصباح تُسقينني وأسقيها
أهدت سلاقتها صرفاً إلى فيها

حرف لام ألف

قال أبو نواس:

أما ترى الشمس حلت الحملا
وغنت الطيرُ بعد عُجمتها
واكتست الأرض من زخارفها
فاشرب على جِدة الزمان فقد
كرخية تترك الطويل من
تلعب لُعب السراب في
وقام وزن الزمان فاعتدلا
واستوفت الخمرُ حولها كملا
وشي نبات تخاله حُلا
أصبح وجه الربيع مُقتبلا
العيش قصيراً وتبسط الأملأ
قدح "القوم" إذا ما حبابها اتصلا

وقال:

خليلي هُبا قد نعى الليل ديكه
فقوما نطلق همناً بمدامةٍ
ولا تعطيهاها بعض عقلكما فما
يقول لها ذو الهم أهلاً وهمه
إذا نحن غاضبنا الزمان وصرفه
وسلَّ عليه الفجر من نوره نصلا
إذا جليت كان السرور لها بعلا
تتالان بعض العيش "أو" تأخذ الكُلا
يقول لها من تحت ذا القول لا أهلا
سعت بيننا حتى تعيد لنا الوصلا

وقال صريع:

عذراء يُرعد بعضها من بعضها
لا تسقني الماء القراح وهاتها
قُتلت وبادرها النديم يحثها
اطفَ المزاج "لها" فزين كاسها
لم تتخذ غير المزاج خليلا
عذراء واضحة الأديم شمو لا
فإذا به قد صيرته قتيلا
بقلادة جُعلت لها إكليلا

وقال ابن المعتز:

أيا عادلي اليوم لا نكثرا العذلا
ومهلاً دعاني من ملامكما مهلا

ولوما مشبي إن كبرت فإن لي

شباباً أصمّ الأذن لا يسمع العذلا

إبراهيم بن العباس:

وخليلٍ لي أَرْضاه

لأخواني خليلاً

لم يزل يقتلها حتى

خلت عنه قتيلاً

في ندامى باكروا

الراح فحثوها شمولاً

وقال صريع:

يا رب خدنٍ قد قرعت جبينه

بالطاس والإبريق حتى مالا

وكأنما الساقى يدير كئوسها

بدرٍ أنار ضياؤه وتلالاً

يسقيك بالعينين كأس صبايةٍ

ويعيدها من كفه جريالاً

أنهضته من بعد ما أسكرته

فمشى كأن برجله عقلاً

إبريقنا سلب الغزاة جيدها

وحكى المدير بمقلتيه غزالاً

الصنوبري:

لا تنك ربعاً عفا ولا طلالاً

ولا تصف ناقهً ولا جملاً

وعاطني قهوةً إذا مزجت

أرتك منها في كأسها شغلاً

بكف ساقٍ يزهى على

غصن البان إذا ما انثنى أو اعتدلاً

مكحل ما رآه عاشقُهُ

إلا رآه بالسحر مكتحلاً

إذا سقاني العقار خمّشه

طرفي فيحمر خدّه خجللاً

ابن المعتز:

ولربّ ليلٍ لا تجف جفونه

من دمعته، ملقٍ عليّ سدولاً

ماتت كواكبه وأمسى بدره

في الأفق متهم الحياة عليلاً

دربت بنا في غمرة مشمولةً

حتى توهمنا الصباح أصيلاً

صفراء تحسبها إذا ما صُفقت

ذهباً حوته كأسها محلولاً

كشاحم:

ألسنت ترى الظلام وقد تولى

وعنقود الثريا قد تدلى

تقادمُ عهدِها إلا الأَقْلا
فصيرت الدجى شمساً وظلا

فدونك قهوة لم يُبق منها
بزلنا دنها والليل داجٍ

حرف الياء

قال ابن وكيع:

مشعشع اللون كسروي
تُزهَر في جِوْها النقي
على بساطٍ بنفسجي

قم فاسقني الصفوً من رحيقٍ
أما ترى أنجم الدياجي
تحكي لنا لؤلؤاً نثيراً

وقال كشاحم:

ونديمك الدمث الرقيق الحاشية

عندي معتقةٌ كوّدك صافية

بيضاء زاهية تسمى زاهية
فتريك كافوراً يقاوم غالية
يوماً يفوتك فهي دنيا فانية
كمتلث أضلاعه متساوية

فإذا طربت إلى السماع ترنمت
وتجيبها سوداء تعمل نايتها
فاحضر فقد حضر السرور ولا تدع
تصل الغناء يمينها بشمالها

وقال عمرو بن الإطنابة:

واسقياني من المدامة رياً
بالدُفِّ لفتياننا وعيشاً رخياً

عللاني وعللاً صاحبياً
إن فينا القيان يعزفن

وقال ابن المعتز:

ميتاً يُحسب حياً
بقيت لي في الكاسِ شيئاً
مثل من قبل فيا
قهوة ذات حُميا
أو يكن غياً فغياً
وطواه الغرب طياً

قل لمن حيا فأحيا
ما الذي ضرّك لو
أتراني كنت إلا
يا خليلي اسقياني
إن يكن رُشداً فرُشداً
قد تولى الليل عنا

وكان الفجر لما لاح من تحت الثريا

"ملكٌ أقبل في تاج يُفدَى ويُحيا" آخر:

تترك الشيخ صبيا

وتريه الرشد غيا

ميتا يُبكي عليا

اسقني صرفاً حُميا

وتريه الغي رُشداً

أسقني حتى تراني

كَمُلَ السفر الثاني وهو آخر الديوان والله تعالى الحمد على الصحة والسداد ونسأله حسنَ الخاتمة ليوم المعاد، فهو الكريم الرحيم، الملك الجواد وكان إنجازَه في يوم الثلاثاء من شهر ربيع الآخرة سنة ثمانية وتسعين وسبعماية هجرية وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الفهرس

32	أخبار الشعراء والمجان.....
91	منافع الأشربة ومضارُّها على مذاهب الفلاسفة.....
106	ذكر ما جاء في مبادرة اللذات.....
111	ذكر ما جاء في المناذمة.....
120	ذكر عدد الندامى وكثرهم وقتلهم.....
122	ذكر ما جاء في طيِّ بساط النبيذ.....
124	باب الإكثار والإقلال من الشرب.....
126	ذكر ما جاء في الصبوح.....
131	ذكر ما جاء في ذمِّ الصبوح.....
138	ذكر ما جاء في التداعي.....
143	ذكر ما جاء في الثقلاء.....
146	باب في أخبار الوحدة.....
149	ذكر ما جاء في استهداء النبيذ.....
151	باب أدب السقاة.....
155	باب ما جاء في السكر.....
166	ذكر من حرّم الخمر في الجاهلية.....
169	ذكر ما جاء في الخُمار.....
171	ذكر ما جاء في العريضة.....
176	ذكر ما جاء من الاختلاف في الأشربة.....
192	ذكر ما جاء في تحريم الخمر وشدّة النهي عنها.....
198	باب ما جاء في الخمر من الشعر مرتباً على حروف المعجم.....
199	-حرف الألف-
202	حرف الباء.....
213	حرف التاء.....

216.....	حرف الثاء
217.....	حرف الجيم
218.....	حرف الحاء
226.....	حرف الدال
234.....	حرف الذال
234.....	حرف الراء
258.....	حرف الزاي
259.....	حرف السين
262.....	حرف الضاد
263.....	حرف العين بخلو الطاء والظاء
264.....	حرف الغين
264.....	حرف الفاء
270.....	حرف القاف
274.....	حرف الكاف
275.....	حرف اللام
281.....	حرف الميم
292.....	حرف النون
304.....	حرف الهاء
306.....	حرف لام ألف
308.....	حرف الياء
310.....	الفهرس

To PDF: www.al-mostafa.com